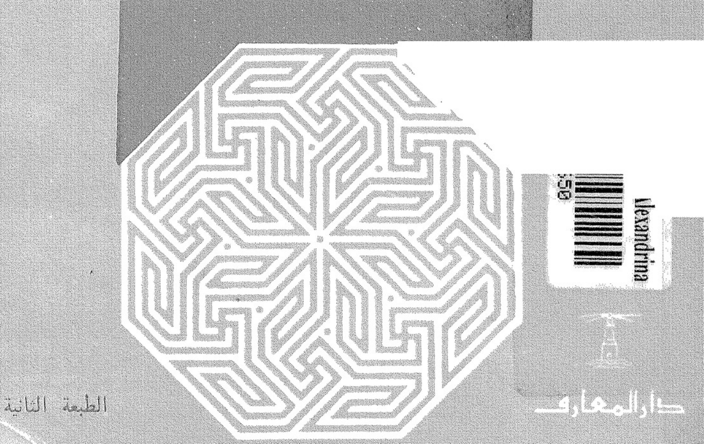
دكتور علي عبد الفتاح المغربي

المفكر الإسلامي المعاصر مصطفى عبد الرازق



الطبعة الثانية

دار المعارف

المفكر الإسلامى المعاصر مصطفى عبد الرازق

تأليف

دكتور على عبد الفتاح المغربى

كلية الآداب — جامعة عين شمس

الطبعة الثانية

١٩٨٧



دار المعارف

الناشر : دار المعـــارف ١١١٩ كورنيش النيل ـــ القاهرة ـــ ج . م . ع

الى روح أستاذى خالد الذكر

الدكتور عثمان أمين

أقدم هذا الجهد العلمى المتواضع تحية محبة ووفاء
فأنه ثمـــرة من ثمـــار غرســـه وقبس من نوره .

فهرس الموضـــوعات

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضــــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

يحتل الشيخ مصطفى عبد الرازق مكانا بارزا فى الفكر الاسلامى المعاصر ، اذ كان صاحب رسالة من أجل الرسالات ، وقدم بفكره وعمله صورة مثلى للانسان الفاضل ، وقدم للانسان الطاقة الروحية التى تعينه على الخروج من معمعة التناقض التى يحياها الانسان ، وذلك عن طريق التكامل والتوازن بين الجانب المادى والجانب الروحى ، وهو على الرغم من أنه « لم يدون مذهبا فلسفيا بالمعنى الضيق الذى يقصده الكتاب حين يتحدثون عن مذاهب الفلاسفة أو (أنساقهم) إلا أننا مع ذلك نستشف من خـــلال مؤلفاته وأحاديثه بل من خـــلال حياته كلها فلسفه انســانية زاخرة بالمثل العالية الباقية مثل الحق والخير والجمـــال تلك التى تهـدى الناس فى كل زمان ومكان إلى اصلاح النفوس وارتقاء المجتمعات » (١) .

ولقد دفعنى الى دراسة فكر الشيخ مصطفى عدة دوافع ، أوجزها فيما يلى :

أولا : لقـــد كان الشـــيخ مصطفى عبـــد الرازق من أكثر المفكرين المسلمين إحاطة ومن أشـــدهم ابتكارا ، وكان واســـع المعرفة بمذاهب الفلسفة الاسلامية والفلســـفة الغربيـــة ، وكان على دراية بالمبـــادىء الأساسية فى العلوم الاجتماعية وغيرها ، ولقد أمدته تلك المعرفة بمـــادة خصبة صاغتها عبقريته ، وفوق هذا فله فلســـفه خاصة فيها نزوع الى العمل وتغليبه على جوانب النظر ، ولقد احتـــل مكانه فى الفكر الاسلامى المعاصر عن استحقاق كبير ، وكان ممثلا للمدرسة الفلسفية المنبثقة عن الأســـتاذ الامـــام محمد عبده ، وصاحب منهج علمى فريد فى دراســـة الفلسفة الاسلامية ، وان هـــذه الشخصية العظيمة التى جمعت جوانب عديدة من العظمة لجديرة بالبحث والدراسة للوقوف على آثارها الخالدة .

---

(١) د . عثمان أمين بحث عن مصطفى عبد الرازق تراث الانســـانية يونيـــه ١٩٦٥ .

ثانيا : لابد من الاهتمام بدراسة الفكر الاسلامى المعاصر ، ودراسة عظماء الفكر المصرى ، لأن ذلك يخدم تاريخنا القومى وحركتنا الاصلاحية ويبين خصائص الجانب المصرى من الثقافة الاسلامية ، التى هى تراث مجيد للشرق الاسلامى ، بل هى فى تاريخ الثقافات الانسانية تراث مجيد أيضا ، ولقد نبه الشيخ مصطفى عبد الرازق الى واجب المثقفين المصريين نحو العظماء من أسلافهم ، فيقول فى مستهل حديثه عن الفقيه المصرى « الليث بن سعد » « غير أن المصريين متهمون بأنهم يبخسون فضل أهم الفضل منهم ، على حين يمنحون الغرباء تقديرهم جزافا ، فواجب علينا أن نبرء من هذه التهمة قومنا ، ومن وسائل ذلك أن نحيى ذكرى العظماء من أسلافنا ، وأن ننصف اليوم من قد يكون التاريخ لم يعطهم كل ما يستحقون من انصاف » ومن هنا جاءت هذه الدراسة تلبية لنداء الشيخ مصطفى ، تقديرا وعرفانا لأهل الفضل من المفكرين المصريين ، وهنا يجب أن نذكر بالفخر والاعزاز الدور الرائد الذى قام به أستاذنا الدكتور عثمان أمين فى نشر آراء المدرسة الفلسفية الاسلامية الحديثة فى مصر والعالم ، وأبحاثه عن الامام محمد عبده ومصطفى عبد الرازق واقبال وغيرهم ، خير دليل على ذلك ، ومن واجب الوفاء لأستاذى الدكتور عثمان أمين أن أذكر أنه هو الذى نبهنى الى اختيار هذه الدراسة عن الشيخ مصطفى عبد الرازق ، وكان لى حظ اشرافه عليها حين تقدمت برسالة الماجستير الى كلية الآداب جامعة القاهرة — بعنوان « الانسان عند مصطفى عبد الرازق » .

ثالثا : الحاجة الى دراسة تلك الآثار الخالدة التى خلفها لنا الشيخ مصطفى ، والعمل على ذيوعها ونشرها ، لأنها خير دواء لأمراضنا المستشرية الاجتماعية والأخلاقية والاعتقادية الخاطئة والفاسدة التى سيطرت على عقول الكثير ، وأدت الى سوء فهم للحقائق وجهل بها فى كافة نواحى المعرفة والاعتقاد ، وهذا النكوص الروحى قد أودى بالانسان الى مزالق الانحطاط الروحى ، وأدى الى انتشار موجات

اليأس والصراع والقلق والتوتر ، واتسعت دائرة المطالب المادية وأصبحت عسيرة الاشباع •

لكل هذه الدوافع ، رأيت من الواجب أن أقوم بهذه الدراسة لهذا المفكر العظيم ، احياء لذكراه وتعاليمه السامية ، لنتخذها نبراسا هاديا ومرشدا لحياتنا ، ونردد مع « برجسون » قوله « اننا حين نستحضر فى الذهن رجال الخير هؤلاء حين نستمع اليهم وهم يتكلمون ، أو ننظر اليهم وهم يفعلون ، نشعر أنهم يبثون فينا حمياهم ، ويجروننا فى حركتهم ، وليس هذا نوعا من القهر ملطفا بعض الشىء ، وانما هو جذب يكاد لا يقاوم » •

وتقع هذه الدراسة فى ستة فصول :

الفصل الأول : تناول سيرته ومنهجه ومذهبه فى الفلسفة الاسلامية ولم تكن مجرد عرض تاريخى لحياته ، بل أظهرت فيها صفاته الأخلاقية واستعداداته الفطرية التى ظهرت منذ بداية حياته ونمت وازدهرت طوال مراحل حياته ، وفيها حديث عن صلته بأستاذه الامام محمد عبده وأثر ذلك فى تكوينه العلمى ، كذلك طلبه العلم فى فرنسا ، واستزادته من الثقافة الأوربية الحديثة ، وعودته لمارسة نشاطه العملى والعلمى ، وبينت سمات منهجه واشعاعات تفكيره ، ومذهبه الفريد والمبتكر فى الفلسفة الاسلامية •

الفصل الثانى : تناول الجانب الدينى فى فكر الشيخ مصطفى ، وعرضنا لدراسته العلمية القيمة عن الدين والوحى والاسلام . ورأيه فى علاقة الفلسفة بالدين ، ودور العقل فى الدين ، ودعوته الى تطهير الاعتقاد من البدع والضلالات ، والى الفهم الصحيح للدين ، والعودة بتعاليم الدين الى سماحته وبساطته الأولى ، قبل أن يختلط الفكر الاسلامى بروافد أجنبية ، وقبل قيام الفرق الاسلامية ، وبينا خصائص الفكر الدينى عنده •

الفصل الثالث : الجانب الأخلاقى ، ورسالة الشيخ مصطفى فى لبها أخلاقية ،فهى تدعو الى السلوك الأخلاقى الرفيع ، ولقد بين معنى الأخلاق والالزام الخلقى الذى ينبع من النفس من غير انتظـــار لقانون خارجى يفرض عليهـا السلوك ، بل تلتزم بــه النفس استجابة للصوت الباطنى وللضمير الحى المتيقظ ، وبين أثر النية فى العمــل وأهميتها ، وبحث فى الفضيلة وبين معناها ، ووضع أسس التربيـــة الأخلاقية ، وزودنا ببعض الأخلاق العملية ـــ وأكد حرية الارادة الانسانية والتى هى لازمة لقيـــام الأخلاق الصحيحة •

الفصل الرابع : الجانب الاجتماعى ولقد كان الشيخ مصطفى بحق مصلحا اجتماعيا ، فوضـــع الدعائم القوية لبنـــاء الأسرة وبين دورها فى التنشأة الاجتماعية وبحث فى المشكلات التى تعترضها ، ودعى الى ترابط المجتمع وتضامنه ووحدة الجماعة وقوتها ، ونادى بالاصلاح الاجتمـــاعى فى حل كافـــة شئون المجتمع وشئون أفراده ، وذلك حتى يتحقق ترابط وتضامن المجتمـــع •

الفصل الخامس : الجانب السياسى وفيه يتجلى النظرة الانســـانية العامة ، التى تقدر الانسـان وتعلى كرامته ، وتدعو الى وحدة الانســـانية كافة وأن تكون العلاقات بين الدول على أساس الحب والاحترام ، وبحث فى عناصر تكوين الأمة وأسباب وحدتها ، ودعى الى المساواة العادلة بين أفرادها وسيادة القانون ، وبين صفات الحاكم ، ووظيفة الحكومة ، ووضح كيف يتم اعداد الفرد وتربيته على أسس تربوية صحيحة ، ودعى الى حرية النقد البناء وبين دوره وأهميته •

الفصل السادس : الجانب الفنى وفيـــه يتضـــح عمـــق مشـــاعره وأحاسيسه ، ورقته وسمو عاطفته ، وبين معنى الفن مدركا أهميته ودوره فى ترقية أحاسيس الأمة ، ووضع قواعد الفن الصحيح المتكامل البنيان والملتزم بقواعد الأخلاق ، وعالج بعض الموضـــوعات الفنية ، وتحـــدث عن الجمال ومراتبه وبين أثره فى تهذيب النفس والشعور •

الفصل الأول

سيرته ومنهجه ومذهبه فى الفلسفة الاسلامية

أولا : مولده ونشأته :

فى احدى قرى صعيد مصر ، ومن أسرة مصرية عريقة ، جمعت بين المجد العلمى والمجد المادى ، كان مولد الشيخ مصطفى عبد الرازق ، فى بلدة « أبو جرج » من أعمال محافظة المنيا فى ١٨٨٥ م ، ولقـــد نشـــأ فى أسرة تولى أفرادها أعمـــال القضـــاء ، والمشاركة فى الحياة السياسية للدولة ، فالجد الثالث لمصطفى عبد الرازق ولى قضاء البهنسا سنة ١٧٨٩ م ثم خلفه ابنه محمد وخلفه ابنه أحمد ، وشـــارك والده حسن « باشا » عبد الرازق فى الحياة السياسية للأمـــة المصرية ، وكان فى نفس الوقت عالما عظيما وأرسل مصطفى عبد الرازق الى كتاب القرية وهو فيما بين السابعة والثامنة من عمره ، وأرسل الى الأزهر ونال شـــهادة العالمية فى سنة ١٩٠٨ م (١) .

ثانيا : حياته العملية وذهابه الى فرنسا :

لقد اقترن الفكر والعمل فى حياته ، وأصبحا عنده كواجهتى العملة لا انفصام بينهما ، وكان لديه طاقة كبيرة من العمل الدائب المتواصـــل ، وهمة ونشاط وحماس لا يفتر ، ولقد لازمته هذه الصفات منـــذ حداثة سنه ، فهو يصدر صحيفة العائلة وهو فى حداثة السن ، ويؤسس جمعية غرس الفضائل بين شباب عائلته ؛ ويرأس جمعية أسسها الطلاب من أبناء الأستاذ الامام محمد عبده ، والتى كانت تقوم بمناقشات علمية وأدبية واصلاحية .

---

(١) على عبد الرازق مقدمة كتاب آثار مصطفى عبد الرازق وأيضا :
Dr. Osman Amin : Lights an Contemparay Marlem. philosophy p. 114.

ولقد شارك فى اصــلاح الأزهر وطرق التعليم به ، وتابع مســيرة الاصلاح بعد استاذه الامــام محمد عبده ، ولقــد انتابت الأزهر حركة خصومة شديدة لمدرسة القضاء الشرعى التى انشــأت بقانون ١٩٠٧ م واعتبرت مزاحمة للأزهر ، وقامت منافســة عنيفة بين الأزهر القــديم المتداعى والمدرسة الجديدة المستحكمة ، مما جعــل علماء الأزهر يؤلفون جمعية تضامن العلماء للدفاع عن الأزهر ضد مدرسة القضاء الشرعى ، ولقد كان الشيخ مصطفى هو أحد عقولها المفكرة ، وفى نفس الوقت كان مدرسا بمدرسة القضاء الشرعى ، وقد يبــدو التناقض فى هــذا ، لكن الشيخ مصطفى لم ير فى ذلك تناقضــا ، لأنه كان يرى أن الاصــلاح يجب أن يعم الأزهر ، ولكن ليس معناه الغاء مدرسة القضــاء الشرعى ، بل ان التوفيق بينهما ممكنا (١) .

وسافر الشــيخ مصطفى الى فرنســا للاستزادة من طلب العلم ، والتعرف على الثقافة الغربية وعلومها فى ١٩٠٩ م ، ووصل الى السربون وتابع من بين برامجها ودروسها ، دروس الاجتماع التى كان يلقيها عالم الاجتماع المشهور (اميل دوركايم) وتحول ليعمل مع الأستاذ (لامبير) فى كلية القانون فى ليون لدراسة أصول الشريعة الاسلامية فى تلك الكلية ، ثم استدعى ليعمل مدرسا للأدب واللغة العربية فى كلية الآداب فى ليون مكان الأستاذ جستون فيت ، واستطاع بجانب عمله فى الكليتين فى جامعة ليون ، أن يعــد دراســته للدكتوراه فى الفلسفة وقام بترجمة رســالة التوحيــد الذى ألفها اســتاذه الامام الى اللغــة الفرنسية مع صديقه برنار ميشيل ، وفى أثناء اقامته فى فرنسا بدأ يكتب مذكراته اليوميــة ، وكتب أيضا مقالات (صفحات من سفر الحياة) (٢) .

وبعد عودته من فرنسا بدأ يكتب فى مجلة السفور ، ولقد أحــدث اسم المجلة (السفور) صدمة للذوق العام ، وأثار حفيظه جمع كبير من

---

(١) على عبد الرازق مقدمة آثار مصطفى عبد الرازق ٤٦ .

(٢) Osman Amin : Lights on contemperary p. 112.

دعاة الاصلاح الدينى الصادقين منهم والكاذبين ، لكنها لقيت نجاحا ملحوظا ، وآخذت تتغلغل حثيثا فى أرجاء البلاد ، فكان ذلك يزيد خصومها حماسه ويلهب قلوبهم غيظا ، ولم يستمر ظهورها الا سنوات قلائل ، ولم يخل عدد منها من مقال للشيخ مصطفى (١) .

واشتغل مصطفى عبد الرازق بعد عودته من فرنسا ١٩١٥ م فى الأزهر ، فلقد عين بعد عودته الى مصر سكرتيرا بجامعة الأزهر . ثم سكرتيرا عاما للمجلس الأعلى للأزهر ، وبفضل تعيينه فى هذا المركز استطاع أن يحقق تطورا وتقدما فى هذا المعهد القديم (٢) .

وبسبب مواقفه السياسية المناصرة للحركة الوطنية المصرية التى كان يقودها سعد باشا زغلول ؛ وبناء على رغبة الملك فلقد تم ابعاده من الأزهر خوفا من أفكاره السياسية والاجتماعية ، وعين الشيخ مصطفى مفتشا بالمحاكم الشرعية (٣) وهو عمل لا يناسب طبيعته واستعداده ، إلا أن هذا الابعاد قد أتاح له فرصة توسيع دائرة نشاطه العلمى والأدبى ، فانصرف الى الكتابة والدرس ، ومكن له من توسيع دائرة نشاطه الاجتماعى فى شتى الأوساط من أزهرية ومدنية وأوربية دينية وغير دينية وأحيانا سياسية .

ولقد اشترك عضوا بالجمعية الخيرية الاسلامية وانتخب وكيلا للجمعية ثم تولى بعد ذلك رئاستها ، وساهم فى تأسيس الجامعة الشعبية ، التى تساعد على تثقيف الشعب ، وألقى فيها محاضرات كثيرة .

ولقد أمد الشيخ مصطفى النهضة الأدبية فى ذلك الوقت بألوان مختلفة من الثقافة الأجنبية ، وكان قطب الحركة الفكرية التى تجمع بين

---

(١) على عبد الرازق مقدمة آثار مصطفى عبد الرازق ٥٦ ، ٥٧ .
(٢) Osman Amin : Lights on contemperary p. 112.
(٣) على عبد الرازق مقدمة آثار مصطفى عبد الرازق ٦٤ .

القديم والحديث ، وتنادى بحـرية الفكر ، وتوافق الفلسـفة والدين ، وتعقد فى بيته ندوات فكرية ، يقصدها أهل العلم والأدب من مصر ومن الوافدين عليها ، ويدور الحديث فيها ، حول الدين والأخلاق والفلسـفة والسياسة وشتى صنوف المعرفة (١) •

ولقد انتدب الشيخ مصطفى ليعمل أستاذ مساعدا للفلسفة الاسلاميه بكليه الاداب جامعة القاهرة ولقد كان أستاذا جامعيا ناجحا ، ونموذجا فريدا علما وخلقا ، ولقد كان وراء هذا النجاح استعدادا طبيعى وصقل لهذا الاستعداد ، ثم منهجه العلمى القويم ، فلقد نمى ميله الى الأدب والشعر وغذاه بمداومة القراءة وحبه لها حتى كاد أن يطغى على جميع هواياته ، وحفظه للعلوم الأزهرية ولسائر فروع الأدب والنحو والشعر ، وحفظه للقرآن ، كذلك قوة ملكة الفكر والبحث لديه ، وفهمه لما يقـرأ واهتمامه بحركة التاليف والنشر والمحفوظات النادرة واقامته مكتبة فى بيته كأحسن ما تكون المكتبات •

كذلك مما ساعد على نجاحه فى عمله كاستاذ فى الجامعة هو منهجه الخاص فى التعليم ، فلم يكن التعليم مجرد القاء الدروس على الطـلاب وتلقينهم اياه ، لكنه عبارة عن صلة عقلية ينشئها بينه وبين طلابه ، فهو يشركهم معه فى بحث الموضوعات ومناقشة النصوص ، وأيضا مما يميز منهجه فى التعليم هو الحب الذى كان يربط بين الأستاذ والطالب ، فكان درسه عبارة عن مجتمع تتقارب فيـه الأرواح وتتآلف فيـه النفوس ، وتنبعث فى جنباته عواطف الصـدق والاخلاص ، ولقد كان يقـول عن ثلاميذه وعلاقة الصداقة بهم : اذا لم يكن من تلاميذنا أصدقاء فليس لنا فى الناس صديق •

ولقـد كان أول رائد للفلسـفة الاسـلامية فى مصر وأول من قام بتدريسها من المصريين ، وقد كان له مكانته فى الجامعة المصرية ، فلقد جذب

---

(١) على عبد الرازق مقدمة آثار مصطفى ٥٩ .

أنظار الباحثين المصريين والعرب الى دراسة الفلسفة الاسلامية التى غلفها النسيان عشرات السنين ، والدروس التى ألقاها فى كلية الآداب قد غرست فى نفوسهم روح الترو والتأن والموضوعية والأمانه العقلية ولقد أجاب بهدوئه ورزانته المعتادة معارضا آراء المستشرقين الذين ينكرون أصالة الفكر الاسلامى ، وبنظرة نافذة عميقة ، أدرك أنه بينما يعترف المسلمون بتأثير واقتباس الفكر اليونانى ، فان لهم أيضا منهجهم الخاص وثقافتهم الأصيلة ، ذلك لأن حقيقة الفكر الاسلامى لا توجد فى فلسفة الفارابى وابن سينا بقدر ما توجد فى علم الكلام ومصادر فلسفة التشريع (١) .

ولقد تولى بعد ذلك الوزارة : فعين وزيرا للأوقاف حوالى ست مرات ، وبقى وزيرا الى أن صار شيخا للأزهر ١٩٤٥ ، وكان دخوله الوزارة أول حدث تاريخى من نوعه ، اذ لم يسبق لشيخ أزهرى قبله أن ولى الوزارة فى مصر (٢) .

ولقد أدخل بعض الاصلاحات إبان مشيخته للأزهر ، فأدخل اللغات الأجنبية وأرسل البعثات الى الخارج ، وكانت أعماله فى الأزهر صدى لتعاليم أستاذه الاصلاحية (٣) .

وعين عضوا فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية ١٩٤٠ م ، وأنعم عليه برتبة الباشوية ١٩٤١ م ، وهو لقب تهفو اليه النفوس فى ذلك الوقت ، ويتزاحم عليه الكثير ، ولا يناله إلا القليل ، ولكن الشيخ مصطفى لم تهله روعة اللقب ، ولم تغير من أخلاقه ، ولقد تخلى عن لقب الباشوية عند اختياره شيخا للأزهر ، وآثر عليها منصب شيخ الأزهر ، وهو منصب دينى روحى عظيم ولقد اختير أميرا للحج وهو شيخ الأزهر فخرج لأدائه ١٩٤٦ م .

---

(١) Osman Amin : Lights on contemperary p. 113 - 114.

(٢) على عبد الرازق مقدمة آثار مصطفى عبد الرازق ٧٤ .

(٣) د . مصطفى حلمى مقال عجلة الفكر المعاصر يونيه ١٩٦٥ .

لقد ظل الشيخ مصطفى طوال حياته معينا لا ينضب من الأخلاق الفاضلة والعلم ، وهمة ونشاطا لا يعرف التوانى أو التراخى ، وشعلة لا تنطفىء بموته ، اذ وافاه الأجل فى ١٥ فبراير ١٩٤٧ م ، بل بقيت تلك الشعلة متقدة فى نفوس عارفيه ومحبيه ، وكل من تهفو نفوسهم الى المعانى السامية .

ثالثا : صلة الشيخ مصطفى بالامام محمد عبده :

تشكل هذه الصلة أهمية بالغة فى تكوين الشيخ مصطفى الفكرى ، ويكاد يتفق المزاج الفكرى لكلا المفكرين ، ولقد اتصل الشيخ مصطفى بأستاذه الامام وهو فى نهاية مراحل تعليمه فى الأزهر ، وبدأ يحضر دروس الامام التى كان يلقيها فى الأزهر فى حوالى ١٩٠٣ م ، ولم تكن دروس الامام محمد عبده مجرد تحصيل علمى أو طريقة جديدة فى التعليم ، انما كانت أولا وقبل كل شىء اشعاعا روحيا يسرى بين نفوس مريديه وتلاميذه ، أولئك الذين ائتلف روحهم وتشربت بروح الامام وتعاليمه ، وكان مصطفى عبد الرازق أحد هؤلاء وأكثرهم قربا الى المزاج العقلى للامام ، والى تعاليمه الاصلاحية ورسالته ، وهو وان لم يحضر ردوس الامام الا قريبا من نهايتها . إلا أن روحه التقت بروحه وتعارفا أقوى تعارف وتآلفا أصدق تأليف ، لانها كانت علاقة روحية لا تعرف مقاييس كمية ، ولا تبغى منفعة مادية ، لأن مهمة الأستاذ الامام كانت توجيهية لطلابه . وكانت علاقاتهم به روحية ، تقوم على احترام الأستاذ لطلابه وتوجيههم ، واعجاب تلاميذه وحبهم وتقديرهم له .

ولقد زاد اعجاب الشيخ مصطفى بأستاذه الامام ، ولقد بلغ هذا الاعجاب غايته ، فهو لم يترك أثرا من آثار أستاذه إلا بذل الجهد فى الاطلاع عليه . ولقد جعله هذا الاعجاب يتعلق بأستاذه تعلقا روحيا ، ويطلع على كل آثاره الفكرية ، واقتنى مجموعة كاملة من مجلة العروة الوثقى ، وعنى بكل مؤلفات وكتب أستاذه ، وكان له فضل المسعى فى اتخاذ منزل الامام فى عين شمس متحفا له ، وألقى عنه محاضرات فى

جامعة الشعب صدرت فى كتاب فيما بعد . ولم يدخر جهـدا فى تعريف تلاميذه بفضل الامام محمد عبده وأثره [١] ، ولقـد كان بحق امتدادا للمدرسة الفلسفية التى تستهدف غاية الأستاذ الامام . وهـذا ما يراه الأسـتاذ الدكتور عثمـان أمين فى كتابه رائد الفكر المصرى الامـام . محمد عبده .

لقد تتلمذ الشيخ مصطفى على أيدى مشايخ كثيرين ، ابان مرحلة تعلمه فى الأزهر ، ولم يكن أقرب الى نفسه من الامام محمد عبده ، فلقد كان بمثابة الأب الروحى له ، يكتب اليـه بما يعتمل فى نفسـه ، ويبثه شكواه ، فيشكو اليه سوء طريقة التعليم فى الأزهر ، وجدب التحصيل العلمى والتربية العقيمة لعقول طلاب العلم ، وتعترى نفسه حالة نفسية سيئة من تلك الطريقة ، وما كان يؤمله فى نفسه من آمال كبـار وملكات قوية وذوق ناضج لما فى هذه الحياة من بهجة وجمال ، وأنه وهو فى نهاية مراحل تعليمه فى الأزهر لم يستفد شيئا يقوى به هـذه الملكات ، وينمى هذا الذوق والاستعداد الفطرى فلا يجد أمامه سـوى الأستاذ الامام يبثه شكواه فى رسالة ، وينشرح صدر أستاذه لما يراه فى تلميذه من وعى ، وينشر خطابه فى مجلة المنار بدون ذكر اسم كاتبه خوفا عليـه من غائلة الفتن التى رجت جوانب الأزهر آنذاك .

ولقد كتب الى استاذه أبياتا من الشعر يمدحه فيها :

أرضيت ربك لا تخشـن المريبينـا
يا خـير من خـدم الاسـلام والدنيا

صـدعت بالحـق والأصـوات خافته
ودسـت ما شـيدت أيـدى المضلينا

بحجـة تمـلأ الألبـاب موعظـة
كالشمس تمـلأ أبصـار المبصرينـا

---

(١) على عبد الرازق مقدمه آثار مصطفى عبد الرازق ٢٧ .

ولقد رد عليه أستاذه ، متنبأ له برفعة الشأن وعلو المنزلة وسلامة النظر [١] .

ولم تنقطع صلة الشيخ مصطفى بموت الامام فى ١١ يوليو ١٩٠٥ م ، بل ظل عاكفا على آثار الامام مترسما خطاه ، مكملا رسالته ، وبالرغم من عظم تلك البلية وأثرها على نفسه واصل السير ، وكم كان صادقا فى حزنه على وفاة استاذه ، وكم كان وفيا له فى أداء رسالته ، يقول فى رثاء أستاذه « غلبت على النفس ثورة الهم حتى أنكرت كل ما عرفت من شأن الصبر ، واسترسلت مع الأكدار ، واستعصت على الناصح ، ونسيت وعد الله للصابرين •• ولقد خشيت أن تجمح فى بيداء الجزع فلا يردها راد ، ولا يصدها صاد ، ولا يدفعها عن الغى رشاد . لكن أبت عزيمة الاسلام ، وأبى يقين ورثناه عن الأستاذ الامام ، إلا أن يؤوب الرشد من غيبته ، ويصحو العقل من سكرته » [٢] .

رابعا : سماته الشخصية :

نستطيع أن نذكر بعض ملامح شخصية الشيخ مصطفى ، وأهم صفاته العلمية والأخلاقية ، التى بدأت منذ طفولته المبكرة ، ونمت وازدهرت طوال مراحل حياته القصيرة الأمد والبعيدة الأثر ، والتى سيظل شعاعها قويا طالما وجدت المبادىء والقيم التى عاش الرجل وفيا لها : فكرا وعملا ، نظرا وتطبيقا ، وحقيقة ما مات من خلف سيرة كسيرته ، ان تلك الصفات انما هى تكون الانسان الفاضل كما تصوره مصطفى عبد الرازق ، وفيما يلى سنذكر بعض الصفات .

١ ـ نزوعه الى الأدب والشعر :

وأول ما يسترعى النظر هو نزوعه المبكر الى الأدب والشعر ، وهذا النزوع وليد رقة الشعور ودقة الاحساس وعمق الفكر ، ولا شك أن

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٢٧ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٤ .

ممارسته العملية لذلك كانت فى بدايتها ينقصها الصقل . ولكن عناية والده واشرافه على مراجعة ما كتبه وقراءته معه لاشعار كبار الشعراء أفادته كثيرا . على أنها كانت بواكير أعمال مجيدة وعظيمة ، ولقد أصدر وهـو فى حداثة السن صحيفة نشرها خاصة بين عائلته تتنـاول الشئون العائلية الخاصة . فى أسلوب يجمع بين الفكاهة والجد [١] .

ولقد مارس قرض الشعر . ولكن هذه الممارسة لم تدم . وانصرف الى الكتابة النثرية ، ومن ثنـايا هـذه الكتابة كان تعبيره عن انشـغاله بالحقيقة وبعده عن الخيال .

ولقد كان أسلوبه آية من آيات البيان ؛ فهو الى جانب حرصه على المعنى ، ووضوح أسلوبه كان حريصا على انتقـاء الأسلوب واختيـار الألفاظ ، وكذلك تأنيه فى المعنى قبل التعبير عنه ، وخـير ما توصف به كتاباته ما وصفها به عميد الأدب العـربى الدكتور طه حسـين ؛ فيقول « فأنت لا تجد فيما يكتب معنى نافرا وفجا لم يتم نضجه قبل أن يعرب عنه ؛ وأنت لا تجد فيما يكتب لفظا نابيا عن موضعه ، أو كلمة قلقة فى مكانها وانما كان كلامه يجرى هادئا ، مطمئنا كما يجرى ماء الجـدول النقى ، حتى حين يداعب صفحته النسيم ، وكنت أشبه له كتابته بعمـل صاحب الجواهر : يستأنى بها ويتأنق فى صنعها لتخـرج من يده جميلة رائعة تثير فيمن يراها المتعة والرضى والاعجاب [٢] .

ولقد وصف أحد الشعراء أسلوب الشيخ مصطفى :

نزر الـكلام فـان نطقت فانمـا
شـفتاك بينهمـا الـكلام نظـام
متأنقـا فيمـا تقـول كأنمـا
للقـول عنـدك حـرمة وذمـام

(١) على عبد الرازق مقدمه آثار ١٧ .
(٢) من كلمة تقديم الدكتور طه حسين لكتاب آثار مصطفى عبد الرازق .

لك من أناتك ما يصــون ربمــا
زلــت من المســتعجل الاقــدام [١]

لقد كان الشيخ مصطفى أديبا من ذلك الطراز الممتاز النادر الوجود والصعب تكراره ، ومن ذلك النوع السهل الممتنع الذى يسهل على القارىء فهمه ، ولكن يصعب تقليده فى الكتابة .

٢ ــ حبه للعلم وأهله :

ولقد كان محبا للعلم وأهله ، وكانت هذه الخصلة ملازمة له طوال مراحل حياته ، منذ أن كان فى طور طلب العلم أو طور العلماء ، ولقــد كان سباقا الى تقديم المساعدة المادية لطلاب العلم ليواصلوا تعليمهم دون عقبات مادية أو نفسية ، ولقد قال مرة للدكتور طه حسين وهــو يشفق عليه لانفاقه كل مرتبه لدفع نفقات التعليم للطلاب ، وماذا تريد أن نصنع لهؤلاء الطلاب ؟ أتريد أن نتركهم يصدون عن العلم ونحن نرى ؟ وهى كلمة لا تصدر إلا عن قلب رحيم وايمان بالعلم وحب لطلابه وتشجيعهم على التغلب على العقبات التى تقف فى سبيل تحصيلهم العلم ، وهى كلمة ينبغى أن يذكرها كل قادر على العون حقا .

ولقد عبر أحد هؤلاء الطلاب الذين شملهم عطف الشيخ مصطفى ، وامتدت اليهم يده الحنونه وانتشلتهم من لجة الحياة ومصاعبها وأنارت نفوسهم بالأمل وأبعدتهم عن اليأس ، فقال :

روعتــنى صــروف دهـــرى حتى
شــمت فى (مصطفى) المكان الأمينــا
كنت أســعى للموت وجهــا لوجــه
فاذا بى أصـــل حصــنا حصــينا

---

(١) من قصيدة الأستاذ محمد عبد الغنى فى الذكرى الســابعة لوفاة الشيخ مصطفى عبد الرازق جريدة الأهرام ١٩٥٤/٢/٢٢ .

بـــارك اللـــــه فى يـــــــدى أريحـــى
وسراى هنـــاك فى (عابدينـــا) [١]

لقد كان حبه للعلم نابعا من ايمانه بقيمة العلم وأنه المجـــد الباقى ، والمجد الذى لا يدانيه مجد آخر .

ولقد كان لـــه مساهمة فكرية تنم عن صـــدق حبه للعلم ومـــدى اهتمامه به ، ولقد نادى باصلاح طرق التعليم . ونقد تلك الطرق العقيمة وهو لا يزال طالبا ، وامتاز منهجـــه التعليمى بالموضـــوعية والنزاهة : وتربية طلاب العلم على الجد والتحصيل ، والرجوع الى أصول البحث العلمى ، واعتنى بتربيـــة الروح العلمية فى الأمـــة وترقية المســتوى العقلى فيهـــا .

٣ ـ الحيـــاء :

ومن أظهر صفاته الحياء ، فلقد كان أهم ما يميزه منـــذ الطفـــولة الحياء والرفق ، وهما يتناسبان مع نفســـه الهينة ، المطبوعة على الخير ، واذا كانت رقة الشعور ودقة الاحساس جعلتاه منـــذ الصغر ينزع الى الأدب والفكر ، فان الحيـــاء أضـــاف على أخـــلاقه الفضيلة والرفق . مما جعله فى نظر الناس وفى نظر تلاميذه كواحد من القديسين ، وحقـــا ما كان يراه ابن مسكويه ، من أن حيـــاء الصبى دليـــل على استعداده للفضـــيلة [٢] .

ولقد كان الشيخ مصطفى حييا شـــديد الحيـــاء ، مطبوعا منـــذ الطفولة على فطرة رقيقة ، فهو لا يحب الأذى ولا العنف ، وكان خلقـــه الحيـــاء ، والحياء خير كله [٣] .

---

(١) جريدة السياسة الأسبوعية فى ١٩٢٦/١٢/٤ .
(٢) ابن مسكوية هداية الأخلاق ٦٨ .
(٣) على عبد الرازق آثار ٢٠ .

٤ ـ الوفـاء :

كان الوفاء سمة ظاهرة فى أخلاق الشيخ مصطفى ، والوفاء شيمة من شيم الأخلاق العالية التى يجب أن يتحلى بها الانسـان ، وأساس العـلاقات الانسـانية الصحيحة ، يقويهـا ويرتفع بها الى مسـتوى الانسانية ، واذا انعدم الوفاء بين الناس ؛ خلت حياتهم من كل ما هو ذو قيمة ، وأضحت علاقاتهم مزعزعة ؛ مبنية على الخوف وعدم الثقة ، لذا فان للوفاء خطره ، ولقد عرف عن الشيخ مصطفى الوفاء لمحبيـه وعارفيه ولم يكن ذلك غريبا عنه ، فان الوفاء فرع من الأخلاق السامية ، والأخلاق وحدة لا تقبل التجزأة ، ولقد كان الشيخ مصطفى حائزا على الأخلاق الفاضلة ، ولقد قال الدكتور طه حسين عن خصلة الوفاء عند الشيخ مصطفى « وعرفته كذلك وفيا لكل من أحب من الناس لا يفـرق بينهم فى ذلك مهما تكن الظروف ومهما ينعد بهم الزمان والمكان ومهما تلم الأحداث وتدلهم الخطوب » (١) •

والأمثلة العملية الدالة على الوفاء عنده كثيرة ، نذكر أحدها ، أنه فى أثناء طلبه العلم فى فرنسا وتعرفه على أحد الأسـاتذة الفرنسيين ، خلفه فى الانفاق على زوجته ، حين تغيب الأستاذ فى الحرب •

٥ ـ الهدوء والاتزان :

الهدوء والاتزان كانا سمة غالبـة على كل تصرفاته ، وهمـا لازمان لأعمال الروية والفكر ، ولصفاء الذهن ونقاء الفكر ، وهما ضدان للعجلة والتهور ، لذا يصدر الفعل عنهما قويما ولا يكون متهـورا . وما عرف عنه سـوى ما هو كريم فى الأخلاق ، هادئا فى الطبع ، متزنا فى السلوك لا يغضب إلا حين يستبد بـه الغضب ، ويفوق طاقة احتمال البشر ، ونادرا ما كان يحدث ، فهو يغضب للحق ومن أجـل المساس به ومن أجل

---

(١) من كلمة د . طه حسين فى مقدمة كتاب آثار مصطفى عبد الرازق .

الغيرة عليه ونصرته . ذلك ما يقطع عليه هدوئه ويخرجه عن اتزانه المشهود له بهما ، ونادرا ما كان يحدث ذلك .

٦ ـ الحب :

لقد كان الحب عاطفة جياشة فى قلب الشيخ مصطفى ، حبه لكل ما هو جميل فى الروح والحياة ، حبه للانسان ، حبه للقيم والمثل العليا حبه للحق والخير والجمال . لقد غمر الحب قلبه وغمر حبه كل ما هو جدير بأن يحب ، ولقد كان الحب دافعا لكل سلوكه وآرائه ، حبه للاحسان ، حبه للتضحية . حبه لكل مقومات السلوك الانسانى الرفيع ، لقد كان فكره وعمله يحركهما الحب فى كل اتجاه .

٧ ـ الكرم :

لقد كان الشيخ مصطفى كريما بكل معانى الكرم الروحى والمادى ، فلقد كان حائزا على مكارم الأخلاق وفضائلها ، باذلا فى كرمه المادى ما يند عن الوصف ، كثير الاحسان الى من يحتاج الى الاحسان « ولقد انفق المال والوقت والجهد استجابة لصوته الباطنى ولوعيه وشعوره وأنجز ما كان يعتبره واجبا لوحدة الجماعة الانسانية » [1] .

واذا كان ذلك هو ما يقدمه الى آحاد من الناس إلا انه تعدى ذلك ، وقدم للانسانية الكثير من فكره وعمله وسلوكه القويم ، فأفاد منه الناس وعم خيره ليتعدى نطاق الآحاد ، وقدم صورة مثلى للانسان بفكره وعمله يهتدى اليها ويستنير بها من شاء الهداية .

٨ ـ نزعته الدينية :

كانت لديه نزعة دينية منذ صغره ، وظل متمسكا بها طوال حياته ، ولقد قال عنه أخوه فى وصفه لتلك النزعة فى أولى مراحلها « كان منزعه

---

(1) Osman Amin : Lights on contemperary moslem p. 114.

الدينى أيامئذ كمنزعه : لا هو بالجامد المتحجر ، ولا هو باللين المتخلخل ، بل كان بين ذلك قواما » (١) ٠

ولقد قويت تلك النزعة حتى تفتقت عن منهجه الدينى الصحيح ، الذى يقوم على الفهم الصحيح للدين على طريقة السلف قبل ظهـــور الخلافات ، أى العودة بالدين الى منابعـــه الأولى ، وكـــذلك عد الدين صديقا للعلم ولا تعارض بينهما ، وآمن بمكانة العقـــل وأنه لا تعارض بينه وبين الدين ، ودعى الى تحرير الفكر من التقليد ٠

٩ ــ ايمانه بمكانة العقل :

لقد كان شديد الايمان بالعقل ومكانته ، مما جعل فكره صافيا ، بعيدا عن الأوهام والخرافات والجهل ، وأقام فكره على هذا الأساس العقلى لاعترافه بتلك الملكة الانسانية ومكانتها ، وسوف ترى فى ثنايا هذا البحث مواقفه المتعددة الصادرة عن عقله الواعى المستنير ، وسوف ترى كيف احتل العقل مكانا بارز فى فكره ، ومع شـــدة ايمانه بالعقـــل ومكانته ، إلا أنـــه لم يكن دوجماطيقى النزعـــة ، بـــل آمن بالعقـــل وحدوده ، ولم يذهب به شططا ، ولقـــد كان صاحب رسالة تحرير العقل من قيود الفكر وقيود التقليد ٠

١٠ ــ ايمانه بقيمة الانسان :

كان الشـــيخ مصطفى صاحب نزعة انســـانية ، تؤمن بالانســـان وقدراته ، وتعلى من مكانته ، ولقد كان فكره وعمله مثالا لما ينبغى أن يكون عليه الانسان الفاضـــل ، ولقـــد كان كل ما قدمه نابـــع من ذلك الايمان بقيمة الانسان ، وفى هذا البحث سوف يتضح لنا مدى صدق ذلك الايمان ، ورسم صورة مثلى للانسان الفاضل ، ولقـــد رسمها بفكره

---

(١) على عبد الرازق مقدمه آثار ٢١ ٠

وعمله . كواحد من أولئك العباقرة العظام أصحاب الرسالات الروحية التى لم تعدم الانسانية من أمثالهم على مر العصور .

تلك فى عجالة بعض صفاته قد أشرنا اليها بما يسمح لنا المجال ، ومن أفضل ما نختم به هذا العرض الموجز لأهم ملامح شخصية الشيخ مصطفى هو ما كتبه عنه الأستاذ الدكتور عثمان أمين فى كتابه رائد الفكر المصرى فيقول « لقد ذكر الفارابى فى بعض كتبه أن الذى سبيله أن يشرع فى النظر الفلسفى « ينبغى أن يكون له بالفطرة استعداد للعلوم النظرية ، وهى أن يكون جيد الفهم والتصور ، ثم أن يكون بالطبع محبا للصدق وأهله ، غير جموح ولا لجوج فيما يهواه ، وأن يكون غير شره على المأكول والمشروب ، تهون عليه بالطبع الشهوات والدرهم والدينار وما جانس ذلك ، وأن يكون كبير النفس عما يشين عند الناس ، وأن يكون ورعا ، سهل الانقياد للخير والعدل ، عسر الانقياد للشر والجور ، وأن يكون قوى العزيمة على الصواب وأن يكون صحيح الاعتقاد لآراء الملة التى نشأ عليها ، متمسكا بالأفعال الفاضلة التى فى ملته غير مخل بكلها أو بعضها ، وما نظننا مسرفين حين نلاحظ أن هذه الفضائل النادرة التى جعلها (المعلم الثانى) صفات للفيلسوف الكامل ، قد تحققت فى أجلى صورها عند أستاذنا مصطفى عبد الرازق » .

خامسا : كتبه ومؤلفاته :

لقد خلف الشيخ مصطفى تراثا فكريا ، له أثره البالغ فى الفكر المعاصر ، فقدم كتبا ومقالات ، تطرقت لموضوعات مختلفة وشملت ميادين متعددة ، فكتب فى الفلسفة فقدم نموذجا يحتذى فى منهج البحث العلمى . وقدم أبحاثا جديدة فى علم الكلام وأصول الفقه باعتبارهما خير تمثيل للفلسفة الاسلامية ، وانهما النبع الأصيل لتلك الفلسفة من قبل أن تختلط بروافد الفكر اليونانى . وكان له فضل السبق فى وضع أساس منهج جديد لدراسة تلك الفلسفة ، نعى فيه على الباحثين الغربيين

تعصبهم وانكارهم لأصالة الفكر الفلسفى فى الاسلام ، ولقد صدرت هذه الدراسات فى كتاب « تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية » وهو مجموعة محاضرات قام بالقائها على طلبة كلية الآداب ، طبعت كما هى ؛ وهو كتاب ذو قيمة علمية كبيرة ومرجع لاغنى عنه للباحثين والدارسين للفلسفة الاسلامية . ونموذج يحتذى للمنهج العلمى الصحيح .

وله كتاب « فيلسوف العرب والمعلم الثانى ، وقدم دراسة عن بعض الفلاسفة والمفكرين الاسلاميين ، كالكندى والفارابى وابن الهيثم وابن تيميه ، فاتحا أبواب البحث وداعيا الباحثين للبحث والدراسة فى تلك الموضوعات ، ولقد أظهر فى هذا الكتاب فضل الفلاسفة الاسلاميين وابتكارهم . فالفارابى مثلا لم يقتصر على شرح كتب أرسطو وتفسيرها وتصحيح تراجمها ، بل له أفكار مبتدعة وأبحاث فى الحكمة العملية عميقة سامية ، لم تتهيأ بعد للباحثين كل الوسائل لتفصيلها تفصيلا وافيا .

وله كتاب « الدين والوحى والاسلام » تناول فيه عرضا للأبحاث فى تفسير مفهوم الدين ، ودراسة لظاهرة الوحى المصاحبة للدين ، وتطبيق عملى للدين المصاحب بالوحى وهو الاسلام ، وعرض للمفاهيم اللغوية والفلسفية لهذه المعانى عند الباحثين بمختلف اتجاهاتهم ، ودعى الى ضرورة مواصلة البحث فى الدين : كما حدث فى الدراسات والأبحاث اللغوية .

وله كتاب عن الامام الشافعى وفيه دراسة وافية عن الامام الشافعى ومذهبه ، ودوره فى أصول الفقه ، ودراسة عن الفقيه المصرى الليث بن سعد ، ولقد بين المناحى الفلسفية لأصول الفقة .

وله كتاب عن الامام محمد عبده ، وهو مجموعة محاضرات ألقاها فى جامعة الشعب : تناول فيها التعريف بالامام وفضله وأثره .

وله كتاب فى ميدان الدراسات الأدبية : ألفه عن الشاعر المصرى

« البهاء زهير » وعرض فيه لأهم القضايا الأدبية ، ودراسة لدور الشاعر وأهميته فى المجتمع ، وضرورة الاهتمام بالمعنى والمضمون ، دون الاقتصار على الشكل •

وله أيضا كتيب صغير تتضمن الخطبة التى ألقاها يوم الجمعة بعد توليه مشيخة الأزهر ، وهى تعتبر آية من آيات البلاغة ، ونموذجا يحتذى للخطابه واسمه « الدرس الدينى الأول وخطبتا الجمعة » •

ولقد كان للشيخ مصطفى اسهام فى مجال الترجمة من اللغه العربية الى اللغة الفرنسية ، للتعريف بالأعمال الفكرية الاسلامية ، فترجم مع صديقه برنار ميشيل ــ رسالة التوحيد للامام محمد عبده ، ومكانته الفكرية ، كذلك ترجم من اللغة الفرنسية الى اللغة العربية كتاب طيف ملكى خواطر تاريخية تأليف قدرية حسين •

وكتب الشيخ مصطفى عدة مقدمات لبعض الكتب العلمية القيمه منها كتاب موسى ابن ميمون حياته ومصنفاته (تأليف ولفنسون) ومقدمة كتاب الاسلام والتجديد فى مصر (تأليف تشارلز آدم) ترجمة عباس محمود • وكتب مقالة عن الصوفية والفرق الاسلامية فى كتاب « اعتقادات فرق المسلمين والمشركين » للامام فخر الدين الرازى بمراجعة وتحقيق على سامى النشار •

وصدر عنه كتاب آثار مصطفى عبد الرازق ، وأصدره شقيقه على عبد الرازق صدره بنبذة عن تاريخ حياة مصطفى عبد الرازق ، وكلمة الدكتور طه حسين ، وهو عبارة عن مجموعة مقالات كتبها الشيخ مصطفى عبد الرازق على صفحات مجلتى السفور والسياسة ، وهى تمثل أصدق تمثيل آراءه وأفكاره ، كتبها على صورة مقالات أدبية ، بأسلوب بلاغى فريد •

وله كتاب أصدره بالفرنسية بالاشتراك مـع لويس ماسينون عن « الاسلام والتصوف » وقـد عرفا فيـه التصوف وأهميته ومكانته فى الاسلام ، وبينا معنى الاتحـاد وتطوره ، والولاية والكرامة .

وكتب الشيخ مصطفى تمتـاز بعمق الفكرة وجدتهـا وطرافتها ، ودلالتها القـوية ومعناها وقوة تأثيرها ، فلقـد كانت تحمل بجانـب الموضوعية ومناهج البحث العلمى ورصانة الأسلوب وبلاغته ، الصـدق والثراء الروحى والمعـانى السـامية ، بحيث بقيت تلك الكتب ذخـيرة للباحثين والدارسين وكانت نموذجا يحتذى فى البحـث العلمى ، ولفتت أنظار الباحثين الى كثير من الموضوعات .

سادسا : سمات تفكيره ومنهجه :

١ ــ مسمة عملية تربط الفكر بالعمل :

ليس المهم عند الشـيخ مصطفى أن تتزاحـم أفكارنا وأن تكثر حصيلتها فى الذهن وأن يحلق تفكيرنا فى سـماء التجـريد ، وأن نؤمن بنزعـات اطلاقية وأن نتشـدق بجدل لفظى عقيم ، ولكن المهم هـو أن نوائم بين أفكارنا وعملنا وبحيث أن تقود أفكارنا عملنا وتهديه ، وكأنه بلسان الحال يردد قول الامام مالك أعوذ بالله من قول ليس تحته عمل .

ولقد عبر الشيخ مصطفى عن نزعته العملية وكرهه للجدل العقيم الذى لا طائل تحته ، ففى رده عن علة الخلق ، يقول « لو أن للبحث فى هذا الموضوع فوائد عملية لهان علينا أن نثير حوله غبار المناقشـة بين العقل والدين ، ولكننا لا نشعر بمكان الفائدة من هذا الجدل » [١] .

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ١٧٤ وموقفه يوافق ما ذهب اليه شيلر فى خصائص المذهب الانسان انظر د . عثمان أمين شيلر ٤٩ .

٢ ـ استقلال الفكر :

كذلك كان من سمات فكره الناضج استقلال الفكر ، وعدم خضوعه لآراء السابقين أو التأثير عليه ؛ وأن هذا الاستقلال يضمن للفكر حريته وموضوعيته ونزاهته ، ولقد وضح حرصه على ذلك من موقفه فى العلاقة بين الدين والفلسفة ، ورفضه أن تكون الفلسفة خادمة للدين ، بل لكل منهجه وطريقته ، وجعل الفلسفة خادمة للدين ضرر بالفلسفة والدين ، أما ضرره بالفلسفة أنه يحدد مسبقا لمقدماتها نتائج تقليدية ويجعل بحثها عن الحقائق موجها الى غاية هى تأييد الدين : فتأخذ هى أيضا شكلا دينيا مقدسا لا يتناسب مع حرية البحث والنقد [1] .

وايمانه بحرية الفكر واستقلاله جعله ينأى عن موقف الجامدين الذين يوصدون كل باب أمام العقل ، ويخشون الرأى والاجتهاد ويزهدون فى البحث والاستقصاء ، ولقد كان فكره نموذجاً رائعا لحرية الفكر والاجتهاد ، وكان موقفه مميزا فى ذلك الاتجاه العقلى الذى يخضع الأشياء لحكم العقل فى حرية كاملة غير متأثر بمواقف معينة أو مقيدا بفكر معين ، واستقلال الفكر يعنى الموضوعية وعدم التعصب لفكرة أو رأى أو جنس ، وفى منهجه لدراسة تاريخ الفلسفة الاسلامية أبرز ذلك العنصر الذى يتسم بالموضوعية والانصاف ، فهو لم ينكر على الباحثين الغربيين جهودهم ، ولكنه رأى انها لا تخلو من التعصب وطالب أن يكون الانصاف والتسامح والنزاهة أساس تعاون الناس جميعا فى خدمة العلم وأن يكون استقلال الفكر هو أساس المنهج العلمى .

٣ ـ عدم التسرع فى الحكم :

ان استقلال الفكر يتطلب الأناة والروية ، وذلك لأعمال الفكر

---

(١) مصطفى عبد الرازق ـ آثار ١٢٥ .

ونظرة العقل الفاحصة ، ولا يتطلب ذلك العجالة وسرعة اصدار الحكم ، وما عرف عن الشـيخ مصطفى من هدوء وأناة ورزانة جعله ينزع ذلك المنزع ؛ ولم يعرف عنه العجالة أو السرعة أو التهور سواء فى فكره أو فى حياته الخاصة ، وكل ذلك أبعـده عن التطرف فى كل نواحيه ، ونأى به عن الجمود ، وهذا ما جعله يبدو محافظا ، وفى الحقيقة أنه لم يمل الى القـديم من حيث قدمه بل من حيث هو صالح وذو قيمـة ، وما نرى أنه استمسك بقديم يتعارض مع العقل ، ولا أحجم عن حديث يتوافق مع العقل ؛ وان كانت خطـاه فى ذلك ليست كعجالة وسرعة المتطرفين ، ذلك لأن خطوات العقل ثابتة وصحيحة ، أما التطرف ففيه من العجالة والمغالاة ما يجعله عرضـة للخطأ ، ولا يستطيع أحـد أن ينكر مواطن الجـدة والابتكار وطابع الهـدوء والاتـزان فى فكر الشـيخ مصطفى ومنهجـه •

٤ ــ الاهتمـام بالمضمون :

كذلك ما يميز فكره هو اهتمـامه بالمعنى والمضمون ولا يقف عنـد حد الشكل بل ينفذ الى عمق الجوهر ويلتمس المعنى من وراء الشـكل أو الألفاظ ، ولقد وضح ذلك جليا من تفسيراته المتعـددة لمعنى شعائر الدين وما ترمى اليه كتفسيره لمعنى الهجرة النبوية والعبادات كالصـوم والأعياد الاسلامية ، وغير ذلك من المعانى ؛ الذى يهتم فيها بابراز المعنى والكشف عن مضمونها ، وما تهدف اليـه ، وفى هـذا لا يخلو فكره من نغمـات صوفية معتـدلة •

٥ ــ تحليـل الأفكار :

لقد قام فكره على أساس قاعدة التحليل الديكارتيه ، التى تحـلل الفكرة الى عناصرها الأولية البسيطة ؛ ولقد وضح ذلك من دعوته الى فهم الدين على طريقة السلف قبل قيام الفرق الاسلامية ، التى ذهبت بها المذاهب ونأى بهـا التطرف عن روح الدين ، ونادى بالعـودة الى

بساطة الدين والى عهد النبى حيث ملأ الايمان القلوب والعقول ، وغمرها بذلك النور الفطرى وقادها الى العمل المثمر الجاد .

كذلك وضحت قاعدة التحليل عنده فى دراسته القيمـة عن الدين والوحى والاسـلام . حتى أرجع هـذه المفاهيم الى عناصرها الأولية المكونة لهـا .

٦ ـ البعد عن التعصب :

وما يميز فكره هـو البعـد عن التعصب للرأى والجنس ، فهـو لا يتعصب لفكر معين يردده أو يدافع عنه ، دون اقامة دليـل ، ولا يؤمن بتفوق جنس على آخر ، بل يؤمن بالموضوعية والانصاف واعطـاء كل فكر حقه ، والاذعان للحقيقة ، والخضوع للحق ، والبعد عن الأهـواء والانزلاق الى المهاوى والخطأ والضلال ، وسوف نرى من خـلال ذلك البحث ، بعده عن التعصب ، وحبه للحقيقة ، والتزامه بقواعد البحـث العلمى ، وبعده عن التعصب بكافة صوره .

٧ ـ نقد الفكرة قبل قبولها :

يقوم منهجه على نقد الفكرة من قبل قبولها والايمان بهـا ، فانه يخضعها لحكم العقل ونقده ، ويخضعها لموازينه ومقاييسه ، فعملية الامتحان والاختبار العقلى تسبق عملية التصـديق . فلا نؤمن بالفكرة من قبـل اثبات صلاحيتها أمام العقل ، ونرى تطبيقه لتلك القاعدة تتجلى بوضوح فى دعوته لتطهير الدين من الشوائب التى ألصقها البعض به ، وتخليص العقـول من أوهام الجهل ، وعـدم الخضوع أو الاذعان الفكرى لفكرة لمجرد شيوعها وذيوعها ، بل لابد أن تمحص وتمتحن صلاحيتها من قبل الايمان بها وتصديقها ، وهى طريقة تقـوم على تنقية أفكارنا وامتحانها ، وان نتخلص من تلك الأوهام العالقة بأذهاننا وألا نؤمن بشىء على أنه حق إلا بعد أن يثبت بوضوح أنه حق أمام عقلنا .

٨ ـ النظرة الكلية :

لقد امتاز فكرة بالنظرة الكلية الشاملة ، وربط الجزئيات بالكليات ، ورد المسائل المتفرعة الى أصولها التى تجمعها ، فلا يقف الفكر عند الجزئى ولا يغرق فى المسائل الفرعية بل يردها الى الحقيقة الكلية التى تجمعها ، ولقد كانت عنايته بعلم أصول الفقه الذى رأى فيه بذور الفلسفة الاسلامية ، والذى يقوم بربط المسائل الفرعية الفقهية والجزئية بأصول وأحكام فقهية عامة دليل على نوعية تفكيره الفلسفى المنطقى ، ولقد وضح الاتجاه المنطقى فى تفكير الشيخ مصطفى ، فاهتم بوضع الحدود والتعريفات ، واتصف بدقة البحث ولطف الفهم ، وحسن الاستدلال ومراعاة النظام المنطقى •

٩ ـ التوفيق بين القديم والحديث :

ما يميز تلك الحركة هو الأخذ بثقافة الغرب وموقفها من تلك الثقافة ، فمنهم من أسرع الخطى وجذبه الجديد وتعلق به وآثره على القديم وانقطعت صلتهم به ، ومنهم من حرص على القديم واحيائه وصد عن الحديث وانقطعت صلتهم به ، ومنهم من سار بخطى وئيدة ثابته ، لا يحجم عن الحديث ولا يهمل القديم ، بل يأخذ من الحديث ويمزجه بالقديم ، وهؤلاء يقيمون تقدمهم فى روية وأناة ، وفى مراحل التطور الفكرى لابد من أن يوجد معارضون ومؤيدون ، محافظون ومجددون وجامدون ومتطرفون ، وهذه سمة من سمات التطور ، ولكل اتجاه شيعته ومريدوه ، والذى يعنينا هو أن نشير الى موقف الشيخ مصطفى من حركة التطور الفكرى والتى قد أخذت تتبلور وتظهر فى المجتمع المصرى : وهى قضية الأصالة والتجديد ، وموقف الشيخ مصطفى يمثل الجانب الفلسفى لمدرسة الأستاذ الامام ، ولقد أشرنا أيضا الى ميوله العقلية واستعداده ونزوعه العقلى ، وكذلك دراسته الواسعة للتراث الاسلامى القديم ، واطلاعه على الثقافة الغربية والمامه بها ، كل ذلك جعله مؤهلا ليقوم برسالة التوفيق بين القديم والحديث بين حضارة الشرق وثقافة

الغرب ، ولقـد كان بحق خير ممثل لأداء هذه الرسالة ، وهى مهمـة تقوم على أساس عقلى ، فلا يأخـذ بالقديم برمته ولا الحديث بكليته ، بل يخضعهما لمقياس عقلى ، فيأخـذ منهما ما يقضى العقـل بصلاحيته وقبوله ، وهو فى هذا يأخذ بمنهج عقـلى يخضع فيه الأشـياء لنقـد العقـل وحكمه .

ومنهج الشيخ مصطفى متأثر تأثرا كبيرا بالمنهج الديكارتى . فهـو يطبق قواعد المنهج الديكارتى فى جانب كبير من منهجه ، مثل استخدامه لقاعدة التحليل واستقلال الفكر ، وعـدم التسرع فى الحكم ، وعـدم التسليم بصحة الفكرة ما لم يثبت صحتها أمام العقل [1] .

كذلك يخضع منهجه لروح الاسلام وتعاليمه والأخذ بهذه التعاليم السمحة البسيطة ، بعيدا عن تمحلات الفرق واختلافاتها ؛ وما أدخـل على الدين من أوهام ومعتقدات فاسـدة دخلت الى الدين ، واعتبرها البعض خطأ أنها من الدين ، فبعد فى منهجه عن تلك الأوهـام والمعتقدات الفاسدة ، وبعد أيضا عن الجدل العقيم .

سابعا : اشعاعات تفكيره :

يعتبر الشيخ مصطفى رائد للفلسفة الاسلامية ، ونموذجـا فريدا للباحث المدقق ، وأستاذا جامعيا نادرا ما يجـود بمثله الزمان ، ولقـد أثمرت اتجاهاته الفكرية فى خلق جيل من الباحثين من تلاميذه ، الذين اهتدوا بهديه واقتدوا به وأخلصوا لأستاذهم ، وحملوا رسالته وواصلوا مسيرته ، ونذكر من هؤلاء التلاميذ على سبيل المثال لا الحصر « محمود الخضيرى وعثمـان أمين ومحمد عبد الهـادى وعلى سامى النشـار ، أما الأول وهو محمود الخضيرى فكان أقوم تلاميذ مصطفى عبد الرازق ، وأكثرهم شبها بالأستاذ فى خلقه الهادىء ومنهج حياته ؛ ولقد اتجهـت دراساته فى مصر وفرنسـا فى مجموعها نحـو « علم الكلام » وقضى

---

(١) انظر ديكارت مقال فى المنهج ترجمة محمود الخضيرى .

السنوات الطوال يتقصى مباحثـه ويتفهم أسراره بصبر عميق ومنهـج ثابت ، حتى أمكن أن يكون الحجة الأولى فى هذا العلم بين كافة الباحثين .. أما التلميذ الثانى من تلامذة الأسـتاذ وهو عثمان أمين ، فقـد أخـذ بوجهة أخـرى حديثة هى دراسـة الآثار الفكرية لمتكلم حديث هـو (محمد عبده) ولقـد أنفق عثمان أمين جهـدا كبيرا فى وضـع آراء محمد عبده فى صـورة تركيبية لمذهب فلسفى . وقـد أضفى على آراء الرجل كثيرا من منهجه وروحه . ولقـد كان له دور بارز فى ابراز الفكر الاسلامى المعاصر ، وقام بالقاء المحاضرات فى الجامعات المصرية والعربية والأجنبية عن جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ومحمد اقبال ومصطفى عبد الرازق ، وكان من أشـد تلاميذ الشيخ مصطفى وفاء له ، وقـدم عنه الكثير من البحوث للتعريف بفضله ، ولقد انتشرت كتب عثمان أمين عن أقطاب المدرسة الاسـلامية الحديثة ، فى مصر والعـالم العربى ثم ترجمت الى كثير من اللغات الأجنبية ، ولقد احتـل عثمان أمين مكانه فى المدرسة الاسلامية الحديثة عن استحقاق كبير .. أما التلميذ الثالث من تلامذة الأستاذ فهو محمد عبد الهادى أبو ريده ، وقد تابع فى مبـدأ حياته منهج أسـتاذه مصطفى عبد الرازق ، فكتب كتابه القيم ابراهيم ابن سيار النظام وآراؤه الفلسفية ، وقد أثبت اثباتا رائعا عبقرية النظام الفلسفية وعبقريته الفكرية ... أما التلميذ الرابع فهو على سامى النشار وقد اختلف مع استاذه فبينما يرى الأستاذ أنه كان لفلاسفه الاسـلام أصالة فكرية ، تجعل لهم طابعا خاصا يتميزون به من فلاسفة اليونان ، يرى التلميذ ان هؤلاء الفلاسـفة كانوا امتـدادا فكريا لا يختلف عن فلاسفة اليونان .

ولقد انتشرت آراء المدرسة الاسـلامية فى الشرق فزخرت بهـا سـوريا ، وظهرت آراء تلك المدرسة فى العراق على يد محمد بن بديع الشريف ، وهو عراقى درس فى باكورة شبابه فى مصر [١] .

---

(١) د. على سامى النشار : نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام — المقدمة .

وهــذه هى أهــم الشخصيات المعــاصرة الممثلة لمدرســة مصطفى عبد الرازق والتى ذكرها الدكتور على ســامى النشار فى مقــدمة كتابه نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام ، على أننا يجب أن نلاحظ أن فضــل مصطفى عبد الرازق قد عم الجيل المعاصر بصفة عامة . وأن هذا الفضل يمتد أثره الى أجيــال متلاحقة ، ذلك لأن فكره ينبع من اهتمامه الكبير بالناحية الانسانية ، فقدم لنا بفكره وعمله صورة مثلى للانسان الفاضل وما يجب أن يكون عليه الانســان ، فان هذه النزعة الانسانية فى تفكيره هى التى كتبت لفكرة الخلود ، وجعلته أجل ألا ينسى . وأن تحيا ذكراه دائما بيننا كواحد من أولئك أصحاب الرسالات الروحية التى لم تعــدم الانســانية وجــودهم عبر مراحــل التاريخ المختلفة : والذين قدمــوا للانسانية زادها الروحى ، ورســموا بفكرهم ومبادئهم أجــل صــورة وأعظم مثل للانسان ، ولسوف تظل ذكراه وتعاليمه باقية طالما وجــدت نفوس متعطشة للاصــلاح عاشقة للخــير محبة للجمال واعية للحــرية متمسكة بالقيم والمثل العليا ، واذا كنا دائما فى حاجة الى تلك التعاليم التى أرشدنا اليها الشيخ مصطفى فما أحوجنا اليوم الى الكشف عن تلك الآثار الخــالدة .

وأيضا ان منهجــه فى البحث والتزامه بقــواعد البحث ، أصبح مثلا يحتذى لكافة الباحثين ، ولقد أعانه ذلك الالتزام ، أن تصبح كتبه مرجعا علميا لا غنى عنه لكافة الباحثين ، لذا فان انتاجــه العلمى سوف يظل مؤثرا فى الأجيال المتعاقبة من الدارسين ، سواء بما وصــل اليــه من نتائج علمية قيمة ، أو لفت نظــر الباحثين الى موضوعات جــديدة عليهم أن يتعمقوا فيهــا .

ثانيا : مصطفى عبد الرازق والفلسفة الاسلامية :

ان الناظر فى آثار الشيخ مصطفى الفكرية : يلاحظ أنــه له مكانة فكرية ممتــازة ، تمتاز بالجــودة والابتكار ، وتتصف بالعمق والالتزام

بالمنهج العلمى الصحيح ، ومن أبرز آثاره الفكرية التى حرص الشيخ مصطفى على ابرازها والتى تمتاز بالدقة والطراقة ، وهو رأيه فى الفلسفة الاسلامية ومنهجه فى دراستها ، وسنعرض لذلك فيما يلى :

١ ــ منهجه ومذهبه فى الفلسفة الاسلامية :

يعد الشيخ مصطفى أول من قام بتدريس الفلسفة الاسلامية من المصريين فى الجامعة المصرية ، وقدم فى هــذه الدراســة منهجه الفريد ومذهبه فى الفلسفة الاسلامية ، استعرض فيــه الشيخ مصطفى آراء الغربيين من مستشرقين ومشتغلين بتاريخ الفلسفة ، وذكر آراء تنمــان وكوزان وريناان ، وهــذه الآراء تنكر أصالة الفلسفة الاسلامية ، وأنها مجرد شرح لآراء أسطو وتطبيق مذهبه على قواعد دينهم تطبيقا أعمى ، وأرجعوا ذلك لعــدة أســباب منهــا :أن القرآن يعــوق النظر الحــر ، وسيطرة حزب أهل السنة وهو حزب مستمسك بالنصوص ، وانكار وجود فلســفة عند الجنس السامى الذى منــه العرب ، وأن الفلســفة عند الساميين اقتباس وتقليد (١) ، ولقد نقد الشــيخ مصطفى هذه الآراء ، وبين ما فيها من أخطــاء علمية ومنهجيه ، لا تتفق مع أصــول البحث العلمى ، وأن هذه الآراء لا تخلو من اضطراب ، وبين أنها تقوم على التعصب الجنسى ، والدينى ، وأن العلم قــد أثبت خطأ نظرية تفــرق الأجناس ، ومع أن الأحكام التى توصل اليها هؤلاء الباحثون لم تعــد قضايا مسلمة ، إلا أن الشيخ مصطفى يعلق على تلك الآراء بموضــوعية العالم وانصاف وأمانة الناقد فيقول « فان الناظر فيما بذل الغربيــون من جهود فى دراسة الفلسفة الاسلامية وتاريخها لا يسعه إلا الاعجاب بصبرهم ونشاطهم ، وسعة اطلاعهم وحسن طريقتهم ، واذا كنا ألمعنــا الى نزوات من الضعف الانسانى تشــوب أحيانا جهــودهم فى خدمة العلم ، فانا نرجو أن يكون فى تيقظ عواطف الخــير فى البشر وانسياقها

---

(١) مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ٥ ــ ١١ .

الى دعوة السلم التام والنزاهة الخالصة والانصاف والتسامح ، مدعاة للتعاون بين الناس جميعا على خدمة العلم باعتباره نورا لا ينبغى أن يخالط صفاءه كدر » (١) .

وانتهى الشيخ مصطفى الى أن للفلسفة الاسلامية كيانا خاصا يميزها عن مذهب أرسطو ومذاهب مفسريه ، وأن فيها عناصر يونانية غير مذهب أرسطو ، وفيها عناصر من آراء هندوسية وفارسية ، ثم ان فيها ثمرات من عبقرية أهلها ظهرت فى تأليف نسق فلسفى قائم على أساس مذهب أرسطو ، مع تلافى ما فى هذا المذهب من نقص باختيار آراء من مذاهب أخرى ، وبالابتكار ، وظهرت أيضا فى أبحاثهم فى الصلة بين الدين والفلسفة (٢) فهو بذلك لا ينكر أثر العوامل الأجنبية فى الفكر الاسلامى وتطوره ، لكن هذه العوامل مهما يكن من شأنها ، فهى أحداث طارئة على الفكر الاسلامى ، صادفته شيئا قائما بنفسه ، فاتصلت به ، لم تخلقه من عدم ، وكان بينهما تمازج أو تدافع ، ولكنها على كل حال لم تمح جوهره محوا (٣) .

ويحدد الشيخ مصطفى منهجه فى دراسة الفلسفة الاسلامية ، ويبين أن المسلك الطبيعى فى دراسة الفلسفة الاسلامية ، هو استكشاف الجراثيم الأولى للنظر العقلى الاسلامى فى سلاستها وخلوصها ، ثم مسايرة خطاها فى أدوارها المختلفة من قبل أن تدخل فى نطاق البحث العلمى ومن بعد أن صارت تفكيرا فلسفيا ، وجريا على هذه الخطة شرع فى البحث عن بداية التفكير الفلسفى عند المسلمين ، والبحث فى بداية التفكير الفلسفى الاسلامى يستدعى الالمام بحال الفكر العربى واتجاهاته حين ظهر الاسلام ، وعرض للديانات التى كانت سائدة فى العرب حال ظهور الاسلام ؛ فقد كان منهم يهود ونصارى وصائبة

---

(١) مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ١٢ — ٢٧ .
(٢) مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ٢٥ .
(٣) مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ٩٨ .

ومجوس ومشركون ، ولقد شرح هـذه المذاهب ، وعلق عليهـا بقـوله « كل ذلك يدل على أن للعرب عند ظهور الاسلام ، كانوا يتشبثون بأنواع من النظر العقلى ، يشبه أن تكون من أبحاث الفلسفة العلمية ، لاتصالهم بما وراء الطبيعة من الألوهية وقدم العالم أو حدوثه ، والأرواح والملائكة والجن والبعث ونحو ذلك » وأيضا كان لديهم نوع آخر من التفكير العملى دعت اليه حاجة الجماعة البشرية وفهم العـرب معنى الحكمة ، بأنهـا العلم والفقه بما يفيد صـلاح الناس فى ابدانهم ويحقق معنى العـدل والنظام بينهم ويمنع الخصام ، وذكر أسـماء حكماؤهم من الرجـال والنسـاء (١) .

وينتقل بعد ذلك الى وصف حال العرب بعد الاسلام ، والاسـلام دين وشريعة « أما الدين فقد استوفاه الله كله فى كتابه الكريم ، ولـم يكل الناس الى عقولهم فى شىء منه ، وأما الشريعة فقد استوفى أصولها ثم ترك للنظر الاجتهادى تفصيلها » (٢) لذا فان القرآن قد نهى المسلمين عن الجدل فى الأمور الاعتقادية إلا عند الحاجة وعلى مقدارها من غير أن يشجع المسلمين على المضى فيه ، ودعا القرآن الى الأخـذ فى هـذا الجدل برفق عند الحاجة الى الجدال ، والقرآن قد ذكر الحكمة وأثنى عليها وشجع على نموها ، ويشرح الشيخ مصطفى المقصود من الحكمة التى شجع عليهـا القرآن ، أنها الحكمة بمعناها اللغـوى ، أى العلم النافع والفقه فىشئون الحياة بتعرف الحق وامضائه (٣) فالقرآن قـد شجع على الحكمة العملية المتصلة بحياة الانسان ، ولقد كان لهذا التوجيه القرآنى أثره العظيم فى توجيه النظر العقلى عند المسلمين فى عهـدهم الأول ، وتوقف أهـل السلف عن الجـدل فى العقـائد كمباحث القـدر والاستطاعة وغيرها من المباحث النظرية الجدلية التى نهى عنـه القرآن

---

(١) مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ١٠١ـ١٠٧ .
(٢) مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ١١٣ـ١١٤ .
(٣) مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ١١٨ـ١١٩ .

ويرى الشيخ مصطفى أن بداية النظر العقلى فى الاسلام ، كان فى المسائل الشرعية العملية ، فقد نشأ فى الاسلام مؤيدا من الدين ، وقـد ورد فى الكتاب والسنة الثناء على الحكمة والحكم ، والتنويه بفضلهما ، فمهد ذلك لانتعاش النظر العقلى فى الشؤون العملية [١] .

والاجتهاد بالرأى هو بداية النظـر العقلى فى الاسلام ، وقـدم الشـيخ مصطفى دراسـة قيمـة للرأى وأطواره ، وبين طبيعة الرأى العقلية ، وهى الاعتمـاد على الفكر فى استنباط الأحكام الشرعية وهـو مـرادف للقيـاس والاجتهـاد ، وهـو أيضـا مـرادف للاستحسان والاستنباط [٢] .

وتتبع الشيخ مصطفى نشأة الرأى وأطواره عند المسلمين ، وبين أن الرأى فى عهد النبى عليه السلام اشـتمل على وجهين : أحدهما تشريع النبى نفسه بالرأى فيما لم يرد به وحى ، والثانى اجتهاد الصحابة فى زمن النبى واستنباطهم برأيهم أحكاما ليست بعينها فى الكتاب والسنة ، وقدم أمثلة تطبيقية لاستخدام النبى عليه السلام للرأى واجتهاده فيما لا وحى فيـه ، وكـذلك لاجتهـاد الصحابة بالرأى فى عصر النبى فى حضرته وفى غيبته ، وانتهى الى أن الرأى كان أصلا من أصول التشريع أيام النبى ، وقـد كان نتيجـة لاستخدام الرأى ، ظهـور مفتون من الصحابة أيام النبى [٣] .

وذكر آراء علماء المسلمين الذين يقولون بأن النبى كان على شريعة العقل قبل نزول الوحى . وأنه قد استمر عليها فيما لم يقض به الوحى بعد نزوله .

وتابع دراسته للرأى فى عهد الخلفاء الراشدين ، ذكر اتفاقهم على

---

(١) مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ١٢٢ .
(٢) مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ١٣٨ .
(٣) مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ١٤٦ .

استعمال القياس فى الوقائع التى لا نص فيها من غير نكير من أحد منهم وأورد أمثلة من ذلك فى عهـد أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ، ولقد صارت أصـول الأحكام الشرعية فى ذلك العهد أربعـة هى : الكتاب والسـنة والرأى أو القياس ، والاجماع أى ما عليه جماعة المسـلمين من التحليل والتحـريم ، وبين أن الاجمـاع فى بدء أمره طور من أطـوار الرأى ومظهر من مظاهر تنظيمه (١) .

وفى عهد بن أمية ، ظهـر أثر الرأى وأهله فى الفقه الاسـلامى ، وانقسم الفقهاء الى أهل رأى وأهـل حديث ، وأهل الرأى هم الذين يعتمدون على سرعة أفهامهم ونفاذ عقولهم وقوتهم فى الجـدل ، وأهل الحديث هم الذين يعتمدون على السنن والآثار ولا يأخذون من الرأى إلا بما تدعو اليـه الضرورة (٢) .

وذكر الشيخ مصطفى أن مظاهر التفكير الفلسفى تتجلى بوضـوح عند الشافعى ، فى دراسته لعلم أصـول الفقه والتى ظهرت فى مؤلفـه « الرسـالة » ففى هذا المؤلف نلمح نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام ، ويذكر الشيخ مصطفى تلك المظاهر الفلسفية ، أنها تقوم على النظـرة الكلية ، فهى تعنى بضبط الفـروع والجزئيات بقـواعد كلية ، وفيهـا نرى الاتجاه المنطقى الى وضع الحـدود والتعاريف أولا ، ثم الأخـذ فى التقسيم والتمثيل والاستشهاد لكل قسم ، وقـد يعرض الشـافعى لسرد التعاريف المختلفة ليقارن بينها ، وينتهى به التمحيص الى تخـير ما يرتضيه فيها ، ومنها أسلوبه فى الحوار الجدلى المشبع بصور المنطـق ومعانيه ، حتى لتكاد تحسبه لما فيه من دقة البحث ولطف الفهم وحسن التصرف فى الاستدلال ، والنقض ومراعاة النظـام المنطقى ، حـوارا فلسفيا على رغم اعتمـاده على النقل أولا وبالذات واتصـاله بأمـور

---

(١) مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ١٥٨ــ١٧٢ .
(٢) مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ١٧٨ــ٢١٧ .

شرعية خالصة ومنها الايماء الى مباحث من علم الأصــول تكاد تهجــم على الالهيات أو علم الكلام ، كالبحث فى العلم ، وأن هناك حقا فى الظاهر والباطن وحقا فى الظاهر دون الباطن ، وأن المجتهد مصيب أو مخطىء معذور - والفرق بين القرآن والسنة ، وعلل الأحكام ، وترتيب الأصــول بحسب قوتها وضعفها ، وقــد اســتدل الشــافعى على حجية الســنة وما دونها من الأصول فلفت الأذهان الى حجية القرآن نفســه ، وهى مسألة وثيقة الاتصال بأبحاث المتكلمين » [١] .

ولقد عد الشيخ مصطفى علم أصول الفقه ، وثيق الصلة بالفلسفة ، وقال « انه اذا كان لعلم الكلام ولعلم التصــوف من الصلة بالفلســفة ما يسوغ جعل اللفظ شاملا لهما ، فان علم أصــول الفقه المسمى أيضا علم أصول الأحكام ، ليس ضعيف الصلة بالفلسفة ، ومباحث أصــول الفقه تكاد تكون فى جملتها من جنس المباحث التى يتناولهــا أصــول العقائد الذى هــو علم الكلام ، بل انك لترى فى كتب أصــول الفقــه أبحاثا يسمونها مبــادىء كلامية هى من مباحث علم الكلام ، وأظن ان التوسع فى دراسة تاريخ الفلسفة الاسلام سينتهى الى ضم هــذا العلم الى شعبها » [٢] .

واذا كان علم الفقــه يختص بالأحكام العملية ، فان هنــاك علم الكلام الذى يختص بالمسائل الاعتقادية ، ولقــد عرض الشيخ مصطفى لنشأة علم الكلام ، وبين أن المسلمين فى الصــدر الأول كانــوا يرون ألا سبيل الى تقرير العقائد إلا بوحى أما العقل فمعزول عن الشرع ، وكانوا يرون التناظر والتجادل فى الاعتقــاد يؤدى الى الانســلاخ من الدين [٣] ، وتتبع حال العقائد الايمانية فىعهد الخلفاء الراشدين ، وبين أنه كان على ما كان عليه فى عهــد النبى عليه السلام ، وبين أنه قد حدث

---

(١) مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ٢٤٥ .
(٢) مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ٢٧ .
(٣) مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ٢٧٢ .

فى ذلك العهــد خلاف فى أمور اجتهادية ، ان تكن متصــلة بالأحــكام العملية ، فان لها من الخطــر ما جعلهــا أساسا لاختلافات مستمرة بين المسلمين ورفع من شأنها حتى وصلها بأمــور العقائد ، وعلى قواعدها قام كثير من الفرق الاسلامية [١] .

وتتبع العقائد الدينية ، ويذكر الشيخ مصطفى اتفاق المتكلمين فى أن الكلام يثبت العقائد الدينية بالبراهين العقلية كما يدافع عنها ، أو هو انما يدفع الشبه عن العقائد الايمانية بالكتاب والسنة ، وهــذا الخلاف يرجع الى الخلاف فى أن العقائد الايمانية ثابتة بالشرع ، وانما يفهمها العقــل عن الشرع ويلتمس بعــد ذلك البراهين النظرية ، أو هى ثابتة بالعقل على معنى أن النصوص الدينية قررت العقائد الدينية بأدلتهــا العقــلية (٢) .

ولقد رأى الشيخ مصطفى أن الفلسفة الاسلامية ، تتمثل فى العلوم الاسلامية الخالصة ، وتتجلى فى أبحاث المسلمين فى أصول الفقه وعلم الكلام ، وأننا نلتمس فى تلك العلوم الفلسفة الاسلامية ، أكثر مما نجدها عند الكندى والفارابى وابن سينا وغيرهم .

ولقد قدم الشــيخ مصطفى فى كتابه « فيلسوف العرب والمعــلم الثانى » دراسة عن بعض فلاسفة الاسلام ، هما الكندى والفارابى ، وعرض لآرائهما ومنزلتهما فى تاريخ الفكر الفلسفى عند المسلمين .

ولقد آمن الشيخ مصطفى بأهمية الفلســفة الاســلامية ومكانتها وأثرها فى التراث الفلســفى العــام ، فدعى الى ضرورة دراســة آثار الفلاسفة الاسلامية ، وذكر أنه متى درست آثار الفلاسفة الاسلاميين حق دراســتها ــ وذلك يحتــاج الى كد الذهن وطــول الصبر وحسن

---

(١) مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ٢٨٣ .
(٢) مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ٢٨٣ــ٢٩٥ .
(٣) مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلســفة الاسلامية ٢٦٤ .

الاستعداد وتحصيل الآلة المعينة على تفهم تلك الأساليب ، ومتى نشر للباحثين ما لم ينشر من آثار القوم ، وهو كثير ، فسنعرف عن يقين نصيب الفلسفة الاسلامية من التراث الفلسفى العام » (١) .

ولقد أوضح الشيخ مصطفى أثر الفلسفة الاسلامية فى الفلسفة اليهودية وبين أنها ثمرة للفلسفة الاسلامية ، وكذلك امتداد أثرها الى الفلسفة المسيحية عبر الفلاسفة اليهود الذين كان لهم الفضل فى تعريف المسيحيين بالفلسفة الاسلامية فى القرون الوسطى (٢) .

والتصوف باعتباره فرعا من فروع الفلسفة الاسلامية قد درسه الشيخ مصطفى واشترك مع ما سينون فى اصدار كتاب عن الاسلام والتصوف ، وما سينون يعتبر حجة فى دراسة التصوف الاسلامى . وللشيخ مصطفى مقالة عن التصوف نشرت فى مقدمة التحقيق لكتاب اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازى .

ويعرض الشيخ للأقوال التى قيلت فى معنى صوفى ومتصوف وأصلهما ، ويرجح أن الصوفى نسبه الى الصوف ، وأن المتصوف مأخوذ منه أيضا ، فيقال تصوف اذا لبس الصوف كما يقال تقمص اذا لبس القميص ، وهو مختار كبار العلماء من الصوفية مثل صاحب اللمع وشارح الرسالة القشيرية .

وعرض لأساس التصوف وما مر به من أدوار ، وبين أن التصوف كان طريقا من طرق العبادة يتناول الأحكام الشرعية من ناحية معانيها الروحية وآثارها فى القلوب ، فهو يقابل علم الفقه الذى يتناول ظواهر تلك العبادات ورسومها ، ثم انتقل التصوف فأصبح طريقا للمعرفة يقابل طريق أرباب النظر من المتكلمين ، وأصبح الكمال الدينى هو التماس

---

(١) مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ٤٥ .

(٢) مصطفى عبد الرازق : كلمة فى مقدمة كتاب موسى بن ميمون — حياته ومصنفاته — تأليف اسرائيل ولفنسون .

الايمان والمعرفة من طريق التصفية والمكاشفة ، وأصبح عبارة عن بيان هذه الطريقة وسلوكها ، ولما شاعت بعد ذلك أقاويل الفلاسفة والمتكلمين فى الصانع وصـــدور الموجودات عنـــه وما الى ذلك من عوالم الأرواح وشؤون الآخرة ، فتكلم الصوفية فى كل ذلك على منهجهم الذى لا يعتمد على نظـــر ولا على نص ولا معرفة إلا من ذاق ما ذاقـــوا ، وهم يرون ما تكلموا به حق اليقين الذى لا يقبل الشـــك ولا يلحقه البطـــلان ، ولا يدركه إلا من بلغ مرتبة العرفان •

وتحدث الشيخ مصطفى عن الأحوال والمقـــامات ، وعرض للأقوال التى تفرق بينهما ، والأقوال التى توحد بينهما ، فمنهم من يقـــول بأن الأحوال مواهب والمقامات مكاسب أى تنال بالكسب مع الموهبة ، ومنهم من يقول الأحوال من نتائج المقامات ، والمقامات نتائج الأعمـــال ، فكل من كان أصلح عملا كان أعلى مقـــاما ، وكل من كان أعلى مقـــاما كان أعظم حـــالا •

وعرض للولاية ، ومعنى الولى عند المتكلمين وعند الصوفية ، وعرض لكرامات الأولياء وذكر آراء الأشعرية والمعتزلة وآراء الصوفية ، وفرق بين الكرامة والمعجزة ، وبحث فى نبـــوة النســـاء وولايتهن وصلة المرأة بالتصوف الاسلامى ، وقدم دراسة عن رابعة العدوية [1] •

ولقد انتهى التصوف على أيدى أصحابه الى مجرد أشكال ورموز واعتقادات خاطئة ، وهـــو ما يبدو اليـــوم لدى بعض اتبـــاع الطرق الصوفية ، وحـــاد عن طريقه ونهجـــه القـــويم ، وأصبح منبتا للبـــدع والضلالة والجهـــل بحقيقة الدين ، وأصبح محصورا فى الشكل والرسم مقيدا بهما ، وهذا ما لا يوافق روح الدين ، فضـــلا على أنه لا يوافق روح التصـــوف الأولى والتى قامت معارضة للنزعات الشـــكلية والتقيد بالمظهر فى الدين ، ومن هنا عارض الشيخ مصطفى تلك النزعة المضلة ،

---

(١) مصطفى عبد الرازق الاسلام والتصوف ٢٩ ــ ٧٨ •

وشن حملة على أولئك الأدعياء كالحملة التى شنها ابن تيمية والامـام محمد عبده من قبل ، فيقول ناقدا ما آل اليه حال القوم وتمسكهم بالآلية والمظهرية فى احدى حلقات الذكر « أعوذ بالله أن تكون من دين الفطرة تلك الهزات المضطربة ، وذلك الهدير تفيض به الحناجر . ولو ودت أن أولئك المساكين اذ لم يستفيدوا من هذا العبث لأرواحهم جعلوا منـه نفعا لأجسامهم ، فنظموا حركاته على وجه يمرن عضـلاته العاملة حتى يصير نوعا من الألعاب الرياضية المفيدة ، وحتى يمكن أن يلتمس له من الوجهة الدينية شبها بالرمى والوثب على الخيل ، وقد ندب اليهما الشارع صلى الله عليه وسلم وكثير من صحبه من بعـده ، كلا انهم حرصـوا على حركات تقليدية تشوه جمال الخلقة الانسانية ونظامها ، وتشـوش التناسب فى النمو بين أعضـاء البدن ، وانك لتعـرف المدمنين على تلك الأذكار بعلامات لا تختلف ، اذ تغلظ رقابهم وتتدلق بطونهم وتربو أسافل ظهـورهم [1] .

واذا كان الشيخ مصطفى يقر كرامات الأوليـاء إلا أنه لا يقـر ما عليه البعض من دعـاة التصوف من المغـالاة فى كرامات الأوليـاء واعتقادهم الخاطىء فى ذلك واتخاذهم وسيلة الى الله والالتجاء اليهـم فى قضاء حوائجهم ، والاعتقاد فى كرامتهم أحياء وأموات .

وبعد ، هذا عرض موجز قدمناه لمنهج الشيخ مصطفى ومذهبه فى الفلسفة الاسلامية ، وقد وضح جليا منهجه الموضوعى القائم على الحيدة التامة ، والبعد عن الأهواء والتعصب بكافة صـوره ، ووضح أيضـا اعتماده على النصوص الفلسفية للفلاسفة الاسلاميين ، ولآراء القـدماء والمحـدثين من مسـلمين ومستشرقين ، وحسن فهـم واستخدام لتلك النصوص ، وقدم آراء له قيمتها ومكانتها ، بحيث تمثل ذخـيرة علمية

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٨٦ — ٨٧ .

وتعد مرجعا هاما للباحثين فى الفلسفة الاسلامية على مدى أجيال متعاقبة ، وفتح آفاقا للبحث فى مجال الفلسفة الاسلامية ، ونبه الباحثين الى موضوعات عليهم أن يبحثوا فيها ويتعمقوا فى دراستها ، وهو بحق رائد فى الفلسفة الاسلامية .

تعقيب

لقد جمع مصطفى عبد الرازق بين سمات الرجل الفاضل فى أخلاقه وسلوكه وسمات المفكر فى منهجه وعلمه ، ولقد زادته تلك السمات الشخصية قوة ودقة فى علمه ومنهجه ، بحيث قدم لنا صورة مثلى تند عن الوصف لما ينبغى أن يكون الانسان علما وخلقا ،فكرا وعملا ، بحيث أنه يمكن القول بأنه قد عاش فكره ، وتطابق عنده الفكر والعمل .

ولقد كانت تلك السمات الشخصية التى تحلى بها الشيخ مصطفى ، وراء كل أفكاره الاصلاحية ، التى تنم عن نظرة انسانية عميقة ، وفهم كامل لما ينبغى أن يكون عليه الانسان فكرا وعملا .

ولقد قدم الشيخ مصطفى منهجا علميا له مكانته ، جمع فيه كل مميزات المنهج العلمى القويم ، فأقام أساسه على الموضوعية ، والبعد عن الأهواء والميول الذاتية ، وأن ينشد الفرد الحقيقة ، وهو بهذا يعبر عن الموقف الاسلامى الصحيح ، الذى يطالبنا بالبحث عن الحقيقة ، فالحكمة ضالة المؤمن ، وعليه أن يجد فى البحث عنها أنى وجدها ، بعيدا عن كل ألوان التعصب ، والميول والتقليد . وغير ذلك من المعوقات التى تعوق الانسان عن الوصول الى المعرفة الصحيحة .

وأيضا كان منهجه خير تعبير عما ينبغى أن يبحث عنه الانسان ، وما ينبغى أن يكف عن البحث عنه ، وهو موقف اسلامى يعبر عن ما قصد اليه الدين وطالب به معتنقيه ، فلقد طالب الدين المؤمن بأن يسلم بأشياء وأن يبحث عن أشياء ، أى أنه ليست كل الحقائق الدينية بوسع العقل

أن يدركها ولكن هناك من الحقائق ما يجب أن يسلم بهـا العقل ، ومن الحقائق ما يستطيع العقل ادراكها فلقد طالبه الدين بأن يجد فى البحث عنها ، وضرورة التأمل والتفكر فيها ، وسنرى من خـلال عرض الفكر الدينى عنده . كيف حـدد دور العقـل فى الدين ، وكيف بين أن الدين لا يعارض العقـل ، وحدد العـلاقة بين الدين والعقـل ، فحفظ للدين قداسته وللعقل مكانته .

أيضا كان منهجه فى ربط الفكر والعمل ، ملبيا لما يحتاجه المسلمون اليوم ، حيث أن التمسك بأبحاث نظرية جدلية عقيمة لا طائل تحتهـا ، ولا فائدة ترجى منها ، بل انها استنفاد للطاقة الانسانية بلا أدنى فائدة ، وتوجيه لتلك الطاقة فيما لا يعـود على الانسـان بالخـير ، بل تورث الشقاق والخلاف وتؤدى الى الضعف والقعود عن العمل ، ولهـذا كله آثاره السيئة على الفرد والمجتمع ، ولقد كان فى هذا معبرا عن رأى الدين فى البعد عن الجـدل العقيم وعدم توسيع دائرة الجـدل فى العقائد ، وعدم البحث عن كيفية الأشياء والموضوعات النظرية التى لسنا فى حاجه اليها ، ولا يسـتطيع العقـل أن يدرك حقيقتها ، ولقـد بين ذلك كله الشيخ مصطفى خير بيان على نحو ما سنرى عند عرض آرائه .

خلاصة القول لقد استطاع الشيخ مصطفى أن يمدنا بمنهج قـويم يعبر عن روح المنهـج الاسـلامى الصحيح ، بعيدا عن خلافيات بعض الفرق الاسلامية والتى بعدت عن روح الاسلام وتوجيهاته .

أيضا قـد اسـتطاع الشـيخ مصطفى أن يمـزج بين تلك الروح الاسلامية الأصلية فى البحث ، وبين روح المنهج العلمى المعاصر ، فأفاد من ثقافته الغربية المعاصرة ، واطلاعه على تلك الثقافة ومنهجها . ولم يقف عند حد المعرفة والاعجاب بتلك الثقافة ومنهج الباحثين الغربيين ، بل كان مطبقا للقواعد الصحيحة فى ذلك المنهج .

ولقد وضحت المزاوجة بين المنهج الاسلامى الأصيل فى البحث وبين

المنهج العلمى الحـديث ؛ فى معظم ما تعرض له الشيخ من دراسـات علمية ، ولعل أوضح تلك الدراسات العلمية هو رأيه ومنهجه فى الفلسفة الاسلامية ٠

والواقع أن المنهج الذى قدمه الشيخ مصطفى نحتاج اليه فى حياتنا وتطبيقاتنا العلمية والعملية ؛ وخـير نموذج لما ينبغى أن يكون عليـه البحث العلمى ٠

الفصل الثانى

الفكر الدينى عند الشيخ مصطفى عبد الرازق

الناظر فى فكر الشيخ مصطفى يجد نفسه ، وسط رياض يانعه من رياض الفكر ، بحيث لا يستطيع أن يميز بينها ، أو يفضل احداها على الأخرى ، وسنحاول فيمـا يلى أن نلم بأحـد هذه الأطراف ، ونتعرف على الجانب الدينى فى فكر الشيخ مصطفى ، وذلك لأهمية هـذا الجانب فى حيـاة الانسان « ففى الطبع الانسانى جوع الى الاعتقاد كجوع ـ المعدة للطعام » [1] وكذلك يمثل هذا الجانب أهمية خاصة عند الشـيخ مصطفى ، فهو رجل دين وفكر على السـواء ، وعلاوة على ذلك فلقد كان داعيـة دينية من طـراز فريد ، يدعو الى العـودة بالدين الى ينابيعه الأولى الصافية ، السمحة البسيطة ، وكان له مؤلفه القيم عن (الدين والوحى والاسلام) عرض فيه بمنهج علمى وبأسلوب أدبى شرح هـذه المفاهيم الثلاثة ، وسوف نوجز رأيه فى تحديد هذه المفاهيم .

أولا : تعـريف الدين :

يعرض الشـيخ مصطفى فى دراسته للدين ، لتعريفـه وتحـديد الخصائص التى تميز كل دين ، وذلك على أسـاس منهجه التحليلى . الذى يرد الشىء الى عناصره المكونة له فى أبسط صورة . ولقد بدأ فى بحثه بالمعنى اللغوى لكلمة « دين » باعتبـار ان اللغـة مظهر التفكير الانسانى دينيا أو غير دينى . ويعرض رأى القدماء والمحدثين من الغربيين والعرب فى تفسير معنى كلمة (دين) .

نشر هذا البحث للمؤلف فى الكتاب التذكارى عن مصطفى عبد الرازق الذى اصدره المجلس الأعلى للثقافة ١٩٨٢ .

(١) عباس محمود العقاد : الله وهو كتاب فى نشأة العقيدة الالهية .

ويتابع الشيخ مصطفى عرضه لمختلف وجهات النظر فى أصل الدين ، ويذكر تعريفات « دوركايم » واعتراضات « لالاند » على هذه التعريفات • ثم يخلص بعد هذا العرض الى وضع تعريف محدد يتسع لهذه المذاهب كلها ، وهو تعريف (جامع مانع) بلغة المناطقة • ويذكر هذا التعريف العام فيقول (هو المعنى القائم على ان الدين والايمان بأن الموجودات كلها ليست من نوع واحد ولا فى مرتبة واحدة بل بعضها أسس من سائر الأنواع ، أو هو الايمان بذلك بشرط أن يكون ملة تجتمع على الأخذ بها أمة من الناس) [١] •

وهناك معنى خاص للدين ، وهو الذى قرره القرآن باعتباره وحيا من الله الى أنبيائه الذين يختارهم من عباده ويرسلهم أئمة يهدون بأمر الله) [٢] •

ثانيا : الوحى :

الوحى ظاهرة هامة صاحبت الأديان وتوقفت عليها نشأتها ، ولقد درس الشيخ مصطفى ظاهرة الوحى دراسة قيمة ، بين فيها أصل كلمة « وحى » من الناحية اللغوية من حيث انها تعنى الاسرار والاعلام فى الخفاء ، وأصل مادة الوحى هو السرعة والخفاء معا ، ومعناه فى القرآن (ايحاء الله الى أنبيائه ورسله أى القاؤه اليهم ما يريد أن يعلمون من المعارف الدينية) [٣] • وعبر عن الروح السائدة فى كتب أهل السنة فى تفسير الوحى ، وانها تنزع غالبا الى تصوير الملك والوحى بصورة مادية [٤] •

وبين تفسير الفلاسفة الاسلاميين للوحى على أنه اتصال النفس

---

(١) مصطفى عبد الرازق : الدين والوحى والاسلام ص ١٢ ، ١٣ •
(٢) مصطفى عبد الرازق : الدين والوحى والاسلام ص ٢٩ ، ٣٠ •
(٣) مصطفى عبد الرازق : الدين والوحى والاسلام ص ٥١ •
(٤) مصطفى عبد الرازق : الدين والوحى والاسلام ص ٥٧ •

الانسانية بالنفوس الفلكية اتصال معنوى (وليس عندهم فرق بين الوحى والالهام إلا ان الأول يكون للنبى والثانى للعـارف) [١] • وبين رأى الصوفية فى الوحى ، فهو تلقى النبى للشرائع الالهية بواسطة ملك [٢] • وذكر رأى ابن خلدون فى الوحى ؛ وأنـه استعداد فى النفس البشرية للانسلاخ من بشريتها والانضمام الى الملكية « جنس الملائكة » وأصحاب تلك النفوس هم الأنبياء [٣] وانتهى من هذه الدراسـة للوحى ، بذكر رأى استاذه الامام محمد عبده فى الوحى ، بأنه عرفان يجـده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من فعـل الله بواسطة أو بغير واسطة والأول ـ بصوت يتمثل بسمعه أو بغير صوت [٤] •

ثالثا : مثال للدين القائم على الوحى « الاسلام » :

بدأ بمناقشة المعنى اللغوى لكلمة « اسـلام » ، وذكر جملة أراء عديدة من المفسرين ، والتى ترى أنها عبارة عن الدخـول فى السـلم والانقياد أو المتابعة ، وتعنى أيضا اخلاص الدين والعقيدة لله تعالى ، ثم ذكر آراء المحدثين من المستشرقين ، وهم يرون أن اسم « اسـلام » يرجع الى معنى من الطاعة والخضوع غير ارادى ، أى التسخير لارادة قاهـرة • وذكر رأى ـ « سيد أمـير على » الذى يعارض به رأى المستشرقين ، ويتصور أن المعنى الشرعى للاسلام ، هو تحـرى الرشد وتزكية النفس وذلك يعنى الطاعة الارادية وليس الانقياد الأعمـى ثم يدحض آراء « ادوارد رسل » فى أن جملة ما ورد فى القرآن من لفظ « اسـلام » وما أشتق منـه يؤديان معنى الانقيـاد الظاهر والطاعة بالجوارح فقط ، ويرى الشيخ مصطفى أن هـذه الآراء لا تقـوم على أساس ؛ لان ما ذكر فى القرآن من لفظ « اسـلام » وما أشتق منـه

---

(١) مصطفى عبد الرازق : الدين والوحى والاسلام ص ٧١ •
(٢) مصطفى عبد الرازق : الدين والوحى والاسلام ص ٧٦ •
(٣) مصطفى عبد الرازق : الدين والوحى والاسلام ص ٧٨ •
(٤) مصطفى عبد الرازق : الدين والوحى والاسلام ص ٨٠ •

مقابلا للايمان ومخالفا له ــ بحيث يدل الاســلام على العمــل الظاهر والايمان على التصديق ــ لا يعدو ثلاث آيات أو أربع آيات ، أما اجماع المفسرين على استعمال الاسلام فى معنى آلى فغير صحيح لكل مطلع على التفاسير المختلفة للقرآن .

ويخلص الشيخ مصطفى الى الرأى الراجح فى نظره . بأن المعانى اللغوية من مادة « سلم » على اختلاف ألفاظها وصيغها والمعانى الحقيقية المتولدة عنها تعنى الخلوص من الشوائب الظاهرة والباطنة وتعنى الصلح والأمانة وتعنى الطــاعة والاذعان . وفعــل « أسلم » كذلك يدل على الدخــول فى السلم بمعنى الطاعة ، ومعنى (اسلام) صالح للدلالة على كل هذه المعانى السابقة .

رابعا : الاســلام والايمــان :

اختلفت الفرق الاسلامية فىمعنى الايمان والاســلام ، فمنهم من رأى انهما مختلفان فى المعنى ، بينما رأى غيرهم انهما متفقان فى المعنى والاسم وانهما واحد ، ويعلق الشيخ مصطفى على هذا الخلاف بقوله « فالخلاف على هذه المسألة انما هــو فى الحقيقة من تمحلات الفــرق والتماسها دقائق البحــث اندفاعا وراء جموح النظر ، فهــو مصطنع اصطناعا » [1] .

ويرى ان هؤلاء قد أخطــأوا عنــدما أرادوا أن يلتمسوا أدلة من القرآن على آرائهم ، فانتهو الى أن جعلوا للاسلام معانى مختلفة عن الايمــان ، ولكنه يرى انهما متفقــان . ودلل على صحة رأيه بأدلــة أولها (ان القرآن يقرر ان الدين واحــد على لسان جميع الأنبيــاء وهو الايمــان بما يجب الايمــان به ، وانمــا تختلف الشرائع أى الأحكام العمليــة) [2] .

---

(١) مصطفى عبد الرازق : الدين والوحى والاسلام ص ٩٤ .
(٢) نفس المرجع ص ٩٦ .

وثانيهما : هو تفسير الآيات التى وردت فيها صيغة اسلام ، وقد استعرض آراء المفسرين فى هذه الآيات (وأن الاسلام فيها هو التوحيد واسلام الوجه لله • وذلك يقتضى أن لفظ اسلام لم يرد فى القرآن إلا مستعملا فى معناه الشرعى مرادفا للايمان) (١) •

وثالثهما : ان القرآن سمى اتباع دين محمد (الذين آمنوا) وفى ذلك اشعار بأن معنى الايمان والاسلام متفق غير مختلف (٢) •

ويرجع رأى الشيخ مصطفى فى اتفاق الايمان والاسلام الى رأى الكثير من أهل السنة ، وخاصة أبو منصور الماتريدى (٣) •

ويتجلى عمق نظر الشيخ مصطفى فى رأيه فى مكانه الأعمال البدنية فى الدين (فالأعمال البدنية نفسها لا يكون لها اعتبار فى دين المسلمون بحسب صورها الظاهرة وانما هى معتبرة بالنيات والهيئات النفسانية التى هى مصدرها ، وفى القرآن (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ••• ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم حديث هو أحد الأحاديث التى عليها مدار الاسلام ، ••• وهذا الحديث هو « انما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى » فالأعمال الخالية من الايمان ليس لها أدنى اعتبار ، فالايمان شرط لصحة هذه الأعمال ، وليست طاعة الجوارح الظاهرة التى تفتقر الى النية تسمى طاعة (٤) •

خامسا : الفلسفة والدين (العقل والنقل) :

من المشكلات التى تواجه الانسان هى كيف يستطيع التوفيق بين معتقده وبين عقله وكيفية الموائمة بينهما ، واذا كان الدين يقوم على

---

(١) نفس المرجع ص ١٠٠ •
(٢) نفس المرجع ص ١٠٠ •
(٣) أبو منصور الماتريدى : التوحيد ص ٣٩٣ وما بعدها •
(٤) مصطفى عبد الرازق الدين والوحى والاسلام ١٠٢ ، ١٠٣ •

الايمان الذى هو التصديق ، فهل يتعارض مع العقـل الذى يقوم على الاقناع ؟ ولقد شغلت هذه المشكلة الباحثين من كل ملة ودين • ذلك لان التوفيق أمر طبيعى ليحقق الانسان الانسجام بين معتقده وبين عقـله والفكر الاسـلامى زاخر بمثل هذه المحاولات وروح الدين الاسـلامى وتعاليمه تدعو الى الأخذ بالوسط فى كل الأمور •

ولقد عرض الشيخ مصطفى لبيان هـذه العلاقة عند المسـلمين ، فعرض لمحـاولة الكندى فى التوفيق بين الفلسـفة والدين [١] • وذكر رأى الفارابى وابن رشـد ولخص رأى الفلاسفة فى التوفيق بقـوله (والدين والحكمة عند هؤلاء الفلاسفة يفيض كلاهما عن واجب الوجود على عقول البشر بواسطة العقل الفعال ، فلا فرق اذن بين الحكمة والدين من جهة غايتهما ولا من جهة موضوعاتهما ولا من جهة مصدرهما وطريق وصولهما الى الانسان ، والفرق بين الفلسفة والدين عند الفارابى هو من وجه أن طرق الفلسـفة يقينية ، أما طريق الدين فاقنـاعى ••• ويرى ابن سينا : أن بين الدين والفلسفة فرقا آخـر هو ن وجهة الدين عملية أصالة ، ووجهة الفلسفة بالأصالة نظرية) [٢] • والشيخ مصطفى يفرق بين طبيعة كل من الدين والفلسفة ، فطبيعة الدين تقـوم على الايمـان والتصديق ومصدره القلب ، وطبيعة الفلسفة تقوم على النظـر والفكر ومصدرها العقل ، لذا فهو يرفض أن تكون الفلسـفة خادمة للدين وأن تتخذ وسيلة لتأييده ، لان ذلك يضر بالفلسفة والدين على حـد سـواء (أما ضرره بالدين فلأنه يعرض عقائده وهى عواطف قدسية تتأثر بهـا النفس كما تتأثر بلهجة الجمال لمناقشـات العقل ومناقضاته وأنك لترى عقائد الدين فى سذاجتها كانت تملأ صدور الناس فلا تدع فيها موضوعا لغير الله حتى ليهتف هاتفهم وهو يترامى الى الهلاك والرماح شاجرات :

---

(١) مصطفى عبد الرازق : فيلسوف العرب والمعلم الثانى ص ٤٧ .

(٢) مصطفى عبد الرازق : الدين والوحى والاسلام ص ٣٥ : ٣٦ .

ولســت أبالــى حــين أقتل مسـلما
عـلى أى جنـب كان فى اللــه مصرعى

كان ذلك البدوى يعتقد بدينه كما يحب ابنه ، فأنت سائل أبا : لم تحب ولدك ؟ ولما صارت عقائد الدين فلسفة تكتسب بالأدلة وخرجت عن حكم المشاعر القلبية الى حكم النظريات العقلية ؛ وجـد فى خيار المؤمنين من يقـول :

كـل يعـــزز رأيـــه يا ليت شعرى ما الصحيح (١)

فحقائق الدين كما يراها الشيخ مصطفى عاطفة قلبية تعنى التسليم والتصديق ، وتملأ نفوس معتنقيها وتدفعهم الى التضحية والفنـاء من أجلها ، أما محاولة البرهنة والاثبات العقلى ، فانه يوقع هذه الحقـائق فى دائرة الجـدل والمتناقضات العقلية ، مما يفسـد جمالها وجلالها . (وأما ضرره بالفلسفة فلأنه يحدد لمقدماتها نتائج تقليدية ويجعل بحثهـا عن الحقائق موجها الى غاية هى تأييد الدين فتأخذ هى أيضـا شـكلا دينيا مقدسا لا يتناسب مع حرية البحث والنقد) (٢) .

وليس معنى ذلك ان الشيخ مصطفى يرى أن هناك تعارضـا بين الدين والفلسفة ، بل هـو يرى ضرورة اتفاقهمـا وتعاونهما لاسـعاد الانسان ، ولكنهما طريقان متمايزان يتفقان فى الغـاية ، ويتعاونان على تحقيقها ، ولكن للدين طريقته ودعامتها القلب ، وللفلسفة طريقها ودعامتها العقل . فيقول موضحا تلك العلاقة (أن أقصى أمانى الدين والفلسـفة ان يتعاونا على اسعاد الانسان هذا من طريق القلب والعواطف وهذا من طريق العلم والنظر لا أن يتلاقيا فى ميدان واحد وجها لوجه) (٣) . وبهذا لا يكون هناك تعارض بين الدين والعقل ، طالما أنهما يتعاونان على تحقيق

(١) مصطفى عبد الرازق : آثار مصطفى عبد الرازق ص ١٢٥ .
(٢) مصطفى عبد الرازق : آثار مصطفى عبد الرازق ص ١٢٥ .
(٣) مصطفى عبد الرازق : آثار مصطفى عبد الرازق ص ١٢٥ .

غاية واحدة ، هى اسعاد الانسان ، واذا لم يكن هناك تعارض بينهما ، فان للعقل دورا ومكانا فى الدين .

سادسا : دور العقل فى الدين :

يرى الشيخ مصطفى ان الدين له جانبان ، الأصول التى لا تتبدل والشرائع العملية التى تتفاوت بين الأنبياء وهى هدى ما لم تنسخ (والاسلام جمع بين الدين والشريعة ، أما الدين فقد استوفاه الله كله فى كتابه الكريم ، ولم يكل الناس الى عقولهم فى شىء منه ، وأما الشريعة فقد استوفى أصولها ثم ترك للنظر الاجتهادى تفاصيلها) [١] .

لذا فان القرآن قد نهى المسلمين عن الجدل فى الأمور الاعتقادية إلا عند الحاجة وعلى مقدارها من غير أن يشجع المسلمين على المضى فيه ، ودعا القرآن الى الأخذ فى هذا الجدل برفق عند الحاجة الى الجدال ، والقرآن قد ذكر الحكمة واثنى عليها وشجع على نموها ، ويشرح الشيخ مصطفى المقصود من الحكمية التى شجع عليها القرآن فيقول (هى الحكمة بمعناها اللغوى ، أى المعلم النافع والفقه فى شئون الحياة بتعرف الحق وامضائه .... والنظر فيما ورد فى القرآن والسنة من استعمال كلمة (الحكمة) يدل على ان المراد بها العلم الذى يتحصل بالعمل) [٢] .

ولقد أكد الدين دور العقل فى المسائل الشرعية العملية ، ودعى اليه (وقد ورد فى الكتاب والسنة الثناء على الحكمة والحكم والتنويه بفضلهما ، فمهد بذلك لانتعاش النظر العقلى فى الشؤون العملية) [٣] .

---

(١) مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ص ١١٣ الى ١١٤ .

(٢) مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ص ١١٨ — ١١٩ .

(٣) مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ص ١٢٢ .

ويؤكد الشـيخ مصطفى رأى الدين واقراره بحـرية الفكر ومكانة العقل ، ويؤكد هذا المعنى بقوله (قد تنبهت العقول وزالت غشاوة الغفلة عن بصائر الناس ففهموا أن الدين ليس غلا للقلوب ولا قيدا للأفكار ، ولكن الدين كما يقول الشـيخ محمد عبده ، قـد كفل للانسـان أمرين عظميين طالما حرم منهما ، وهما استقلال الارادة واستقلال الرأى والفكر وبهما كملت انسانيته واستعد أن يبلغ من السعادة ما هيأه الله له بحكم الفطرة التى فطر عليها) (١) .

ونوجز القول أن الشيخ مصطفى يرى أن للعقـل دورا فى الدين ، وان رأيه ان مجال العقل خاص بالشرائع العملية ، انما هو ابعـاد العقل عن الجدل فى الأمور الاعتقادية التى تقوم على التسليم لا على الجدل ، والتى لا سبيل له الى معرفتها معرفة كاملة وادراك حقيقتها ، وليس فى هذا انكار للعقـل ، أو أن الايمـان خال من العقـل ، بل ان العقـل باستطاعته أن يعلم بضرورة الايمان ، وبوجود موجود كامل أبدى ليست له حدود ، والموجـود الذى ليست له حدود لا يحيط به ادراك العقـل المحدود . فالايمان القائم على التصديق والتسليم ، لا يخلو من معرفة وعلم ، والعقل هو طريق الى معرفة الدين (وان الذين يفكون العقـول من اغلالها انما يمهدون لها السبيل الى الحق ، والدين من أسمى الحقائق فى هذا الوجـود) (١) .

سابعا : تطهير الاعتقاد ومحاربة البدع والضلالات :

لقد آمن الشيخ مصطفى بأن العقل المستنير والدين الملىء بالأساطير لا يجتمعان فى دماغ واحـد ولقد أحدث ثورة على الجمود الفكرى ودعى الى تطهير المعتقدات الخاطئة ، حتى يتوفر للانسـان صحة الاعتقـاد واستقامة السلوك ، ويعود المسلم الى بسـاطة الدين فى اعتقاده دون

---

(١) مصطفى عبد الرازق : آثار مصطفى عبد الرازق ص ٥٠١ — ٥٠١ .
(٢) مصطفى عبد الرازق : آثار مصطفى عبد الرازق ص ٥٠٢ .

مغالاة ، والى سلوك المسلمين فى عهدهم الأول ، فعارض الغلو فى كرامات الأولياء واتخاذهم وسيلة الى الله لقضاء حوائجهم ، وهذا الاعتقاد فاسد ، لان الاسلام لا يقر واسطة بين العبد والرب ، ويقر بأن الصلة مباشرة بين الانسان وخالقه ، ولقد عارض الشيخ مصطفى هذا الغلو والاسراف فى اعتقاد الناس بكرامات الأولياء [١] • وعارض اعتقاد الناس بالجن وتأثيرها فى حياتهم •

كما عارض ما يضفيه الناس على بعض الأماكن من قدسية ومعان ومعتقدات دينية ، فيعلق على الأخبار التى يرويها الرواه من أحاديث وآثار عن نهر النيل باعتباره نهرا من انهار الجنة فيقول (تلك معان من العواطف والعقائد كانت تتناسب مع حال الانسانية فى غرارتها وطفولتها وقد ارتقت عواطف الناس الى درجة أكمل من هذه فأصبحوا يجدون فى الجبال والأنهار ونحوها وما يتصل بربوعهم ومنازل أقوامهم معانى وطنية شريفة) [٢] •

وعرض الشيخ مصطفى لبعض العادات الاجتماعية التى تشيع فى المجتمع ، وتأخذ صبغة دينية ، حتى وقع فى ظن البعض انها من الدين ، وذلك بالرغم من خطئها • ومن تلك العادات الفاسدة — تقبيل الأيدى كمظهر لاحترام رجال الدين ، ويقول معلقا على هذه الصورة السيئة (وأن أولئك الذين يمدون أيديهم طويلة الى الأفواه لينشرون جراثيم المرض ويبذرون معها بذور الذلة فى أنفس طيبة ساذجة) [٣] •

وعرض للعادات السيئة التى يحيى الناس بها المواسم الدينية ،

---

(١) مصطفى عبد الرازق : محمد عبده ص ٣١ — ٣٢ ونظر ايضا آثار مصطفى عبد الرازق ص ١٠٠ •

(٢) مصطفى عبد الرازق : آثار مصطفى عبد الرازق ص ٢٦١ •

(٣) مصطفى عبد الرازق : آثار مصطفى عبد الرازق ص ٢٥٤ •

وما يقترف فيها من أخطاء ، وأن أعيادنا تأخـذ صبغة واحـدة متشابهة لا يمايز بينها [١] .

وهذه نماذج لمحاربة الشيخ مصطفى للمعتقدات الخاطئة والعادات السيئة ودعوته الى تطهير الاعتقـاد ، ونستطيع أن نلخص دعـوته فى محاربته للبدع والعادات السيئة أنه يرمى الى تطهير الاعتقاد من الأوهام والمغالاة ، وتخليص العقل من الجهـل والخرافات ويرمى الى تقـويم السلوك بالتخلص من تلك العادات السيئة ، فهى وجهة اصلاحية ، وبذا يتوفر للانسان صحة الاعتقاد واستقامة السلوك ، ويعـود المسلم الى بسـاطة الدين فى اعتقـاده دون مغـالاة ، والى سلوك المسـلمين فى عهـدهم الأول .

ثامنا : الفهم الصحيح للدين والبعد عن المغالاة :

اذا كان الدين لا يلغى العقـل ، يؤكد دوره ويشجعه على التدبر والتفكر ، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية تفيض بالدعوة الى ذلك ، فعلى العقل أن يأخذ دوره فى فهم الدين وتعقله ، وعملية الفهم والتدبر انما هى التماس المعنى من وراء صور العبادات والأحكام التى شرعها الدين وفهم الحكمة منها والغاية التى ترمى اليها ، حتى يؤديها المؤمن عن اقتناع وصدق ايمان ، ويصبح ذو بصيرة ووعى ، لا أنهـا مجرد حركة آلية يقـوم بها لا يفهم معناها أو مقصودها ، ولا شك أن الأعمال التى تصدر عن رؤية وفكر تكون ذات قيمة كبيرة ، وهى لازمة للانسـان الذى لا يكون مجرد آلة أو شىء يتحرك فى الكون بلا وعى ولا فهـم ، بل هى أخص خصائص الانسان الذى يحقق خلافه الله على الأرض .

لذا كان الشيخ مصطفى حريصا على التماس المعنى وراء العبادات والشعائر الدينية ، وفى تناوله لهذه الموضوعات من خلال كتاباته العديدة

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ١٥٢ .

لا يفتأ يذكرنا بذلك ؛ ويحـذرنا من أولئك السـذج السطحيين الذين يؤدون عباداتهم دون فهـم أو وعى أو ادراك لمعناها ، فهى لا تعـدو إلا مجرد آلية مبتذلة ، لا ترضى العقل السليم ولا تشبع الروح ، بل ان موقف هؤلاء خطر على الدين اذ يظهره أمام الناس بعيدا عن حقيقته ، وذلك كله بسبب ضيق النظر ، واهمال الفكر ، وهروب من المعنى ، دون أن يجشموا أنفسهم مشقة البحث عن المعنى •

ويشن حملة على أولئـك أصحاب النظر الضيق والفهـم الخاطىء لشعائر الدين ، والذين يلتمسون تحت شـعار الدين أشـباع رغباتهم وأهوائهم، فمنهم من يكثر من الزواج والطلاق للرغبة فى ارضاء شهواته الحسية ، تحت دعوى زيادة النسل ، نتيجة للفهم الخاطىء للمراد من قول الرسول صلى الله عليـه وسلم « تناكحوا تناسلوا ، فانى مبـاه بكم الأمم يوم القيامة » (١) •

ومن هؤلاء من يستهينون بشعائر الدين المقدسة فى نهار رمضـان ويظنون انهم باطعامهم المساكين يتحللون من أمر هذه العبـادة ، وذلك نتيجة لسوء فهمهم لحقيقة تلك العبادة (٢) •

كذلك كان ضد التقيد بالشكل فى مختلف صوره ، وما ينجم عن ذلك من جدل وخلاف ، ولقد تسبب ذلك فى شيوع الخـلاف والجدل العقيم بين العلماء ، نتيجة لتمسكهم بالمظهر وعدم التماسهم المعنى والجـوهر ، ويعرض لنا أمثلة لذلك ، مثل اختلافهم حـول كيفية رؤية هلال شـهر رمضـان (٣) •

كذلك نقد أيضا اهتمامات العلماء بالقشور وبما لا يفيد ، واصدار الفتوى بذلك ، والبعد عما يشـغل الناس فى حيـاتهم ويقوم سلوكهم

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٨٨ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ١٦٩ .
(٣) مصطفى عبد الرازق اثار ١٦٧ .

ويحتاجون اليه فى توجيه أعمالهم ،فينقد مثلا فتوى العلماء فى تحـريم لبس القبعـة [١] .

ان هـذا الاهتمام بالقشور وتوافه الأمـور انما يجعل علماء الدين يبعدون عن البحث الجاد ، ويسم تفكيرهم بالسطحية ، ويحول أنظارهم الى مسـائل فرعيـة وشكلية ، بدلا من البحث فى حقيقة وادراك معنى الدين ، وآداء رسالتهم فى هداية الناس الى الطريق القويم ، ومن أمثلة ذلك اهتمامهم بمسـألة التكفير والتفسيق للمسلمين ، بدلا من الدعـوة الى الدين ، ويتول واصفا ذلك « ولما رأيت للأديان دعاة فى (هايد بارك) ما عدا دين محمد بن عبد الله ، ثارت فى نفسى غـيرة وحمية ، فكدت أصدع بالدعوة الى الهدى ودين الحق ، ثم نبهنى ناصح شفيق الى آنه ليس من اللائق أن تكون هيئة كبار العلماء منصرفة الى تكفير المسـلمين فى مصر ، فيخرج لها فى لندره من يدعـو الكفار الى الانسلام » [٢] ، ويرى الشيخ مصطفى أن من فضائل الدين الجدال بالحكمة والموعظـة الحسنة ، والبعد عن التفكير والتفسيق ورفث القول ، خصوصا فى مقام البحث والنظـر [٣] .

ان تمسك الناس بالمظهرية والشكلية وعدم ادراكهم للمعنى وفهم حقيقة الدين ، ينسم تفكيرهم بالسطحية والسذاجة ، فيجعلهم ينسـجون الأساطير والأوهـام والخرافات حـول الدين ، ويجعلونها أصـلا من أصوله ، فى حين أنهـا لا تخدم الحقيقة الدينية بل أكثر ضررا ، والدين الحق ليس فى حاجة الى مثل هـذه الخيالات الكاذبة لتأييده ، لذا أنكر الشيخ مصطفى مثل هذه المغالاة التى يلصقها البعض بالدين ، ومن ذلك تصور الأحـداث التى سبقت مولد النبى صلى الله عليه وسلم سماوية

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٤٧٦ .
(٢) مصطفى عبد الرازق اثار ٤٣٤ .
(٣) مصطفى عبد الرازق الامام الشافعى ١٠٨ — ١١٠ .

وأرضية ، ونسج الخيال حولها ، مما يضيع معه أصـل الذكرى السامية ، والتى هى أجـدر بالتذكر والاعتبـار والتى ليست فى حاجة الى أوهام وخيال هؤلاء ، فيقول « وقد يتبين ان ما ذكره أرباب السير من ارهاصات وحوادث سماوية وأرضية ، وقعت يوم مولده الشريف فيـه من الغلو مالا يقوم عنـد التمحيص ولا يحققه التاريخ » ويدحض تلك الدعاوى المتهافته التى يضيع معها جلال الذكرى . ويبين أن صاحب الذكرى له من الواقعية الحافلة بالمجـد والمكانة السامية ، ما يجـل عن مثل تلك الخيـالات (١) .

ولقد أعطانا الشيخ مصطفى تفسـيرا لمعنى العبـادات الدينية ، موضحا معناها ومبينا حقيقتها ، وما تقصد اليه ، وانها لا تقصد لذاتها ، بل تقصد الى الغاية التى ترمز اليهـا ، ولقد تنـاول معظم العبادات الدينية وبيان معناها وما ترمز اليه ، وعن فريضة الصوم يرى أنها تعنى جهاد النفس ، ويقارن بين موقف المسلمين الأوائل من هذه الفريضة ، وكيف أنهم أدركوا معنى الصيام ، وغمر الايمـان قلوبهم ودفعهم الى الجهـاد والتضحية ، وفهموا معنى الصـوم ، فصاموه حـق صومه ، وأخلصوا لله وجاهدوا فى سبيله فيقول « فان الايمان ملء تلك الصدور الطيبة الساذجة فتقبل القوم تكاليفه بالرضا صياما وزكاة وجهادا وبذلوا راحتهم وأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، وما كانت عبادتهم إلا مظاهر ايمانهم الصادق لا يدخلهـا شـوب من الرياء ، من أجـل ذلك نفعهم ايمانهم ونفعتهم عبادتهم » (٢) .

والصوم فى رأيه ليس هـو مجـرد امساك عن الطعام والشهوات الحسية : بل هو مغالبة للنفس وانتصار عليهـا وانكسار لقـوة الحس ومطالبة وضبط للنفس والتحكم فى الأهواء والرغبات ، والصـوم كذلك

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٢١٣ — ٢١٢ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٢٥١ — ٢٥٢ .

لا يقتصر على ضبط النفس ومغالبتها ، والتحكم فى رغباتها والانتصار على مطالبها ، بل ان فيه معنى أكبر من ذلك هو طاعة الواجب ، ويقول الشيخ مصطفى عن ذلك المعنى « يعرف الناس بطبيعتهم احساس الجوع والظمأ ومن ذا الذى لم يجع فى حياته ولم يظمأ ؟ ولكن للصوم حالة هى مجموع من ألم الظمأ والجوع وألم الحرمان من تناول ما يذهب بهما حرمانا ليس هو الفقر الذى يورث النفس ذلة الحقد وسورة الحسد لمن يملكون سد الجوع والعطش والغيظ من النظم الاجتماعية التى تحرم جائعا صديان ، وتعطى شبعان ريان ، وليس هو المرض الذى يجعل العذب مرا ، والمأكل الشهى غير سائغ ، بل هو الطاعة لواجب محترم تختلف وجوه احترامه باختلاف تقدير الصائمين لمعنى العبادة ، وان لم تختلف فى البعد عن أسباب الحقد والتمرد والهلع (١) .

وعن الأحداث الهامة التى حدثت فى عهد النبوة ، يرى اننا نستفيد منها دروسا وعظات ، ففى تفسيره لمعنى الهجرة ، انما تعطينا نموذجا حيا للاخلاص فى الدعوة والثبات على المبدأ ، وتحمل مسئولياته ومشقاته وعدم اليأس والانستسلام ، وهى صفات لازمة للانسان فى حياته ، لكى يحقق انسانيته ، ولقد كان الرسول قدوة فى ذلك ، فلقد كاد له قومه وألحقوا به وأتباعه الضرر البالغ ، فتسلل فى جنح الليل تاركا وطنه مهاجرا بدينه ، ليس مخافة على نفسه ، بل مخافة على دعوته ودينه وأمله فى اصلاح العالم ، « لقد ضحى محمد صلى الله عليه وسلم فى سبيل دعوته بكل شىء ، اذ خرج من مكة لا يملك شيئا ، وان كان تذكار هذه التضحية حقيقا بالاعجاب والاعظام ، فان تذكار العزيمة الصادقة والأمل الذى لا يصل اليه اليأس جدير بالاعجاب والاعظام أيضا » (٢) .

لقد أعطى الشيخ مصطفى معانى لكثير من العبادات ومدى الفهم الصحيح لها ، ولقد ذكرنا أمثلة من ذلك ، للدلالة على ذلك الفهم الصحيح

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٥٧ — ٣٥٨ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٢٧٦ .

لحقيقة تلك العبادات ، وهذا يعنى أننا لابد من أن نتعقل الدين ونفهمه وندرك معناه ، وألا نقف عند الشكل بل لابد من النفاذ الى لباب المعنى ، وفهم المقصود من العبادات ، وآدائها بوعى وبصيرة ، والجدير بالذكر أنه يؤكد على الدوافع الايجابية فى معنى الشعائر الدينية ، فالصوم مثلا لا يكون مثار السلبية ولكنه مثار الايجابية ، والفاعلية والنشاط ، فهو ليس قمع للشهوات فترة من اليوم ، بل هو حفز الهمم ودعوة الى العمل ولقد سرت تلك الروح الايجابية فى كافة تفسيراته للعبادات والشعائر والأحداث الدينية .

ولقد دعى الى ضرورة معنى العبادات الدينية كثير من المفكرين الاسلاميين قدماء ومخدثين ، من ذلك ما ذكره الغزالى فى « احياء علوم الدين » عن معانى العبادات ومن المعاصرين أصحاب الدعوة الاصلاحية التى حمل لواءها جمال الدين الأفغانى والامام محمد عبده ، وعلى هذا النحو سار الفيلسوف الاسلام المعاصر محمد اقبال فى كتابه تجديد الفكر الدينى فى الاسلام ، الى تحليل المعانى الدينية وما تحتويه من أفكار وكذلك الكاتب الاسلامى سيد أمير على فى كتابه روح الاسلام ، فى شرح معانى الفرائض العملية فى الاسلام ، ولقد استهدفت غاية هؤلاء تطهير الدين من الشوائب التى علقت به ، ومن البدع والضلالات التى ألصقها البعض فى الدين ، وكانت سببا فى ضعف المسلمين ، لأنهم كما يقول الامام محمد عبده « فقدوا الايمان بالله ، لانهم أخذوه اسما واكتفوا به علما ورسما ، وورثوا عن الآباء والأمهات صورا وعبادات لا يحوك بصدرهم شىء من معناها » (١) .

تاسعا : الدين والحياة :

الدين ينظم علاقة الانسان بخالقه ، وعلاقته بنفسه ، وعلاقته بأخوانه من أفراد الانسانية لذا فهو وثيق الصلة بالحياة ، والدين يواكب

---

(١) د . عثمان امين رائد الفكر المصرى الامام محمد عبده ١٠١ .

الانسان فى حياته ويهديه ويرشده ، فهو يؤهله للحياة الأخرى ، كما يؤهله فى الحياة الدنيا التى هى طريق السعادة فى الآخرة ، فالدين ملازم للحياة من حيث أنه يضع دستورها ، والانسان يجد فيه الزاد فى حياته والنور الذى يهديه الى الطريق المستقيم • وهو بالجملة كما يقول الشيخ مصطفى (ان الدين لا يريد بحرية الناس وسعادتهم فى بيوتهم الا خيرا) [1] •

ولقد أوضح الشيخ مصطفى مكانة الدين ودوره فى المجتمع وأثره فى حياة المجتمعات ونظامها فيقول عن مكانة الدين فى المجتمعات الشرقية (وليس معنى هذا أننا نجهل مكان الأديان فى الشرق ، باعتبارها عنصرا من أقوى العناصر المؤثرة فى حياة الجماعة ونظام الأخلاق بل فى تكوين الذوق وتربية الفكر ، وشئون الاقتصاد) [2] بل ان الدين له أثره فى تكوين نفسية الشعوب ونهضتها الفكرية والاجتماعية ، وأنه لا يمكن دراسة تلك المظاهر بمعزل عن معرفة أديان تلك الشعوب التى تتغلغل روحها خلال ذلك كله فيقول (نحن نعلم أنك لا تستطيع أن تفهم نفسية شعب من الشعوب ، خصوصا فى الشرق ، حتى تعرف مزاجه الدينى ، ونعلم أن الذى يحاول ما نحاول من تعارف الامم الشرقية وتساندها فى النهوض الفكرى والاجتماعى لابد له من دراسة ما فى الشرق من ملل مختلفة ونحل مع العناية بتعرف تطوراتها وآثار هذه التطورات فى الجماعة) [3] •

ولما كان للدين هذه المكانة فى الأمم والشعوب ومظاهر النهضة والحضارة فيها ، فلابد من ترقية ذلك الشعور الدينى لمكانته وأهميته ، لذا نرى الشيخ مصطفى داعيا الى تقوية الشعور الدينى فى الأمة فيقول

---

(١) نفس المرجع ص ٣٣٠ •

(٢) نفس المرجع ص ٤٩٧ •

(٣) مصطفى عبد الرازق : آثار مصطفى عبد الرازق ص ٤٩٨ •

(واننا لنشفق على هذه الأمة أن يضعف شـــعورها الدينى وشـــعورها الوطنى معـــا) [١] •

والدين له دوره فى حياة المجتمعات وليس بمعزل عن الحياة ، بل هو وثيق الصلة بها ، وله رسالته فى تنظيم حيـاة الجمـاعة ومسـايرة تقدمها وتطورها ، وبذا يبعد عن الجمـود والتخلف ، وقـد ترك الدين للناس أمر تنظيم حياتهم وفقا لتعاليمه الأساسية ، وأن باب الاجتهـاد مفتوح أمام أصحاب النظر والرأى • وان ضيق النظر وسوء الفهـم للدين ، يجعل الناس يتمسكون بمظاهر ليست من الدين ، وينأى بهـم موقفهم هذا عن التقدم ، وذلك لفصلهم الدين عن الحياة ، فى حين أن الفهم الصحيح للدين لا يعارض التقدم فى تلك المظاهر الاجتماعية ، من حضارة وعمران ، ويقول الشيخ مصطفى موضحا ذلك (يظهـر أن كل ما يتصل بالدين من الشئون الاجتماعية يكون بطيئا عن متابعة الحركة السارية فى أجزاء العمران • ذلك بأن هذه الشؤون وان لم تكن بميزاتها دينا فان اتصالها بالدين على أى وجه يكاد يجعلها مقدسة لا تقبل تغييرا الا بوحى منزل من السماء) [٢] •

ويؤكد فى موضع آخر عدم معارضـة الدين للتقـدم الاجتماعى ، شارحا أسباب التخلف الاجتماعى ، بسبب سوء الفهم للدين وضيق النظر فيقول (كأننا أنشأنا نشعر فى هذه البلاد بأن المصالح المنتسبة الى الدين فى حياتنا الاجتماعية تخلفت تخلفا عظيما عن خطواتنا فى سبيل الرقى ، وان كانت خطواتنا فى هذا السبيل عرجاء) [٣] •

وهو يدعو الى أن يتمسك الناس بأصالة القديم والنافع منـه ، وما يصلح أن يكون أساسا قويا لحياتنا ، وليس فى هذا مصادمة للجديد

---

(١) نفس المرجـع ص ١٧٣ .
(٢) نفس المرجـع ص ٢٤٩ .
(٣) نفس المرجـع ص ٢٥٠ .

واعراض عنه ، ويبين أن لا تعارض بين القديم النافع والجـديد النافع . فيقول (وكل ما نرجوه لهذه الأمة هو أن لا يسوء ظنها بالحـديث وأن لا تحتقر القديم ، فأن مجدها المأمول يقوم على الأخذ بالحديث واحترام القـديم) [1] .

فليس ثمة تعارض بين الدين والأخـذ بمظاهر الحضارة والتقـدم الاجتماعى ، ومعارضة الجديد باسم الدين لا تقوم على أساس من الفهم الصحيح للدين ، وفى هذا يحـاول الشيخ مصطفى أن يوفق بين القديم والحديث الذى لا يتعارض مع أساس الدين ولا يجافى مقاصده ولقـد كانت رسالته الاصلاحية تقوم على التوفيق بين القديم والحديث (ولقد أعد لها اعدادا أقل أن يعد مثله رجل آخر واستطاع أن يحسن أدائهـا بحكمته وذوقه وتسامحه ، فبهـذه الحكمة أمكن أن يتخير من بين تلك الصور المتنافرة أكثرهـا انسجاما وأقربهـا الى التوافق وبذوقه الممتاز أمكنه أن يبين من صور القديم والجديد ما يكون لوحـة أنسب ما تكون لمطالبنا وحاجاتنا ، وبتسامحه استطاع التوفيق بين ما تنافر من ألوان القديم والجـديد) [2] .

فالدين كما يراه الشيخ مصطفى لا يعارض مظاهر الحضـارة من علم وفن وتاريخ لأهمية ذلك فى حياة الانسان ، ونراه يعارض آراء هيئة كبار العلماء وآراء المذهب الوهابى حول تلك الموضوعات ، فيقول معارضا ذلك الجمـود وضيق النظر (ولقد نبرم بدين هيئة كبار العلماء الذى يدفع بالكفر كل نزوع الى العلم والفهم والذوق ، فلما جاءنا دين أهل نجد يهدم على من فيها قبابا قـد تكون آثارا غنية وتاريخية ، يعـرف خطرها أهل الفن والتاريخ ، ويقذف الجند بالحجر وبالرصاص يتداعون بالبورى ، رضينا بدين هيئة كبـار العلماء الذى أن جمد مرة اسـترخى

(١) مصطفى عبد الرازق : آثار مصطفى عبد الرازق ص ٣٧٣ .
(٢) الدكتور ابراهيم مذكور : من كلمته فى الاحتفال بالذكرى السـابعة لوفاة الشيخ مصطفى عبد الرازق نشر فى جريدة الأهرام فى ١٩٥٤/٢/٢٣ م .

مرارا ، ثم هو لم يبلغ بعد أن يقذف رصاصا ويرمى أحجار) (١) .

والدين برىء من مثل تلك الدعاوى (انما يشوه الدين أولئك الذين يريدون كيدا وتضليلا وقيدا للعقول والقلوب ثقيلا) (٢) .

واذا كان الدين وثيق الصلة بالحياة على هذا النحو ، فان من الضرورى أن تجد فيه مشكلات الحياة المختلفة دواء وعلاجا ، وواجبنا ان نفهم حقيقة الدين وحقيقة تلك المشكلات ، وان نهتدى فى حلها وعلاجها بمبادىء الدين الصحيحة ، ولقد كان الشيخ مصطفى حريصا على تجديد المعانى الدينية ، بحيث تشمل مشاكل المجتمع ، وبذا يتأكد دور الدين فى قيادة المجتمع وحل مشاكله وايجاد المجتمع الفاضل المتكامل ، وضرب لنا مثلا فى تناوله لاحدى المشكلات الاجتماعية وهى مشكلة (تعدد الزوجات) مبينا كافة الأضرار التى تنجم عن تلك المشكلة ، وانها تقتطع الحب من أساسه ، وهو أساس قيام العلاقة الزوجية فيقول (وقفت للخطبة فأتيت بالحمد والصلاة ثم جعلت أحدث الناس فى أمر الزواج لابين لهم أن تعدد الزوجات تقلع الحب من أساسه لان الحب من أساسه لان الحب موحد لا يقبل الشرك واذا ذهب الحب فعلى السعادة الصفاء فى هذا العالم كله . ولم أكد أنطلق بهذه الكلمات حتى وقف المأذون والفقهاء وعمى الحاج على الديب وصاحوا : هذا هو علم آخر الزمان لم يبق الا أن نسمع من فوق منابر الوعظ الدينى الكلام عن النسوان والحب وماذا جرى من خطب الشيخ البولاقى والشيخ السقا التى تذكر بالموت وتحبب الينا الفقر) (٣) .

وتتبع رأى الشيخ مصطفى فى أن الدين مرتبط بحياة المجتمع ، وتوجيه الحياة الى وجهة اصلاحية ، يخرج عن حدود هذا المقال الموجز ، ونكتفى بما أشرنا اليه .

---

(١) مصطفى عبد الرازق : آثار مصطفى عبد الرازق ص ٤٨٣ — ٤٨٤ .
(٢) نفس المرجع : ص ٤١٩ .
(٣) مصطفى عبد الرازق : آثار مصطفى عبد الرازق ص ١٠٢ — ١٠٣ .

عاشرا : الدين ووحدة الجنس البشرى :

ان النظرة القائمة على الجنس نظرة غير عادلة وليس من شـأنها إلا ايجاد التفرقة والانشقاق والمنازعات بين الناس • ولازالت الى اليوم دولا كبرى متحضرة لم تتخلص من آثار تلك التفرقة التى تقـوم على اللون والدم ، وتقوم على تفوق أجناس معينة على أجناس أخرى • ولقد بين الشيخ مصطفى خطورة هـذه النظرة موضحا انهـا لا تعتمد على أساس من العلم أو الحق (١) •

ولقد أوضح الشيخ مصطفى رأى الدين فى وحدة الجنس البشرى والمساواة بين للناس جميعا ، فلا تقوم تفرقة بين البشر على أساس من الجنس أو الدين ، وبذا يتحقق مبدأ المسـاواة اللازم لقيام التعـاون المشترك بين الجميع ، ويقل التنافر والتشاحن بين أفراد المجتمع الانسانى وتنعدم الحروب والمنازعات بين الدول ، ويسـود مبدأ المحبة والاحترام لكل الشعوب ، فوحدة الجنس البشرى تقوم على المساواة بين النـاس وأن يكون التمايز قائما على الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة ، ويبين رأى الدين فى ذلك فيقول « ان الله لا ينظر الى شعوبكم وأصولكم ، وانما ينظر الى أخلاقكم الفاضلة وأعمـالكم الصالحة فهى التى تقربكم الى الله زلفى ، واذا كان فى الناس من يزال الى اليوم يقضى بينهـم على أساس اللون والدم فان دين الاسلام لا وزن عنده للون والدم ، انما هى الأخـلاق الفاضلة والأعمـال الصالحة والتعارف والتآلف بين الأمم » (٢) ، واذا تحقق مبدأ المساواة كان البعد عن كل صور التعصب الدينى •

الحادى عشر : وحدة الدين والبعد عن التعصب :

يرى الشيخ مصطفى أن الدين واحد لا يختلف فى أصـوله ، وأن

---

(١) مصطفى عبد الرازق : مهيد لتـاريخ الفلسـفة الاسـلامية ص ٢٧ — ٢٨ •

(٢) مصطفى عبد الرازق : الدرس الأول وخطبتا الجمعة ص ٤ •

ما جاء به الرسل على اختلافهم هو واحـد فى أصوله ، وان تعـددت الشرائع العملية ، والأصول لا تتبدل بالنسخ ولا يختلف فيهـا الرسل ، أما الشرائع العملية فهى متفاوتة بين الأنبياء ، وهى هدى ما لم تنسخ ، فاذا نسخت لم تبق هدى ، ويؤكد أن الاسـلام ينبذ الفرقة فى الدين ، ويدعـو الى الوحدة والتآلف فيه فيقول « وقد بعث محمد بدين الاسلام داعيا الى الوحدة فى الدين والى التآلف ، ناهيا عن الفرقة ، كما فى آيات كثيرة من القرآن منها (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) » (١) .

وتلك دعوة صريحة الى وحدة العقيدة ، ودعـوة الناس جميعا الى عبادة الله ، وأن لا تفرق بهم السبل ، وألا يكون الدين سـببا للتناحر والتباغض والفرقة بين الناس ، ولقد أدرك الشيخ مصطفى مغبة الأمر الذى يحدث نتيجة للتعصب وما يحدثه من فرقة وانقسام وان سبب ذلك التعصب هو الجهل بحقيقة الأديان ، وأن العلم يبدد تلك الظلمة ، وهو وان كان يؤمن بوحدة الدين إلا أنه يرى من المتعسر أن يجتمع الناس على دين واحد ولكنه يدعو الى أن تتعارف تلك الأديان وأن تتعاون على خير البشرية ، ويعلن رأيه بوضوح فيقول « فان اختلاف الأديان كثيرا ما فرق الجماعات فى الشرق ، وأورث العداوات وحال دون التفاهم والتآلف ، وعاق النهوض . ذلك بأن كل فريق يجهل أديان الأخرين فهو ينظر اليهـا فى وحشة الجهل نظرا منكراً . ومتى بدد العلم ما بين هذه المذاهب من ظلمات ، حل الأنس محل الوحشة وكان فى ذلك خير كثير وبركة ولقـد ظن بعض المصلحين الدينين أنه يستطيع بمثل هذه الوسيلة أن يوحـد الأديان . أما نحن فلا نسرف فى الأمل ، وحسبنا أن تتعارف الأديان ، فلا تتناكر ، وأن تتعاون على الأخذ بيد البشر الى الخير الأعلى » (٢) .

---

(١) مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ص ٢٦٩ .

(٢) آثار مصطفى عبد الرازق : آثـار مصطفى عبد الرازق ص ٤٩٨ وانظر ايضا مجلة السياسة الاسبوعية فى ١٩٢٦/٢/٤ حـديث مصطفى عبد الرازق وطه حسين الى تاجور شاعر الهند اثناء زيارته لمصر ورأيه فى وحـدة الأديان .

الثانى عشر : موقف الدين من الحرية الانسانية :

لقد أخذت الحرية معانى كثيرة وصورا عديدة كالحرية النفسية والحرية الدينية والحرية الأخلاقية ، ويرى الشيخ مصطفى « أن المعنى الحقيقى للحرية هو تصرف الارادة تصرفا غير مغلوب » (١) وهذا التعريف هو ما اصطلح عليه التقليد الفلسفى •

ولقد لاحظ الشيخ مصطفى صعوبة مشكلة الاختيار الانسانى من الوجهة الفلسفية والدينية على السواء ، وعبر كل زمان فقال « نظرية الاختيار الانسانى نظرية معضلة فى الفلسفة الحرة وفى علم التوحيد • وقد وجد فى كل جيل أنصار للاختيار وأنصار للجبر ولكل من الفريقين أدلة على تأييد مذهبه يضل العقل بينهما » (٢) •

ويؤكد الشيخ مصطفى صعوبة المشكلة من الناحية الميتافيزيقية ، وآثر بحثها من الناحية الأخلاقية والعملية ، ويقول بالحرية كمطلب عملى ، وضرورة من ضرورات العمل فيقول « وعلى أننا نحب لخير الانسانية أن يشيع فى الناس الشعور بحريتهم واختيارهم لان هذا الشعور ينعش النشاط الانسانى ويدفعه فى سبيل العمل وهو يكبر فى المرء الثقة بنفسه ويجعل آماله عالية ••• أننى أدعو مع صاحب كتاب الواجب بالايمان بالحرية مقتنعا بأن هذا الايمان خير كله ولو أثبتت جميع البراهين الفلسفية أن نظرية الاختيار الانسانى غير صحيحة » (٣) وهذه الوجهة العملية للحرية لا تجعلها مطلقة ولا تجعلها سلبية ، وتخلصها من النظريات الاطلاقية ، وتجعلها ايجابية فهى ضرورة للعمل ودافع قوى إليه •

ولكن هل الدين يعارض مثل هذه الحرية الانسانية أو أن القول بها يعارض الارادة الالهية المطلقة ، والشيخ مصطفى يرى أنه ليس

---

(١) مصطفى عبد الرازق : اثار مصطفى عبد الرازق ص ١٣٣ •
(٢) مصطفى عبد الرازق : آثار مصطفى عبد الرازق ص ١٣١ •
(٣) مصطفى عبد الرازق : أثار مصطفى عبد الرازق ١٣٣ •

هناك تعارض ، اذا فهم الدين فهما صحيحا واذا فهمت حقيقة الحرية فهما صحيحا ، فالدين « قد كفل للانسان أمرين عظيمين طالما حرم منهما ، وهما استقلال الارادة واستقلال الرأى والفكر وبهما كملت انسانيته واستعد لانيبلغ من السعادة ما هيأه الله له بحكم الفطرة التى فطر عليها » (١) •

ولقد عرض الشيخ مصطفى لموقف الدين المؤيد لأحد مظاهر الحرية الانسانية ،وهى الحرية العقلية فى حرية العقل فى التفكير والاجتهاد بالرأى فى دراسته القيمة لبداية التفكير الفلسفى فى الاسلام •

التعليم الدينى :

أدرك الشيخ مصطفى أهمية التعليم فى بناء الفرد بناء سليما ، واعداده اعدادا ــ صالحا لذا كان شديد الاهتمام بالتعليم ونشره ، واقامته على قواعد صحيحة تربى الذوق والفكر وتنمى الموهبة والاستعدد ، وتنير العقل وتزوده بنور المعرفة ، ولقد دعا الى ضرورة العناية بالتعليم الدينى الذى اتسم بالجمود وعدم التطور والتجديد ، فوجة نقده الى تلك المناهج الدراسية التى كانت تدرس فى الأزهر وطريقة تدريسها وما حاوله أستاذه الامام محمد عبده من تطويرها ونكوصها من بعده فقال « ننظر فيما يضع شيوخ العصر من الشروح والحواش وما وضع الشيخ العطار والشيخ الأمير وأضرابهما ، عليهم جميعا رحمة الله ، فيخيل الينا أننا نتلو نسخا من كتاب واحد ولقد حاول الشيخ محمد عبده أن ينعش العلم القديم ويدفعه الى الحركة والحياة فزحزح القوم عن بعض كتبهم القديمة وأساليبهم فى الدرس والتأليف ••• ولكن سعى المصلح الدينى الشهير ذهب كله الا ما كان من أثر لم ينضج بعد فى نفوس طائفة من تلاميذه » (٢) •

---

(٢) مصطفى عبد الرازق : اثار مصطفى عبد الرازق ص ٥٠١ ، ٥٠٢ •
(١) مصطفى عبد الرازق : اثار مصطفى عبد الرازق ص ٢٠٨ •

ولقد أدرك النتائج السيئة التى تترتب على هذه الطريقة ومضارها العديدة ونتائجها العقيمة فهى قاصرة عن أن تربى ملكة أو تهذب ذوقا . ولقد ضمن ذلك كله فى خطاب أرسله الى أستاذه الامام محمد عبده ، فكتب اليه يقول « اننى نظرت فى أمرى بعد أن قضيت ما قضيت فى الجامع الأزهر ، واضعت ما أضعت من صحتى وشبابى فى طلب العلم ، فلم أجد ثمنا لما بذلت إلا حشدا من الصور والخيالات ، لا يضىء البصيرة ولا يبعث العزيمة » (١) ولقد دعا الى نشر التعليم الدينى فى الأمة ، وكذلك ضرورة التعليم الدينى للمرآة فقال « اذا كنا نشعر بحاجة بناتنا الى العلم وكنا لا نزال نعتقد بضرورة التعليم الدينى لامتنا ، فمن الانصاف أن نفكر فى انشاء معاهد لتعليم البنات وجعلهن شيخات » (٢) .

والدين لا يعارض العلم ، بل يدعو اليه ، ويشجع عليه ، والشيخ مصطفى يرى أن الدين صديق للعقل والعلم معا ، ويريد أن تقوم مناهج التعليم على أساس العناية بتربية الروح العلمية وغرس روح البحث ، وتنمية المواهب والاستعدادات ، وترقية المستوى العقلى وتنمية القدرة على الابتكار ، ولقد شهد بذلك كله منهجه التعليمى ابان أستاذيته للفلسفة بالجامعة المصرية ، وخلق جيل من الباحثين والعلماء ، وكان ذلك أيضا منهجه فى الكتابة والتأليف فى سائر المؤلفات والبحوث التى كتبها ، كذلك كان معنيا باقامة التعليم الدينى على أسس علمية متطورة ، وفى ابان مشيخته للأزهر حقق بعض ما يريد من ذلك الاصلاح ولم يمهله القدر لاتمام ما يريد ولكنه أدخل اللغات الأجنبية فى الأزهر وأرسل البعثات الأزهرية الى الخارج ، وكانت أعماله تحقيقا لرسالة أستاذه الامام محمد عبده .

---

(١) مصطفى عبد الرازق : اثار مصطفى عبد الرازق ص ١٦٨ .

(٢) مصطفى عبد الرازق : اثار مصطفى عبد الرازق ص ٢٦ .

الرابع عشر : خصائص الفكر الدينى عند الشيخ مصطفى :

فيما سبق عرضه تبدو قيمة الآراء التى قال بها الشيخ مصطفى فى الدين . ويبدو منها اهتمامه بالاصلاح ، واذا أردنا أن نلتمس أساس ذلك التفكير وبيان الاسس التى يقوم عليها يمكن القول أنه يقوم على محاور رئيسية : أولها : تحرير الفكر من التقليد وهذا الأساس يوضح صورة الدين الحقيقية بعيدة عن كل تطرف ومغالاة ، نقية من كل ما ألصق بالدين من بدع وضلالات ، وهذا المبدأ يعنى استقلال الفكر وعدم تبعية الانسان لغيره ، بل هو يلقى مسئولية الفهم على الانسان ، ويجعله فرض عين لا فرض كفاية ، وهو يتفق مع ما نادى به القرآن من ذم ايمان المقلدين وأجمع عليه السلف بأن ايمان المقلد أدنى مراتب الايمان ، بل ان بعضهم قال بنفيه أمثال المعتزلة وإلا شاعرة ، وثانيها : فهم الدين على طريقة السلف قبل ظهور الخلاف والرجوع فى كسب معارفه الى ينابيعها الأولى ، تلك الينابيع الصافية ، الواضحة البسيطة ، الخالية من كل تعقيد ، والبعيدة عن كل مغالاة وتطرف ، وقبل أن تدخل المذاهب والآراء والفلسفات الى الحياة الاسلامية ، وتتأثر بتلك الروافد الغربية عنها ، وتظهر الاختلافات والانقسامات ، وتظهر الفرق وتتفرق بالمسلمين السبل ، ولقد أعطانا نماذج للمعانى الدينية الصحيحة على نحو ما فهمها المسلمون الأوائل أيام النبى صلى الله عليه وسلم وما كان يملأ نفوسهم من قوة الايمان ، وحب العمل ، دون تدقيق نظر وأعمال فكر ، بل كان الايمان موافقا للفطرة الانسانية الصحيحة ، والضعف الذى أصاب المسلمين ، كان نتيجة لتلك الفرقة فى الدين ، وما صحبها من تفتت لوحدة المسلمين ، وزوال لقوتهم ، وطمع فيهم من كان يرهبهم .

وثالثها : اعتبار الدين من موازين العقل وعده صديقا للعلم ـ وهذا يعنى أن الدين لا يعارض العقل ، بل يدعوه الى التدبير ويخاطبه بالأوامر والتكاليف ، وينمى ملكاته ولو فهم الدين على حقيقته كان

صديقا للعقل وللعلم ، وانه بالدين والعقل يستكمل المؤمن نورين : نور العقـــل ونور الدين ، والقرآن والســـنة يدعوان الى العقل واستخدامه ولا يعارضان تلك الملكة التى وهبها الله للانســـان وميزه بها عن ســـائر خلقه • وكم من معارك جدلية قامت منذ القدم ، ومناقشات نظرية عقيمة بين الناس حـــول هـــذه الموضوعات ، وانتصر كل فريق لنفســـه وأنكر الآخر . ولكنهم وقوف من حيث بدأوا — فلم يزيدوا العقـــل إلا حـــيرة وضلالا ، ولم يقدموا للدين إلا بذور الشـــك فى الاعتقاد • أليس الأولى من ذلك كله هو ما رآه الشـــيخ مصطفى من أن يـــكون الدين والعقـــل طريقين متمايزين يتعاونان على اسعاد الانسان ، هذا من طريق القلب وذلك من طريق العقل ، وبذا يكون الدين صديقا للعقل والعلم •

رابعها : وظيفة الدين فى المجتمع وتأكيده لدور الدين الايجابى فى الحياة • فالدين لا يعارض الحياة الدنيا ، ولم يكن داعيا للآخرة فحسب ، بل تعاليمه تؤكـــد تلك الموازنة بين مطالب المادة ومطالب الروح ، بين الدنيا والآخرة ، فهو يؤهل الانسان للحياتين معا ، كذلك دعـــوة الدين الى العمل الدنيوى وعمارة الكون والى العمل أيضا من أجـــل الآخرة ، فالدين فى رأيه وثيق الصلة بالحياة •

خامسها : الدين يدعو الى تربية الذات الحرة القـــوية ، التى تأتى الخير عن طواعية دون اكراه ، وتتعاون مع غـــيرها من الذوات الحـــرة لاقامـــة الخـــير وتحقيق الســـعادة للبشرية بعيدة عن كل ألوان القهـــر والاكراه ، يجمع بينها الحب والمســـاواة ، تساعد على اثراء النشـــاط البشرى بمختلف صوره من علم وفن وحضارة •

سادسها : البعد عن صور التعصب ، وان يكون الدين سبيل الوحدة لا سبيل الفرقة والانقســـام وان ذلك التعصب باسم الدين انما هـــو نتيجة للجهل بحقيقة الدين ، فان الدين واحد ، وان لم يكن من الممكن أن تتوحد الأديان فعلى الأقل يجب أن تتعارف ولا تتناكر •

سابعها : دعوة الدين الى تكوين الضمير ، وتأكيد دوره ، والدعـوة الى ايقاظه ، فيكون الانسان على سلوكه رقيبا ، و لاشك ان للضمير دوره فى تقويم النفس وتعديل السلوك •

ثامنها : الدين يدعـو الى اثراء البعد الداخلى للانسان ، باشتراطه النية وتوافرها فى الأعمـال •

تاسعها : دعوة الدين الى تكوين العقل الواعى المستنير ، وذلك حتى يؤدّى دوره فى الفهم والتعمق فى أدراك حقائق الدين ، وتطهير الاعتقاد من البدع والضلالات •

عاشرها : اتفاق هذا الفكر مع روح الدين الاسلامى وما جـاء به القرآن وما جاءت به السـنة ، وبعده عن الخـلافات التى ظهـرت فى الفرق الاسلامية ، وتلك المواقف الاطلاقية وبعده أيضا عن الجـدل فى الدين ، وأن يـكون الفكر هاديا ومرشدا للعمل ، فيكون ذا ــ وجهـة عملية ذات نفع وفائدة ، أما الجـدل العقيم فانه ينفر منـه ، وهـذا عين ما جاء به الدين وأوصت به تعاليمه •

الفصل الثالث

الجانب الأخـــلاقى

تمثل الأخلاق جانبا هاما فى الانســـان ، فهى تختص بالســـلوك وتضع قوانينه ومقاييس التمييز بين الخير والشر فى الأفعـــل الانسانية والغايه منها • ولقد احتلت مكانا بارزا فى أبحـــاث الفلاسفة •

وبالنسبة لفكر الشيخ مصطفى عبد الرازق ، فلقد احتلت الأخـــلاق مكانا بارزا وجانبا كبيرا ، وذلك لأننا نجد لديه اهتماما كبيرا بالانســـان وما ينبغى أن يكون عليه سلوكه ، وهو ليس مجرد باحث أخـــلاقى بل كان أيضا مرشدا أخلاقيا ، يهتم بتقويم السلوك وارشاده الى ما ينبغى أن يكون عليـــه ، ومن جهة أخرى فقد كان سلوكه نموذجا يحتذى للسلوك الانسانى ، وتطبيقا عمليا لأرائه وأفكاره الأخلاقية ، فهو لم يكن من ذلك الطراز من الفلاسفة الذين عزلتهم الفلسفة عن الناس ، أو أولئك الذين غالوا فى التقشف والاعراض عن مشاكلة الناس ، أو أولئك الذين يكتفون بتقديم العـــلم للناس ، ولكنه كان على النقيض من ذلك ، يحيـــا وسط مجتمعه ويشارك فى حياته ومشاكله ، ولكن ليس كمعظم الناس الذين جرفهم تيار الحياة فصدهم عن نور العقـــل وطريق الفضيلة ، بل كان ما يميز حياته هو الاعتـــدال فى كل شىء ، وكانت حياته صـــورة صادقة لآرائه وأفكاره الأخلاقية ، وكانت منهجا للسلوك الأخلاقى وما ينبغى أن يكون عليه سلوك الرجـــل الفاضل •

ونوجز فيما يلى أهم آرائه وأفكاره الأخلاقية •

أولا ــ الأخـــلاق :

يرى الشيخ مصطفى أن الأخلاق أشبه ما تكون بخطة ثابتة مقررة تلتزم بها النفس بعيداً عن الأهواء والاضطراب ، فهى نظام للنفس ،

وفن للحياة ، وبذا تتحقق الغاية الأخلاقية والتى سماها الرواقيون قديما فن الحيـــاة [١] .

وهو يعلق أهمية كبيرة على النظام فى حياتنا الأخلاقية وأن النظام هو مظهر الكمال الوجودى ، وأن قوة الموجود تكمل فى كمال نظامه ، وضعف الموجود هو قلة نظامه وبعده عن النظام « النظام فى حياة الفرد مظهر لقوة وجوده والنظام فى حياة الجماعة آية القـــوة فى وجودها ، والوجود القوى هو الأكمل بالضرورة فهو مطمع كل موجود يريد الكمال ويفر من النقص » [٢] .

ولقد عبر عن أمله وتفاؤله لاهتمـــام الناس بالنظام فى جهات الحياة المادية الذى هو سبيلنا الى الوصول الى النظام الأكبر وهو نظام النفس ، وحيث تكون النفس قادرة على السلوك الفاضل دون مشقة وعنــــاء ودون أدنى اضطراب فى أفعالها فيقـــول « لا نحقر شيئا من مظاهر الرقى فى الذوق والتشبث بأهداب النظام لأن هذه الآثار الصغيرة تدل على تنبـــه فى الاحساس يرجى أن يصل بنا الى ما نريده من النظـــام الأكبر نظـــام النفس الذى تصدر عنه الأعمال من غير اضطرابات أو تشويش » [٣] .

واذا كانت الأخلاق نظام النفس فهى بلا شـــك تتصف بالثبات ، فالفعل الأخلاقى يجب أن يكون له صفة الثبات والأستقرار بحيث يكون سمة السلوك ، أما أن يأتى الفعل الأخلاقى بصفة استثنائية ، فذلك يعنى بعد السلوك عن الأخلاق ، ولقد حـــذرنا الشيخ مصطفى من أن تفقـــد الأخلاق ثباتها واستقرارها لدى الناس ، فذلك شر وبيل ، وخطر داهم يجتاح حياة الناس ويقـــول محذرا من ذلك « أما هوان العقائد والأخلاق والمذاهب على الناس بحيث لا يجدون فى أنفسهم حرجا أن يبدلوها كل

---

(١) د عثمان أمين آثار مصطفى عبد الرازق مجلة تراث الانسانية ١٩٦٥
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار مصطفى عبد الرازق ٢٢٤ .
(٣) مصطفى عبد الرازق آثار مصطفى عبد الرازق ٢٢٥ .

يوم على غير هدى فهو داء نشفق على قومنا من شره » [١] .

وإذا كانت الأخلاق نظام للنفس وتتسم بالثبات والاستقرار ، فلابد من مرانة النفس على الجميل من الأخلاق ، حتى يتحقق ذلك النظام والثبات ، وعندئذ تأتى النفس الأفعال الخيرة دون حاجة الى روية أو أعمال فكر أو مجاهدة ، بل يكون لديها ملكة فطرية تصدر عنها الأفعال الأخلاقية فى سهولة ويسر ، فهى بذلك ينبثق عنها السلوك الأخلاقى تلقائيا ، ويقول الشيخ مصطفى بذلك فى تعقيبه على رأى « جبل سيمون » الذى يرى أن الفضيلة الصادرة عن التفكير أجدر أن تكون فخارا لصاحبها ، فيقول معارضا ذلك « ان مرانة النفس على الجميل مع حسن استعدادها لتمييزه يورثها ملكة تشبه الفطرة التى لا تدافع ، ولا أدرى لم يريد صاحب كتاب الواجب أن ينقص حظى من الثناء حينما تكون نزعة نفسى الى الخير ماضية تشق اليه مسرعة حجب الشهوات ومناقشات العقل » [٢] .

والواقع أن القول بأن العمل الأخلاقى هو الذى يؤدى مع أكبر قدر من المقاومة ، معناه « هو الاصرار على أن يظل الانسان فى المرحلة البدائية ، حيث يكون عرضة لحشد من المشاعر الشرسة ، غير المستأنسة ، التى لا يستطيع مقاومتها إلا لذا استدعى جهد أكثر المقاتلين بأسا » [٣] .

وفى قول الشيخ مصطفى بمرانة النفس على الجميل ، يعنى أن الفضيلة الأخلاقية تتولد من العادة ، وهو فى هذا يتفق مع أرسطو [٤] ، والواقع أن للعادة أثر كبير فى تقوية الفضيلة فى النفس ، وأن تعود الخير

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار مصطفى عبد الرازق ١٦٩ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار مصطفى عبد الرازق ٤٩٢ .
(٣) د . محمد عبد الله دراز دستور الأخلاق فى القرآن (الترجمة العربية) ٦٠٦ .
(٤) ارسطو الاخلاق الى مينو ماخوس (الترجمة العربية لأحمد لطفى السيد) ٢٢٥ .

والمثابرة أكثر يسرا من تعود الرذيلة والمضى فى طريقهـا • ولقـد علق الشيخ مصطفى أهمية كبيرة على العادة ودورها ، من حيث أن تأصلها فى النفس يكاد يصبح غريزة ، واذا تأصلت عادتنا على الخير ، فاننـا نأتيه كشىء غريزى ، وفهم الشيخ مصطفى لطبيعة العادات وتكونها ، أقرب الى الصواب وأحق بالتصديق خاصة فى مجال الأخلاق ، فطالما أن العادة تتكون بارادتنا فيجب أن تكون ارادتنا خيرة لنستطيع تكوين العادة الخيرة والتى تصبح بتكرارها أشـبه بالفعل الغريزى ، فتأتى الخـير بسهولة ويسر دون أدنى مشقة ، وذلك لأن تعودنا الخـير انما يكون بارادتنا الحرة التى تختار الخير وتعتاده •

وليس معنى ذلك أن الشيخ مصطفى يرى أن تكون أفعالنا الأخلاقية خالية من الفكر ، ولكنه يريد أن تكون الفضيلة علم ، وأن أول بديهيات العلم أن يكون قابلا للتعلم ، فلا تكفى المعرفة لاتيان الخير (كمـا رأى سقراط) بل لابد من تعليمه ومران النفس عليه وتعويدها عليه (كما رأى أرسطو) وبذا تتكون النفس هيئة راسخة تصدر عنها لأفعال بسـهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية •

وجملة القول أن الأخلاق عند الشيخ مصطفى صفة نفسية لا شىء خارجى ، وأن السلوك دليل الخلق ومظهره ، ويأتى السلوك موافق لنقاء النفس وصفائها ، ويرمى الى تكوين الخلق الثابت عن طريق تعود الخير وتكراره ، فيصدر عنه الأعمال الخيرية فى سهولة ويسر ، ويكون الفعـل الأخلاقى تلقائيا لا يحتاج الى طول نظر وفكر ومشقة وعنـاء ، ويكون انبعاثا من النفس لا جهدا شاقا ، فهو كما يقول يمضى مسرعا الى الخـير فوق حجب الشهوات ومناقشات العقـل ، عندئذ لا ضير أن تنال النفس الخيرة حظهـا من الثناء والتقدير • فهى جـديرة بذلك ، وهنا يتخلص الفعـل الأخلاقى من صوريته المتطرفة التى بدت عند « كانت » فى آداء الواجب الصورى خاليا من كل الاعتبارات والميول •

ثانيا ـ الالزام الخلقى :

يرى الشيخ مصطفى أن الأخلاق مفطورة فى النفس الانسانية ، وأنها تتمثل فى الارادة الخيرة الحرة ، التى يدرك بهـا الخير والشر ، وتلزم الانسان بالقانون الأخلاقى ، فالانسان ليس محتـاجا الى مصدر خارجى أو سلطة تقهره على الفعل الأخلاقى ، انما ينبع من الذات وليس خارجها ، ويؤكد تلك القيمة الباطنية للقانون الأخلاقى ، فى دعوته الناس الى أن يستشعروا جمال الخير فى نفوسهم ، وأن يهذبوا سلوكهم وفقا لمقتضى الأخلاق ، وأن يستعينوا بالعلم فى أحداث ذلك التغيير الجذرى فى نفوسهم ، حتى يستطيعوا أن يصلوا الى الخير أحرارا ، أى دون حاجة الى الزام خارجى ، وهو يؤمن أنه لو استقام أمر النفس بالأخلاق ، واهتدت بنور العلم ، واستشعرت جمال الفضائل ، فان سلوك الفعـل الأخلاقى ليس فى حاجة الى قانون خارجى يفرض عليها ، ولا يفتأ الشيخ مصطفى يذكرنا بهذه الحقيقة ، فيؤكد ذلك وهو يعبر عن حزنه وأسـفه أن يكون سلوكنا الأخلاقى فى حاجة الى قوة خارجية لتقويمه والزامه ، ويعرض لتفشى بعض الأفعـال اللا أخلاقيـة كالسرقة والتعـدى على الأعراض والأنفس ، ويعبر عن أسفه فى أننا نحتاج الى صيانة الأعراض والأنفس وهى من ألصق الأشياء بالأخـلاق الى قوة خارجية تقهـرنا وتلزمنا بصيانتها وهى المحكمة العسكرية مثلا [١] ، وهذا يعنى أيضا أن النفس الانسانية قـد تلقت فى تكوينها الاحساس بالخـير والشر ، وأن الالزام يكون داخليا وليس خارجيا .

وللشيخ مصطفى موقف يؤكد فيه القيمة الباطنية للقانون الأخلاقى ، يتمثل فى اعتبار العقل مصدر من مصـادر التشريع الاسـلامى ، ففى دراسـته القيمة عن مصـادر التشريع الاسـلامى يؤكد دور العقـل ، والتشريع يختص فى جانب منه بتحـديد الخير والشر ، ومن مصادر هذا

(١) مصطفى عبد الرازق آثار مصطفى عبد الرازق ٣٥٩ . ؟

التشريع العقل ، فيكون بذلك مرجعا لتحديد الخير والشر [١] •

وخلاصة موقف الشيخ مصطفى أن الالزام يكمن فى الارادة الحرة المستقلة ، وأن العقل بوسعه أن يدرك خيرية الأفعال وشرها ، وهذا الموقف يتفق مع صميم الأخلاق الاسلامية • فالقرآن لا يعارض تلك القيمة الباطنية للأخلاق ، والنبى صلى الله عليه وسلم يأمر كلا منا أن يستفتى قلبه لكى يعرف ما يأخذ وما يدع ، وأكثر المذاهب الاسلامية محافظة تتفق على أن تسلم للعقل الانسانى بمجال خاص فى التقدير والتشريع •

ثالثا — النية والعمل :

يعلق الشيخ مصطفى أهمية بالغة على دور النية فى الأعمال وضرورة توافرها ، بحيث أننا نستطيع القول بأن الأخلاقية والنية صنوان لا ينفصمان ، وهو بهذا يعبر عن جوهر الدين الاسلامى الصحيح ، ويقول شارحا رأى الدين فى ضرورة توافر النية فى الأعمال « والأعمال البدنية نفسها لا يكون اعتبارها فى دين المسلمين بحسب صورها الظاهرة ، وانما هى معتبرة بالنيات والهيئات النفسانية التى هى مصدرها » [٢] ، والدين يبرز أهمية النية فى العمل ولكنه أيضا لا يهمل دور العمل ، بل يؤكد دور العاملين معا ، والقرآن يلح غالبا على دور العاملين معا ، وكذلك أكد الرسول صلى الله عليه وسلم دور العمل الباطن فى تحقيق الخير الموضوعى ، وخلاصة رأى الاسلام ، أن النية خير ، والعمل القائم على نية الخير أرفع ، لأنه العمل الأخلاقى الكامل ، ولقد أشار الشيخ مصطفى الى ضرورة الامكان المادى للعمل ، فالنية ضرورية للعمل ولكنها ليست وحدها كافية ، فلابد من التحقيق للعمل ، ويترتب على هذا

---

(١) مصطفى عبد الرازق تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ١٩٠ وما بعدها .

(٢) مصطفى عبد الرازق الدين والوحى والاسلام ١٠٢ — ١٠٣ .

أن يكون الجزاء على العمل لا على النية (٣) .

رابعا ــ الفضــيلة :

لقد ذكر الفلاسفة أجابات مختلفة عن معنى الفضيلة ، ولا يســمح لنا المقام بذكر آرائهم ، أو حتى ايجازها ، ولكننا نكتفى بمجرد الاشارة الى بعضهم ، ثم نذكر رأى الشــيخ مصطفى حتى نعرف مــدى اتفاقه أو اختلافه مع غيره من المفكرين . ولقد رأى سقراط قديما أن الفضيلة معرفة (علم) لأن الرذيلة جهل ، وقسم أفلاطون الفضائل الى أربعــة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ، ورأى أرسطو أن الفضيلة وسط بين رذيلتين ، ورأى الرواقية أن الفضيلة فى ضبط النفس وآداء الواجب ، ورأى الأبيقورية أن الفضيلة متمثلة فى تحقيق اللذة ، ورآها الكلبية فى الزهد ، ولقد تفرقت المذاهب والآراء ، فمنهم من يرى الفضيلة فى السعادة العامة (المنفعة العامة) ومنهم من يرى أنها فى الواجب والعمــل انطلاقا من الواجب ، وكذلك من رأى أنهــا فى طاعة الله واجتناب نواهيه .

وبعد ، فما هو موقف الشيخ مصطفى ، يرجع الشيخ مصطفى الى تحليل النفس الانسانية على أساس سيكولوجى ، فيبين أنها تحتــوى على مواطن الضعف والقــوة ، وأن الفضيلة انما تكون فى التوازن بين طبيعة النفس ، أى بين مواطن القوة ومواطن الضعف ، وبذا يحــدث التكامل بين جوانب النفس وتتحقق الفضيلة ، فان فى الطبيعة البشرية جانبا فطريا يتمثل فى استعداداتنا وغرائزنا ، وهــو ما ســماه أفلاطون بالقوة الشهوانية ، كذلك فان توجيه هذه الاستعدادات والميــول الفطرية يجب أن يخضع للعقل ، وأن الانســان مركب من عقل وشهوة ، فلابد من ارضــاء الجانبين معــا فى توازن واعتدال ، ويقــول معبرا عن ذلك التكامل والتوازن ومبينا معنى الفضيلة « فى النفوس الانسانية منــازع قوة ومنــازع ضعف ، فاذا تم التوازن بين عوامل القــوة والضعف فى

---

(٣) مصطفى عبد الرازق آثار مصطفى عبد الرازق ١٣٥ .

الانســـان كانت الفضيلة ، واذا اختــل هــذا التوازن فجمحت الطبيعة أو لانت للخور وجدت الرذيلة » [١] .

والشيخ مصطفى بهذا يفطن الى خطر الافراط أو التفريط فى جوانب النفس الانسانية ولقد وقع فى مثل هــذا الخطأ بـعض المذاهب الأخلاقية قديما وحديثا ، ولســنا بصدد التعرض لتلك الآراء ، وما ذهب اليــه الشيخ مصطفى يوافق ما ذهب اليه أرسطو قديما ، الذى نبه الى خطر الافراط أو التفريط ، فلم يحارب اللذة فى ذاتهــا واعتبر انها عــلامة الفعل الخــير ، بمعنى أن الفاضل لا يستكمل شرائط الفضيلة ما لم يجد فى مزاولتها لذة ، ولم يستبعد الخيرات والظروف الخارجية ، وليس معنى ذلك أن يفرط الانســان فى جانب الشــهوات والحس ، أو أن يميت رغباته وحسه ، مما ينجــم عن ذلك الاضرار ، ولــكن يجب أن يرضى الانسان ذلك الجانب الحسى ، مع الاعتــدال وفى حــدود العقل ، الذى يجب أن يقود الجانب الحسى ، وأن تكون الرغبات مطابقة للعقل [٢] .

وما ذهب اليــه الشــيخ مصطفى من ضرورة التكامل والتوازن بين جوانب النفس الانسانية يتفق مع وجهة نظر علم النفس الحديث ، الذى يرى ضرورة أن تعبر جميع القوى الحيوية للانسان من ميول ودوافــع فطرية وعواطف ورغبــات مكتسبة تعبيرا كاملا ينتفى معه قيــام كبت أو عقــد أو صراع باطنى ، والذى يتسبب عنــه كثير من الاضطرابات السلوكية اللاارادية نتيجة العقد المكبوتة لا شعوريا [٣] .

والحقيقة ان الاعتدال والتوازن فى إرضاء جوانب النفس الانسانية الذى يدعو اليه لشيخ مصطفى ، انمــا يعبر حقيقة عن جوهر تعــاليم

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار مصطفى عبد الرازق ٢٦٦ .

(٢) أرسطو الأخلاق الى نيقوماخوس ترجمة احمد لطفى السيد ٢٠٣ ، ٣٢٦ .

(٣) د . توفيق الطويل الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها ٣٥٧ .

الاســـلام ، فالتوسط فى الأمور قد دعى اليه الاسلام ، وهذه التعاليم كانت أساس نظرة الشيخ مصطفى •

واذا كان الاعتدال هو سمة الرجـل الفاضـل ، فان سمة الفعـل الفاضل هو الوسط ، بمعنى أن الفضيلة كما عرفهـا أرسطو قديما بأنها وسط بين رذيلتين ، ويرى الشيخ مصطفى أن الفضيلة وسط بين الافراط والتفريط ، والرذيلة هى اسراف فى القوة أو اسراف فى الضعف ، ويربط بين أخلاق الفرد والأمة ، فان الأمم القوية تكون رذائل أفرادها الاسراف فى القوة ، والأمم الضعيفة تـكون رذائل أفرادها اسرافا فى الضعف ، فيقول « الرذائل اما أن تـكون سرفا فى القـوة أو سرفا فى الضعف ، والأمم فى حال نهوضها ورقيها تكون رذائلها من نوع السرف فى القـوة وفى حال هبوطها تكون سرفا فى الضعف ••• وأشيع الرذائل فى الأمم القوية الكبر والتهور والغضب والطمع والغـرور والتبجح وما ماثلهـا ، وتشـيع فى الأمم الضعيفة رذائل الجبن والذل وضعف الهمة » [١] ، ولقد حذرنا الشيخ مصطفى من شيوع تلك الرذائل المسرفة فى القـوة أو المسرفة فى الضعف ، اذ أنهـا تقضى على صفات الخير فى الانسـان ، وتقتل فيه كل معانى الفضيلة والخصـال الكريمة ، فيقـول واصفا شر أحد تلك الرذائل ونتائجها السيئة فى أخـلاق الفرد « الذلة شر كلهـا تقتل خير خصال المرء تقتل الشمم وكبر الهمة والطموح الى المعانى وتقتل حب الحرية وحب الاحترام ، وأى فضـل يبقى لانسان قتلت فيـه كل هذه الخلال » [٢] •

وكما حذرنا الشيخ مصطفى من ضرر شيوع الرذيلة بالفرد والأمة ، فهو يدلنا على الفضيلة التى تصلح حال الفرد والأمـة ، ولقـد قسم الفضائل من حيث طبيعتها الى فضـائل ايجابية تقـوم على الحـركة والتأثير ، وفضائل سلبية تقوم على السكون والانفعال ، وفى الأمم القوية

(١) مصطفى عبد الرازق آثار مصطفى عبد الرازق ٢٦٦ ، ٢٦٧ •
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار مصطفى عبد الرازق ٢٦٨ •

تشيع الفضائل الايجابية وفى الأمم الضعيفة تشيع الفضـائل السـلبية « ففى الأمم القوية يتمدح الناس بالشجاعة والكرم والوفاء وبعد الهمة ، وفى الأمم الضعيفة يتحدثون بالحياء والتواضـع والتأنى وكثرة الصمت والقناعة والصبر » (١) ، والشيخ مصطفى يؤكد دور الفضائل الايجابية ويبرز أهميتها ، وهى ألزم لحياة الجماعة وضمان قوتها ، فهذه الفضـائل التى ذكرها مثل الشجاعة والكرم والوفاء وبعد الهمة وغيرها من الفضائل الايجابية لا تكون لازمة للفـرد إلا من حيث ارتباطه بالجمـاعة ، فهى لا تقتصر على الفرد بل تتعداه الى الجماعة ، والأخلاق لا تمارس بمعزل عن الجماعة ، وهذا يعنى أن سعادة الفرد مرتبطة بسعادة الجمـاعة ، أى بما يقدمه منخير وتضحية .

والفضائل الايجابية التى تعتمد على الحـركة والتأثير انمـا تتيح للانسان فرصة العمل ، وتتطلب منه الحركة الدائبة ، والسعى المتواصل ، والشيخ مصطفى يقدر العمل ويدعو الانسان اليه ، لأنه سبيل الانسان لآداء دوره فى الحياة ، وهذه الفضائل الايجابية تجعل الانسـان مليئا بالحيوية والنشاط والفاعلية والمشـاركة ، وتجعله قادرا على أن يحقق التضحية والا يثار من أجل الآخرين ، وتنأى به عن تلك الروح السلبية المتمثلة فى الفضـائل السلبية التى تفقـده الحيوية وحرارة الحيـاة ، ولا تشـجع على قيـام فن أو علم أو أى وجـه من وجـوه النشاط الانسانى المثمر ، اللازم لحياة الانسان وعمارة الكون .

من أجل هذا كله ، كان الشيخ مصطفى حريصـا على تأكيده لدور الفضائل الايجابية فى الفرد والجمـاعة ، ودعوته للانسـان بغرسها فى نفسه والاقتداء بها فى سـلوكه ، وأن يكثر حظهـا فى النفس أكثر من الفضائل السلبية ، التى يجب أن تتحلى بها النفس برفق ، وألا نغـالى فيها ، وألا نعطيها من الاهتمـام أكثر مما هو يلزم لهـا ، فان دورها

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار مصطفى عبد الرازق ٢٦٧ .

ليس بدرجة أهمية الفضائل الايجابية ، لذلك كانت دعوة الشيخ مصطفى الى أن نتفهم الفضائل المذاعة بيننا ونتبين حقيقتها ، وألا نقتصر على تلك الفضائل السلبية ونفرط فيها ، ونولع بها ، لأن فى ذلك ضرر بملكات القوة فى الانســان وطريقة خاطئة فى التربيــة « ومن النافع أن نعنى بتمحيص الفضائل المذاعة بيننا والمذكورة على ألسنتنا وردها الى عناصرها حتى يبين ما فى الاقتصار على تلك الفضائل من اضرار بملكات القــوة وما فى الافراط من الولع بها من ذهاب الى رذائل مؤذية أشــد الأذى لأمة محتاجة إلى تحريك عوامل القوة فيهــا لا عوامل الضعف » [١] .

ولكن هل يعنى ذلك أن الشيخ مصطفى يرفض تلك الفضائل السلبية كليــة ؟ الحقيقة أنــه لا يرفض تلك الفضائل السلبية اذا حسن فهمهــا وتقديرها ، فنراه يؤكد ذلك حين يبين لنــا حقيقة أحــد هذه الفضــائل السلبية ، وما ينبغى أن تكون عليه عنايتنا به فيقــول شارحا طبيعة «الحيــاء » وحقيقته ، وما ينبغى أن يكون موقفنا منه ، والمقدار الذى نراعيه فى تربيــة النشىء على الحيــاء ، وضرر المغــالاة والاسراف فى العناية به فيقول « الحيــاء فضــيلة من فروع الفضائل لا من أصــولها وياليتنا نعنى بالشجاعة والصدق والعفة بعض ما نعنى بتلك الخلة التى ينبغى أن تؤخــذ برفق لاتصالها بالجبن أبشع الرذائل المهلكة ـــ محمود ما يحفظ الحشمة من درجات الحياء ، أما ما يجاوز ذلك فداء نعيذ بالله منه قومنا وأنفسنا ، أيها المربون لا تضعفوا من قوة الشباب الناهض بعوامل التهيب والخجل علمــوا أولادنا كثيراً من الشجاعة وقليــلا من الحيــاء » [٢] .

والشيخ مصطفى يدرك أهمية ذلك الخلق ، لكنه يحذرنا من المغالاة فيه ، ذلك لأن هنــاك فضائل أخــرى ايجابية أكثر لزوما لحيــاة الفرد والأمة ، أى أنه لا يعتبر تلك الفضائل السلبية ضارة فى ذاتها ، بل يريد

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار مصطفى عبد الرازق ٢٦٧ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار مصطفى عبد الرازق ٢٦٦ .

أن نحسن فهمها وأن نتبين حقيقتها وأن ندرك أهميتها ، عندئذ يتحقق الاعتدال ، ويذهب عنا الافراط فى التمسك بمثل هذا الخلق « الحياء » .

على أن الشيخ مصطفى قد لاحظ مدى صعوبة تطبيق مقياس الوسط على تلك الفضائل حيث يختلط أمرها على الناس ، وينأى حكمهم عليها عن الحقيقة ، وذلك يعنى أن القول بأن الفضيلة وسط بين رذيلتين ، لا يعنى ذلك أن يكون الوسط حسابيا ، بل يعنى أنه وسط اعتبارى يتغير بتغير الأفراد والظروف التى تكتنفهم ، والعقل هو الذى يعين ذلك الوسط مع مراعاة ظروفه ، ففى تحليله « للتواضع » يشير الى صعوبة مقياس الوسط ، ومبينا حقيقة التواضع ، فيقول « التواضع عدل فى تقدير الانسان قيمة نفسه بالنسبة الى من هو أكمل منه فضلا وبالنسبة الى من هو دونه فهو يعتمد على حسن معرفة الانسان لنفسه وصدق حكمه فى الموازنة بين مقادير الناس غير أنه من الصعب على المرء أن يعرف نفسه على الحقيقة وأن يخلص الى العدل فى وزن قيم الناس ، من أجل ذلك تجد التواضع فينا يذهب الى ناحية الذلة وتجدنا نعد كثير من الأذلاء متواضعين » [1] .

ولا شك أن الفضائل الايجابية التى دعى اليها الشيخ مصطفى تمنح الفرد القوة ، وتعطى الأمة العزة والمنعة ، وتزكى جوانب القوة فى الفرد وتعمل على نموها وازدهارها ، وهذا هو ما يدعو اليه الاسلام ويؤكده ويؤهل معتنقيه للأخذ بأسباب هذه القوة ، فالاسلام دين الصراحة والشجاعة والقوة ولقد كان النبى يتعوذ بالله من الضعف والتخاذل والجبن [2] ، وما أحوجنا اليوم أن تشبع فينا أخلاق القوة التى دعى اليها الشيخ مصطفى .

إلا أن هذه القوة التى يدعو اليها الشيخ مصطفى هى قوة فى الأخلاق تجعل الفرد يزيد من عطائه للآخرين ، وليس فيها معنى القوة

(١) مصطفى عبد الرازق آثار مصطفى عبد الرازق ٢٦٨ .
(٢) د . عثمان أمين الجوانية أصول عقيدة وفلسفة ثورة ١٩٣ .

الغاشمة ، فهو لم يمتدح القوة لذاتها ، بل لآثارها العملية ، التى تمنح الخير والعطاء للآخرين ، وليست من ذلك النوع الذى دعى اليه « نيتشه » •

ويلاحظ على رأى الشيخ مصطفى أنه رأى ارشادى تربوى يهتم بتربية الفرد واعداده أخلاقيا حتى ينتظم سلوكه ، وتتسم أفعاله بالخير ، ويتعود الفضيلة ويمرن نفسه عليها حتى يصبح كائنا أخلاقيا جديرا بانسانيته ومحققا لكرامته التى رفع الله من شأنها ، ولن يتسنى له ذلك إلا بالسمو الأخلاقى والتمسك بالفضيلة ، والالتزام بالسلوك الخير ، ولن يتيسر ذلك الا بالتربية الأخلاقية الصحيحة •

خامسا ــ أسس التربية الأخلاقية :

سبق القول أن الشيخ مصطفى يرى أن الفضيلة ليس يكفى فيها مجرد العلم ، بل لابد من مران النفس عليها وتعويدها الخير ، حتى يصدر عنه الخير بسهولة ويسر ، ورأيناه كذلك يعنى بازالة الخلق السىء فى الفرد وبعده عن الرذائل وتعويده وتعليمه الفضائل ، وأعطانا نموذجا لفضائل القرة التى يجب أن يعود المربون النشىء عليها ، وكذلك أوصى المربين بالأخذ بالقدر اللازم من الفضائل السلبية دون زيادة أو افراط وتفريط ، وفى هذا ايمان بدور التربية ، ويتفق مع رأى الفلاسفة قديما وحديثا الذين اهتموا بالتربية ودورها فى تكوين الأخلاق الصالحة ــ فلقد وضع أفلاطون فى جمهوريته نظاما للتربية الصالحة للنشىء ، ورأى الامام الغزالى امكان تغيير الخلق عن طريق التربية الصالحة ، وذلك مصداق لرأى الاسلام ، فالرسول عليه السلام يقول « حسنوا أخلاقكم ، ولقد بين ابن خلدون فى مقدمته أن النفس تولد على الفطرة وأنها مهيأة لقبول ما يرد عليها ويتطبع فيها من خير أو شر ، ولقد كان « كانت » محقا فى قوله « الانسان لا يكون إلا بالتربية » وآمن الاستاذ الامام

محمد عبده بدور التربية فى اصلاح الأخــلاق وتكوين صفوة ممتازة من الشباب (١) .

على هذا النحو كان اهتمام الفلاســفة بالتربية الأخلاقية ، وكان جل اهتمام الشــيخ مصطفى بوضــع الأسس القــوية الصالحة للتربية الأخلاقية الصحيحة ، والتى يجب أن تقوم عليها التربية ، فهــو بعد أن زودنا بنوعية الفضائل التى يجب أن يربى عليها النشىء ، يضع لنا قواعد التربية ، وهذه الأسس هى :

١ ــ جمال الفضيلة وغرسها فى النفس :

أول هذه الأسس فى نظر الشيخ مصطفى يقوم على أساس غرس الفضائل فى نفوسنا وذلك بأن نستشعر جمالها وأن ننفر من قبح الرذائل ، فهى تقوم على حب الخير وادراك جماله ، وأن تؤصل ذلك الاحســاس بجمال الخير فى نفوسنا ، لأنه لو زاد فى النفس الاحساس بالجميل لزادت رغبتها اليــه ، وأن الواجب قــد يؤدى على كره ومضض ــ أما الحب فيأخذ طريق الى أشق الأمــور فى ابتهــاج وغبطة ، وتصبح الواجبات شعائر نحبها ونعشقها ونأنس بها ومعها ، فضــلا عن ترقى النفس من الجمال الحسى الى الجمال الروحى يجعلها تسمو الى الخــير وتتعشــقه وترغب فيه وتأتيه فى سهولة ويسر ، أما أن تقــوم التربية على طابــع الخوف والرهبة فذلك الخطأ بعينه ــ ولقد فرق بين من يأتى الفعــل وهو مدفوع باحساس جمال الخير والرغبة فيه ، وبين من يأتى الفعــل وهو مدفوع باحساس الخوف والرهبة ، فالأول هو السلوك الأخلاقى ، ويكون فيه الفعل الأخلاقى غائيا غير مرتبط بنتائج الفعل ، الثانى يكون سلوكا لا أخلاقيا ــ وتكلم عن قاعدة ذهبية لو راعاها الناس فى التربية وأحسنوا تربية النشىء على ضوئها ، لسرى ضياء الناموس الأخــلاقى

---

(١) انظر فى تفصيل ذلك جمهورية أفلاطون ترجمة فؤاد زكريا ــ زكى مبارك الأخلاق عند الغزالى ١٥٥ ومقدمة ابن خلدون ١٢٢ ، د . عثمان امين رائد الفكر المصرى ١٧٠ .

فى نفوس النشىء واتسم سلوكنا بالفضيلة دون مشقة وعناء ، ويقــول معبرا عن ذلك « نكرة أن يظهر طابع الرهبة والخوف من العقاب حتى فى آدابنـــا ، ولوددنا أن نفهــم قومنا جمــال الفضائل وقبح الرذائل فيرغب أبناؤنا فى الاحتشام والأدب بمثل الذوق الذى يرغبهم فى جمال الهندام ورشاقة الحركات ولأبنائنا فى هذا المعنى ذوق مصقول » [٢] .

٢ ـ الحب .

يعلق الشيخ مصطفى أهمية بالغة على الحب من حيث هــو عاطفة انسانية لها دورها الهام ، ويفسره بأنه تماذج للأرواح ، ويعنى العطــاء والاخـــلاص والتضحية والايثار ، وبذا يحــوى كل المعــانى الأخلاقية السامية ، وهو دليل على رقى الأخــلاق ورقة الشعور وسموه ، الذى يرتفع فوق جمال الحس ، ويفيض بالمعانى الأخلاقية السامية ، فيقــول موضحا طبيعة الحــب الأخلاقية « فاذا كانت علاقة الحبيبين ترمى الى اختلاط الأرواح وتعانق النفوس كانت الغاية الشريفة دليــلا على رقى الأخلاق وعلى الشعور لأن العشق هو الاخــلاص وبذل النفس للغــير وذلك هو كل ما تبتغيه التربية والأدب » [١] ، فالحب بذلك مبدؤه الخير وغايته الخير ويرقى بالنفس ويصعد بها نحو الكمال ، وهذا الحب بمعانيه الأخلاقية السامية هو أساس العلاقات بين الناس ، ولقد كان الشــيخ مصطفى حريصا على أن يسود المعنى الأخلاقى للحب علاقات الناس ، فيعبر عن أسفه للعلاقات الواهية بين الناس الخاليــة من نفحات الحب والود الصادق ، فيقول « انظر الى ما حولى من صلات الناس بعضهم ببعض فلا أرى لها أساسا إلا المصلحة ، وكلما ازداد عرفانى لحال العالم وممارستى لما يحيط بى من الأوساط المختلفة وجــدت البحث عن الفائدة مرمى غرض الروابط الودية كلهــا ، فما أكاد أعثر على مودة خالصــة

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار مصطفى عبد الرازق ١٦١ ، ٢٥٦ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار مصطفى عبد الرازق ١٥٦ .

ولقد أصبحت أظن أن الود المبنى على الثقـــة والتعاطف عزيز فى الناس أو غير موجود ، كل يبتغى من حبـــه غرضا ومنفعة ، ولعــل الود الذى يسمونه صادقا هـــو الود الذى يرجـــو به صاحبه نفعا ثم يكرم فيـــه هـــذا الرجاء »[٢] .

وخلو علاقات الناس من الحب بمعناه الحقيقى ، ينزع لرحمة من القلوب ، ولا يجعـــل غنيهم يعطف على فقيرهم ، ولا يبجـــل صغيرهم كبيرهم ، وتنعدم المروءة بين الناس ، وتمتلىء قلوبهم بنار الحقـــد ، وتتفتت وحدتهم ، لكن ليس على هـــذه الصورة القاتمة يكون الاستعداد البشرى ، فلقد آمن الشيخ مصطفى بسلامة الاستعداد البشرى وقبوله للمحبة الصادقة ، فيقول بنغمة هادئة متفائلة معبرة عن ايمانه الراســـخ العميق بعظمـــة الاستعداد البشرى وامكانياته للحـــب فيقول « هـــذا ما يعلمنى الواقع الذى أشهده بين الناس ، ولكن لا أستطيع أن اعتقد أن ما يحويه هذا الواقع هو كل ما يحتمله الاستعداد البشرى . وان لم يكن للحب الصادق متســـع فى تلك الصـــدور الواسعة للحـــوادث الجارية ، فاننى مع ذلك أشهد أن الحب يكون صادقا لا أبرح أو من بهذه العقيدة وان ضنت على التجارب بأمثلة للمودات الخالصة »[٣] .

واذا كان هذا الحب ليس شـــائعا بين الناس ، إلا أن الشـــيخ مصطفى يؤكد خيرية الاستعداد البشر ى ، وأن هذا المعنى كان فيـــه ، ويعطينا نموذجا عمليا لتلك العلاقة الروحية ، وما فى معنى الصداقة من تمازج الأنفس وود وحب واخلاص ، فيقول واصفا صديقا له « لى رفيق أصادقه على نحو أكبر مما تعرفه الصداقات بين الناس ، وآلفه وآنس به أنس عطف وثقة ، وأجد فى نفسه الغنية بالعواطف الطيبة نفحات ممتازة تتجلى فى ثنايا قلق يزيدها الى حبا ، يقص على من أسرار حياته حينـــا فحينا ما يعلى قيمته فى نظـــرى وأحس بلطف احساسه وأملاء صـــدره

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار مصطفى عبد الرازق ٢٣٨ ، ٢٣٩ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار مصطفى عبد الرازق ٢٣٩ .

بالهمة على مثال الأنفس العظيمة » [١] ، وبذا يكون الصديق كما يراه الشيخ مصطفى بأنه آخر هو أنت إلا أنه غيرك بالشخص .

ويرى الشيخ مصطفى أن يؤصل هذه العاطفة الانسانية وهى عاطفة الحب فى الانسان ، بمعناها الأخلاقى ، فيوجه نصيحته الى الشباب بألا يتخذوا من الحب سبيلا الى الخداع ، فيفسدوا طهارة الحب ونقائه ويفقدوه معناه الحقيقى ، ويعترض على أولئك الذين يرون فى الحب ضعفا يجب أن نخلص الشباب منه ، وأنهم لا يدركون قيمة الحب الحقيقى وما فيه من قوة — مدركا بذلك الأخطار النفسية الناجمة عن ذلك كالعقد والصراعات النفسية نتيجة لكبت واغفال جوانب غريزية فى الانسان ، مؤمنا بمبدأ التكامل النفسى ، والتربية النفسية الصحيحة [٢] . .

وهكذا يريد الشيخ مصطفى أن يعم الحب النفس ويستغرقها كلها ويبث فيها الحرارة ، وكلماته المضيئة فى بيان حقيقة الحب ومعناه ودعوته للناس أن يكون الحب أساس علاقاتهم ليست بحاجة الى تعليق أو شرح فهى واضحة بذاتها ، لا تحتاج منا الى طول نظر لادراك معانيها وفهمها ، ولكنها تحتاج منا تطبيقها ، وجعلها دستور حياتنا وعلاقاتنا ، وأن تكون نبراسا نهتدى به ونورا نقتبس به وضياء نستضىء بـه ، فتلك دعـوة مصلح يجب أن تلقى من أسماعنا أذنا صاغية ، ومن قلبنا اعتقادا جازما ، ومن سلوكنا تحقيقا وفعلا ، أليس الحب بهذا جدير بأن يكون أساس التربية الأخلاقية الصحيحة ، وأن يكون زاد قلوبنا ومعين ضمائرنا الذى لا ينضب .

٣ — مراقبة النفس والضمير :

يواصل الشيخ مصطفى بحثه فى أسس التربية الأخلاقية ، القائم على دراسة الطبيعة البشرية دراسة سيكولوجية ، لمعرفة ملكاتها

(١) مصطفى عبد الرازق آثار مصطفى عبد الرازق ٢٤٩ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار مصطفى عبد الرازق ٣٤٩ .

واستعداداتها ، ويذكر الضمير وأهمية ودوره ، والضمير قوة داخلية في أعماق نفس الانسان تحذره من فعل الشر وتأمره بفعل الخير ، حتى اذا فعل الانسان الشر أحس بعدم ارتياح لعصيانه تلك القوة ، واذا فعل الخير أحس بارتياح وسرور • وتتأكد سلطة الضمير وقوته ، ويتضح دوره ووظيفته في السلوك الانساني ، من حيث هو مراقبة النفس في أفعالها ، ويؤكد الشيخ مصطفى هذا الدور الفعال للضمير ، فيوصى بضرورة مراقبة النفس ، وتسجيل ما حدث من أحداث خلال اليوم وتقييمها ومحاسبة النفس على التقصير ، فيقول « ان أحدكم ليستطيع أن يجعل لكل يوم صحيفة يقيد فيها ما يمر به من الخواطر والملاحظات ، وما يسترعى نظره من الحوادث أو يقص ما عمله في يومه ، ولهذه الطريقة فوائد جمة ، لانها فوق نفعها في تمرين ملكة الانشاء ، تحمل الانسان على مراجعة نفسه وتصفية حسابها في منتهى كل يوم » (١) وتلك طريقة تقوى الضمير وتجعله يقظا ، فمراجعة النفس في أفعالها والحكم عليها ، هي وظيفة الضمير ، لذا يجب على الانسان أن يمرن نفسه على حساب ومراجعة النفس حتى تقوى تلك الملكة • والضمير بذلك لا يدع صغيرة ولا كبيرة في الأفعال الانسانية إلا أحصاها وحكم عليها ، فهو بذلك له دوره ووظيفته في السلوك حتى في أبسط ما يصدر عليه •

ولقد أراد الشيخ مصطفى أن يكون كل منا على الصورة المثلى للانسان الفاضل ، الذى يحاسب نفسه ويراقب أفعالها ، وأن يكون لديه الضمير اليقظ ، وتلك الصورة كان عليها الشيخ مصطفى نفسه ، وهي تقوم على التحليل السيكولوجى القائم على منهج الاستبطان والمنهج الذاتي لمعرفة حقيقة مشاعر النفس وأهوائها ، وتأكيد لقوة الضمير ودوره الايجابى وفاعليته في السلوك ، وهو يعبر عن تلك المعانى السامية فيقول « ولو كشف للناس باطن أمرى لرأوا فؤادا قلقا وضميرا يراقب حركات

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار مصطفى عبد الرازق ٨٣ .

النفس ويحاسبها حسابا عسيرا واحســاسا يضطرب بعنف لكل ما يهز احساس الناس هزا لينا » (١) •

ولا شــك انه اذا كان للضمير مثل هــذه القوة ، فانه سيؤدى الى نقاء السريرة وخلوص النية واستقامة الســلوك ، وبذا يكمل للانســان طهارة جوانيه واصلاح برانيه ، وأن يكون مظهره موافقا لمخبره : وعلى المربين تربية النشىء على مراعاة الضمير فى سلوكهم وتقويته وتعويدهم على مراقبة النفس •

٤ ــ التكامل النفسى :

سبق الاشــارة الى قول الشــيخ مصطفى أثنــاء تحليله للطبيعه البشرية ، بأن فيهــا مواطن ضعف ومواطن قــوة ، وأن التوازن بين الضعف والقوة هو سبيل سلامة الطبيعة البشرية وصحتها ، وأن الاعتدال هو سمة الرجل الفاضل ، والاعتدال يعنى ارضاء جوانب النفس دون افراط أو تفريط ، حتى لا ينجم عن عدم الاعتــدال كبت أو صراعات أو اضطرابات نفسية مما ينتج عنه اضطرابات سلوكية ، فيذكرنا دائما الى خطورة ذلك ، وما ينبغى أن يكون من ارضــاء لتلك الجوانب برفق واعتدال ، بحيث لا نفرط فى جانب ونهمل جانبــا آخــر ، ويحذرنا من مغبة ذلك الأمر وخطره فى حياة الفرد والجمــاعة فيقــول « ان هــذه الأنفس البشرية ضعيفة ينبغى أن تقاد برفق ، انها اذا لم تجــد للهــو منفذا اتخذت جد الحياة لهوا » (٢) ، واللهو الذى يقصده الشيخ مصطفى لهو برىء فى ســياج من الأدب ، وحسن الذوق ولطف الاحساس ورقة الشعور ، بعيد عن كل ألــوان الاســفاف والبذائة ، وهــو ترويح عن النفس ، والواقع أن أخــذ الشباب بالشدة والقسوة الزائدة أو تعويدهم الهزل ، يجعلهم لا يأخذون الحياة مأخذ الجد ، ولا ينفذون الى صميمها ،

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار مصطفى عبد الرازق ٣٢٨ •
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار مصطفى عبد الرازق ١٥٢ •

فهم عابثون حتى فى جدهم ، هازلون حتى فى همومهم وأكدارهم ، وهـم قانعـون من الحيـاة بغلافها دون لبابهـا وبأعراضها دون جوهرها ، أما تعليمهم رياضة النفس ، مثل تعليمهم الغناء والموسيقى والتصـوير والتمثيل وما فى هذه الفنون من فتنة وسحر ، وتعليمهم رياضة الجسد ، وهى الرياضـة البدنية ، فان ذلك ينشـط أبدانهم ونفوسهم ويجعلهم يدركون معنى الحياة ، ولا يقفون عند قشورها بل ينفذون الى لبابهـا وحقيقتهـا .

لقد فطن الشـيخ مصطفى الى أهمية احساسات النفس وعـدم اهمالها ، حتى وان كانت احساسا بالألم ، لأن الألم احسـاس صادق لا يخلو من نفحات الكمال الروحى ، وان تجربة الألم تنضج الشخصية ، وتعمق احساسها ، فيقول « ولعل هذه الآلام هى خـير متاع فى حياتى لانها احساسات تصل الى أدخل مكان فى النفس وفى الاحساسات الدقيقة نغمـة من الكمال الروحى وان كانت آلاما » (١) كـذلك من احساسات النفس ــ الدعابة والضحك ، ولقد عالج ذلك الشيخ مصطفى فى أحـد مقالاته مبينا أن الأسلوب روح المرء ، فاذا كانت نفسه لطيفة فان أسلوبه يكون لطيفا محببا الى النفس ، واذا كانت حالة المرء النفسية ممزوجـة بالحزن والانقباض ، جـاء أثر ذلك على أسلوبه ، فيصبح ثقيلا غـير محبب ، وبين لنا حاجتنـا فى الحيـاة الىالسرور والدعابة والبعد عن العبوس وأثر ذلك كله على حياتنا ، فيذكر أن الحياة العابسة « هى التى تذيب بشاشتنا ، وتسرع الينا بالهرم فى جسومنا وأرواحنا وأساليبنا ، وتسرع بالهرم الى آمالنا أيضـا » (٢) .

لا غرو اذن أن يطالبنا الشيخ مصطفى بسـد حاجة الانسـان من الدعابة والترويح عن النفس ولكن فى غير اسـفاف أو تكلف ، فبهـذه التربية الصحيحة نضمن سلامة النفس وصحتها وبذا يصدر عنها أفعال

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار مصطفى عبد الرازق ٢٤٠ .
(١) مصطفى عبد الرازق آثار مصطفى عبد الرازق ٣٦٢ .

صحيحة ، فالجد واللهو جانبان فى النفس ينبغى ارضاؤهما برفق ، بحيث لا يطغى جانب الجد ويكون وحده سمة حياتنا وطريقة تربيتنا ، فان ذلك ضار لأنه لا جد لمن لا يلهو كما ذكر الشيخ مصطفى .

٥ ــ التماسك الأخلاقى :

يدعو الشيخ مصطفى الى ضرورة التمسك بالأخلاق ، فيضفى على المعنى المادى للعصبية عند أهل الريف معنى أخلاقيا ، يزيدهم صلابة أخلاقية ، ونراه يدعوهم الى تنمية ذلك الجانب الروحى فى نفوسهم ، وأن يدركوا الجانب الأخلاقى لمفهوم العصبية ، وأن يؤثروه بعنايتهم على الجانب المادى ، فان ذلك يؤدى الى تماسكهم الأخلاقى ، وينمى استعدادهم الأخلاقى ، ويرفع من مستوى سلوكهم الأخلاقى ، ويذكرهم بذلك المجد الأخلاقى الذى كان عليه أسلافهم من كرم ومروءة وأريحية ، ويجعلهم يحافظون على تلك الصفات الأخلاقية ، ويتوارثون تلك الخلال الحميدة فيقول « ندعو لأغنيائنا أهل البيوت والوجاهة بالبركة فى نفوسهم وأعمالهم ، فاننا نخاف كل الخوف من مظاهر الضعف التى تلوح على عائلاتنا الكبيرة عائلات الريف التى كانت بالأمس ذات مجد ونبل تجمع الى الاعتزاز بالعصبية والرزق الوفير جاه التماسك الأخلاقى والصلابة على تقاليد ممتازة أظهرها النجدة والكرم والحشم واباء الضيم ، وكان معنى العصبية غالبا عليهم كان فى ارهاب كل واحد منهم عشيرته كلها بشرفها ومالها وحميتها فهو يستحى لعرض عشيرته أن يقول زورا أو يغشى فجورا (١) وبهذا تصلح عادات وتقاليد القوم ، وتتسم هذه العادات والتقاليد بالأخلاقية ، والواقع أن لهذه العادات والتقاليد والتى تسمى بالعرف آثارها على حياة الناس ، بل لها قوتها التى تفوق القانون المكتوب ، بل لقد أتى زمن كان فيه العرف مقياس الخير والشر ــ والشيخ مصطفى يضفى على العصبية معنى أخلاقى ، فلبست العصبية قاصرة على الجاه المادى فحسب ، بل فيها جانبا أخلاقيا هاما ، بل لقد طالب

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ١٨٠ .

بجعل الجاه المادى فى خدمة السلوك الأخلاقى بأن يسمح ما تقضى به تكاليف المروءة وأريحية الجود ومظهر العز ٠

ولقد عارض الشيخ مصطفى الاقتصار على الجاه المادى فى الحياة ، وقال بأن ذلك ينمى جانب الوحشية والعدوان فى الانسان ، وفى هـذا ضرر كبير ، ويعوق الانسان من الرقى والوصـول الى الكمال الانسانى ، فيقول « وان أحق شىء بأن يحاربه الاصـلاح لهو تلك النزعة العتيقة فى البشر التى لا تريد أن تجعل فى الحياة جاها إلا للقوة المادية والثراء فان ذلك هو الذى أبقـى على جانب الوحشية والعـدوان فى بنى آدم بالرغم من تقدم العلم والمدنية ومحاولتهما الذهاب بالانسان فى طـريق الكمال الروحى » [٢] ٠

وهذه دعـوة صـادقة الى تزكيـة الجانب الروحى فى الانسـان وتقويته ، حيث أنه مصدر الفضيلة والكمال الأخلاقى ، والاقتصار على الجاه المادى يقوى منازع الشر فى الانسان ويقض على طبيعته الخيرة ، ويعوقه عن تحقيق الكمال الانسانى ، واذا فقد الانسـان ذلك الجانب الروحى فانما يفقد انسانيته وكرامته ، وأنه لا سبيل للقضاء على طبيعة الوحشية والعدوان فى الانسان إلا بتقوية الجانب الروحى ٠

وبعد ، فهذه هى الأسس التربوية الصحيحة ، التى أراد الشـيخ مصطفى أن تكون أساس تربيتنا الأخلاقية ، والتى يجب أن نراعيها ، وفى الحقيقة اننا لفى أشـد الحاجة الى تلك القواعد التربوية الصحيحة ، فلقد أهمـل الناس أمر التربية بمختلف صـورها ، مما أثر على سلوك الأفراد فى المجتمع ، وان الشرور التى يعانى منها المجتمع ، انما ترجـع الى عدم الاهتمـام بالتربية الأخلاقية لصحيحة ٠

سادسا : الفضائل الأخلاقية العملية :

يتابع الشيخ مصطفى رسم الصـورة الكاملة لما ينبغى أن يـكون

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ١٦٤ ٠

عليه سلوك الانسان ، موضحا بعض الفضائل التى يجب أن يتحلى بهـا الفرد ، وما يجب أن يقلع عنه من الصفات الذميمة : ولقد سبق الاشارة الى قوله بضرورة تمحيص الفضائل المذاعة بيننا لنتبين حقيقتها وندرك مقدار ما يهمنا منها ، فى غـير مغالاة أو تطـرف : وهـو يدعونا الى بعض الفضائل مبينا أهميتها ، وراجيا أن تذاع هذه الفضـائل بيننا ، وأن يتسم بها سلوكنا ، ولا غرو وأن يكون ذلك مثار اهتمـام الشـيخ مصطفى ، فهو مرشـد أخلاقى يهمـه ارشاد السـلوك الانسانى الى الخير ، ومن أصحاب الرسالات الروحية ، التى يطلب أصحابها أن تسرى فى نفوس البشر لتنمى جوانب الخير فى الانسان ، وتقضى على جوانب الشر فيه ــ فكما اهتم ببيان طبيعة الفضائل ودعوته للفضائل الايجابية ، فانه يبين لنا بعضا من هذه الفضائل .

١ ــ الوفــاء :

الوفاء فضيلة يجب أن تتحلى بها النفس ، وللوفاء معناه السـامى وأهميته البالغة ، وهـو أمر أخلاقى ضرورى لاسـتقامة حيـاة الفرد والجماعة ــ ولقد بين الشيخ مصطفى حقيقة الوفاء ، وأبدى أسـفه لقلة وجوده عند معظم الناس ، فلا تراهم أوفياء فى حبهم ولا هم أوفياء للحق والعـدل والذمم .

واذا فقد الوفاء معناه لدى الناس فان حياتهم تفقد أساسها المتين ، ولو تخيلنا مجتمعا من الناس انعدم فيه الوفاء ، فان علاقاتهم تـكون سطحية ، مبنية على الخوف وعـدم الثقة ، وتتسم بالحـذر والحيطة ، خالية من كل قيمة ، فلا يوجد بينهم حبا صادقا ، ولا يتحرون الصـدق وينعدم وجوده بينهم ، ولا يستقيم أمر العـدل ، ولا تقـوم بينهـم علاقات للتعاون والمشاركة لانتفاء الذمة الصحيحة ، وذلك كله لانعـدام الوفاء بينهم ، وخلو حياتهم من كل المعانى السامية ، ولقد عبر الشيخ مصطفى عن أهمية تلك الخصلة الحميدة ، فيقـول وهو يصف زيارته

لأحد الأمكنة التى قد زارها من قبل ، وان من حق تلك الجمادات أن نكون أوفياء لها ، « واذا كان الوفاء قد غاض فلا تكاد ترجو عند أكثر الناس وفاء للود ، ولا وفاء للحق ، ولا وفاء للعدل ولا وفاء للذمم ، فانا لا نريد أن نخون عهد هذه الجمادات التى ان لم تجز على الوفاء احسانا ، فهى لا تجزى به — على كل حال — شرا » واذا كان الوفاء بذلك يمتد الى الجماد ، فان الأحق والأولى به الانسان (١) .

لقد كان الشيخ مصطفى حريصا على أن يؤكد على ضرورة الوفاء ، وأن نتمسك بكل صوره ومعانيه ، فنكون أوفياء للحق وللود وللعدل والذمة ، بل ويمتد وفاؤنا الى أولئك الذين يجدر أن تحيا ذكراهم بيننا بعد وفاتهم ، أولئك أصحاب الأخلاق العالية والهمة والطموح ، فنراه يحى فى الشباب روح الوفاء ، فيقول فى مقال له بعنوان (مأتم شاب) بعد أن يذكر فضائل الفقيد الأخلاقية ، واحتشاد الشباب لتشييع جنازته موضحا ما فى ذلك من وفاء ، فيقول « كانت مظاهرة الشباب المصرى المصرى فى جنازة فقيده من أكمل مظاهر الوفاء — رحم الله الفقيد الشاب وحيا الشباب الوفى » (٢) .

والوفاء أوصى به الاسلام وحث عليه « فلقد أوصى الاسلام بالوفاء بالعهد فى أكثر من آية ، منها قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » .. « وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا » وقوله « ولكن البر من آمن بالله .. والموفون بعهدهم اذا عاهدوا » وقوله « انما يتذكر أولو الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق » .

٢ — البعد عن النفاق :

النفاق من شر الرذائل وأشدها فتكا بحياة الناس ، وهو أن يظهر

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٤٢٥ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٢١١ .

المرء خلاف ما يبطن ، فيظهر الحـب ويبطن الكراهية ، ويظهـر الوفاء ونفسه منطوية على الغدر والخيانة ـ وهو أقسى من العداوة لانها ظاهرة وهو باطن ، فالمرء يعرف عدوه الذى يظهر له عداوته وفى وسعه أن يحتاط لنفسه منه وأن يأخـذ حذره منه ـ ولكن المرء لا يعرف من ينافقـه ويظهر له الحب ويضمر له العداوة ، فلا تنكشف حقيقته أمامه ولا يأخـذ حذره منـه ، ولا يأمن مكره وخـداعه ، لذا كان النفاق خطرا وكان من الصفات المذمومة التى يجب أن يتخلص منها الانسان وأن يبتعد عنها .

وفضلا عن ذلك فانه ينطوى على مواطن ضعف فى خلق الفرد ، لأنه يعنى الجبن والكراهية والبعد عن الشجاعة والصراحة والحب الصادق ـ لذا يحذرنا الشيخ مصطفى من مغبة ذلك ، وذلك فى وصفه لالتفاف الناس حول أستاذه الامام محمد عبده وهم يظهرون له الحب ويضمرون لـه العداوة والبغضاء ، وينعى فى هؤلاء القوم ما آل اليه حالهم من ضعف أخـلاقى [1] .

ولقد عاب الشيخ مصطفى على أولئـك المنافقين لاتخاذهم هـذا السلوك اللا أخلاقى وسيلة لنيل أغراضهم وتحقيق أهدافهم ، ويبين لهم أن النجاح الذى يحققونه عن هذا الطريق ، نجـاح كاذب ، وأن هـذه الوسيلة اللا أخلاقية لهذا النجاح الكاذب ، لا يتفق مع الطبيعة الانسانية الصـالحة [2] .

والشيخ مصطفى يعبرا بهذا عن رأى الدين فى نهيه عن البعد عن النفاق بصوره العديدة ، فقال تعالى « ومن الناس من يعجبك قوله فى الحيـاة الدنيا ، ويشهد الله على ما فى قلبـه ، وهو ألد الخصـام ، واذا قيل له اتق الله ، أخذته العزة بالاثم ، فحسبه جهنم ولبئس المهاد » البقـرة ٢٠٤ / ٢٠٦ .

---

(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٩٣ ـ ٩٤ .
(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٢٧٤ .

٣ ــ عدم التكالب على المال أو الاسراف فيه :

يذكرنا الشيخ مصطفى بمساوىء البخل والتكالب على المال ، وتغلغل حبه فى نفوسنا ، وأنه أصبح غرض الحياة وقيمتها ، يعيش من أجله الناس ويموتون ، ويبين لنا أن المال له دوره الهام ، ولكنه يجب أن لا يكون غرض الحياة الوحيد ، وبين أن المال وسيلة للحياة لا أن يصبح جمعه وكنزه غرض الحياة ذاتها ، وبذا يفقد المال وظيفته الأساسية كوسيلة نستعين بها على حياة كريمة سعيدة ، ويصف ذلك الصنف من الناس فيقول « ولدينا صنف آخر يكنز الذهب والفضة ثم لا يجعل ليومه حسابا فى التمتع بنعمة الله عليه ، وهو حقير فى الملبس وسىء المطعم وقذر المسكن ، كل حسابه لغد ، وما غده إلا وارث يهلك هذا المال المركوم كله فى يوم ليس له غد » (١) .

ولكن ليس معنى ذلك أن ينفق الانسان ماله بلا حساب وأن يجعل همة لذته الحاضرة ، فكما عاب على المقترين ، فانه عاب أيضا على المبذرين ، ويقول واصفا ذلك الصنف المسرف « ومن عجيب أمرنا ، أن أكثرنا اذا آتاه الله رزقا لم يحسب لغد حسابا فيما ينفق منه ، وانما كل همه متاع يومه ، وتوفير لذته الحاضرة » (٢) .

لا شك أن كلا الموقفين خاطىء ، البخل أو التبذير ، وأن خير الأمور الوسط ، وذلك مصداقا للآية الكريمة « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتعقد ملوما محسورا » سوره الاسراء ٢٩ .

٤ ــ الاحسان وعدم التظاهر بفعله :

الاحسان فعل ينطوى على الرحمة والشفقة والعطف ، وتقديم المعونة للآخرين ، وفيه معانى التضحية والبذل والعطاء والايثار ، وهو

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٤٣٨ وايضا ٤٦٨ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٤٣٨ .

لازم لحيـاة الجماعة وتماسكها ، وفيه تغليب الغيرية على الأنانيـة ، ومر يدعو اليه الدين والأخلاق •

ولقد دعى الشيخ مصطفى الى الاحسـان وبذل الخير ، لايمـانه العميق بفضله ولتأصله فى نفسه ، ولقد كان الاحسان من أظهر صفاته فى أفعاله وأقواله ، ولقد عرف عنه ذلك من كانوا حوله ، وعار فى فضله ، مما ينـد عن الحصر أو الوصف سـواء من ماله الخاص أو من المـال العام ، حين تقلد منصب رئيس الجمعية الخيرية الاسلامية أو منصـب وزير الأوقاف (١) •

ولقد كان الشيخ مصطفى حريصـا على أن يكون فعـل الخـير والاحسان بعيدا عن مظاهر الرياء وحب السمعة ، فان هـذه العـلانية تفقد الاحسان معناه الأخلاقى ، فضلا على أنها تخدش حيـاء وكرامة المحسن اليـه ، ولكنه يريد أن تتقـدم الاحسـان دون أن تعلم يسراك ما قدمت يمناك ، وهذا معنى كريم يحفظ كرامة المحسن اليـه ولا يشعره بالحاجة والذلة والضعف ، ولا يشعر المحسن بالتظاهر والعزة والرياء ، وألا يكون فى موقف منه وفضـل ، بهذا المعنى يرقى الاحسان الى معنى الواجب ، ويأتى انطـلاقا من مبدأ الواجب وان أجمـل ما يوصف به ذلك الاحسان ، ما وصفه الشيخ مصطفى بأنه المعروف الصامت ، فهـو يبعد عن كل مظاهر الرياء ، والتشدق بفعل الخير ، بل هو يكون فى صمت وسر ، ويجب أن يراعى المحسن قواعـد الأدب عند تقديمه الاحسـان الى الغير ، وأنه يبعد عن مظاهر الرياء لأنه يفسد فعل الاحسان (٢) •

وهذا الموقف يتفق مع الدين ، فلقد حكم القرآن على الأنفس التى تنشد ثمن الفضيلة فى تقدير الناس ، حكما قاسيا ، فأعلن أن أعمالهـم

---

(١) احمد امين كلمته فى تابين الشـيخ مصطفى مجـلة الثقـافة فى ١٩٤٧/٤/١ •

(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ١٩٠ •

هباء وباطل « يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ، كالذى ينفق ماله رئاء الناس ، فهم لا يقدرون على شىء مما كسبوا » .

٥ ــ آداب الحديث والمجالس :

ان للحديث آدابه التى يجب أن يراعيها المتحدث ، كما أن للمجالس آدابها ، وأهم هذه الآداب ، هو ألا يكون المتحدث مكثرا فى كلامه ثرثارا ليس لكلامه معنى ولا هدفا ولا غرضا ، والشيخ مصطفى يحذرنا من تلك العادات السيئة ، ويرى أن خير الكلام ما قل ودل ، وأن كثرة الكلام بلا داعى اليه ، أو الكلام بلا معنى أو هدف ، يكون ثقيلا على النفس ، فينفر المستمع ويحس بثقل كلام المتكلم على نفسه ، لذا فان الصمت أفضل من تلك الثرثرة وذلك الكلام الفارغ ، فيقول فى ذلك « لم يدركنى من هذا الصمت ضجر اذ قد أصبحت أجد فى الصمت راحة ولذة ، فانى بلوت من الثرثارين ما جعلنى أشفق من كل متكلم أن يكون ثرثارا ، وأشفق على نفسى حين أتكلم فأفر من القول فرارا أو اختصره اختصارا » (١) .

ولكن ليس معنى ذلك أن الكلام شر كله ، وأن كل المتكلمين ثرثارين ، يخوضون فى أى حديث بلا هدف ولا معنى ، ولكن هناك صنف آخر ممتاز ، ملتزم بقواعد وآداب الحديث ، فيكون لكلامهم بيانا رائعا ، وفهما دقيقا ، وذهنا واعيا ، مما يجعل لكلامهم وقع السحر فى نفوس سامعيهم ، وذلك لان كلامهم صادق فى تعبيره ، معبرا بصدق عما فى نفوسهم ، وحقيقة ان الأسلوب كما يراه الشيخ مصطفى روح المرء ، أى خير ما يعبر به عما فى دخيلة نفسه وروحه ، ونجده يذكر ذلك الصنف الممتاز من المتحدثين وما فى طبيعة كلامهم من روعة وجمال ، وهو ما يتمناه أن يكون كل الناس على غرارهم ، فيقول « استغفر الله ، فان فى المتحدثين من وهب بيانا حلوا وفهما لطيفا وذهنا واعيا ونوعا

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٤٤٧ ــ ٤٤٨ .

من السحر يأخذك الى المسامرة أخذا ، وفى المتحدثين من يفض أليك بذات نفسه فيصغى قلبك اليه وتقبل عليه » (١) •

وعن آداب المجالس يحذرنا الشيخ مصطفى أن لا نتعرض فى مجالسنا لأعراض الناس والخوض فيها ، أو يدفعنا الفضـول الى التحدث عن شئونهم الخاصـة ، فان ذلك من الضعف الانسـانى ، الذى يجـب أن نتخلص منه ، وان نرتفع عن مثل هـذه الصغائر ، وألا نتكلم إلا فيمـا هو مفيد ، وألا نجعـل من حرمات الآخرين ملهاة لكلامنا وأسماعنا ، وان هـذا داء خطـير جرت به عادة القـوم ، وأصبح سمة لمجالسـهم لا يراعون فيه حرمة الآخرين (٢) •

هـكذا تخلو الأحاديث من كل خـير ، وتفيض بالشرور والآثام ، والتعرض لحرمات الآخـرين وشؤونهم الشخصية ، وهو ما نهى عنـه الشيخ مصطفى ، ولقد أوصانا الدين بأن يكون موضوع حديثنا خيرا ، فيقول الله تعـالى « وتناجوا بالبر والتقوى ، واتقوا الله الذى اليـه تحشرون » المجادلة ٩ •

٦ ـ عدم التزاحم على المديح والثناء :

اذا كان من حق المرء أن يتلقى المديح والثناء على فعل الخير ، لأنه يشجعه على مداومة الفعـل واستمراره ، ولكنه يجب ألا يزداد حبـه وتعلقه بالمدح ، فيصبح غاية فى ذاته ، ويجعله ذلك يتسابق من أجـل المديح فحسب ، ويرتبط به فعله ، ولا يؤدى الخير لذاته ، بل لما يريد أن يحصل عليه من مديح وثناء من الناس ، وبذا يفقد الفعـل أهم خاصيته الأخلاقية وهو أن يؤدى الخير لذاته ومن أجـل الخير ، وانطلاقا من الشعور بالواجب ، والشيخ مصطفى لا يريد أن ينكر حـق النفس فى المديح والثناء على فعل الخير ، ويؤكد حظ النفس من الثناء حـين تأتى

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٤٤٨ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ١٩١ .

الخير وتعتاده دون حاجة الى طول فكر ونظر ، بل تأتيه بسهولة ويسر ، وذلك تشجيعا لها على مداومة فعل الخير واعتياده ، ولكنه يحذر الناس من التعلق بالمديح والثناء ، فيصبح هدفهم الوحيد من الفعل ، ويصبح مثار نزاعهم وخلافهم ، ويريد كل واحد أن يمدح بما لم يفعل ، والناقص يستكمل نقصه بتنقيص الكامل (١) •

واذا كان من حق النفس الثناء والمديح فذلك يكون بقدر ما يعودها على الخير ويشجعها ، وهذا الرأى الذى ذهب اليــه الشيخ مصطفى ، يوافق ما ذهب اليه أرسطو من قبل ، الذى لم يستبعد كلية دور الخيرات الخارجية من مديح وثناء وتأثيرها فى سعادة الرجل •

٧ ـ حق الحياة وصيانة النفس من القتل :

يؤمن الشيخ مصطفى بحق الانسان فى الحياة ، وحقه فى أن تصان حياته ، ولا يتعرض للقتل أو الابادة ، تحت أية دعــوى من الدعاوى ، فهذا حق مقدس منحه الله للانسان ، وعلى الانســان أن يحافظ عليه ، ويوضح ذلك مواقفه العديدة من حوادث القتــل تحت دعــوى العرض والشرف دون رحمــة أو انصــاف ، وكذلك موقفه من الحــرب التى تشنها بلاد العلم والمدنية بلا سبب وبلا هوادة ، وملاحظته أن دعــوى الســلام لا تجــد أذنا صاغية حتى فى أرقى البــلاد علمــا ومدنيــة ، فيذكر فى تعليقه على مقــال لجريدة « لا بروص اجبشين ، ودعوتهــا للصحف المصرية أن تعالج حوادث القتل المتكررة ، بسبب الحفاظ على العرض بدلا من كتاباتها فى موضــوع تحــرير المرأة فيقول معلقا على تلك الدعــوة » لئن لم تصيب الجريدة الفرنسية فى زعمها ان البحث فى الحجاب والسفور لا يجدى نفعا ، فقد صدقت فى قولها ان من القســوة الشنعاء أن يمسح الناس بالــدم جوانب العرض المثلوم ان كان عبثا أن ننحى باللوم على قاتل مغلوب لغــيرة طائشــة ، بينما يروى أهل أوربا

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ١٨٧ ــ ١٨٨ •

أرض بلادهم بدماء البشر غير ملومين ، ثم ألا يمكن أن يعد تقبيح القتل وسفك الدماء فى الظـروف الحاضرة دعـوة الى السـلم ، وصاحبتنا (لابورص) تعرف مثلنا كيف ينظر بعـين النفرة والحذر الى كل داع الى السـلام حتى فى أرقى بلاد الأرض مدنية وعلما » [١] .

وهذه الكلمات تفيض حبا بالانسانية ، وبحق الانسان فى الحياة ، ودعوة للانسـان أن يتخلص من آثار الوحشية والعـدوان ، ومن كل أساليب القسوة والعنف ، وأن تتأكد قيمة الحياة فى نظـر الانسـان ، فيتخلص الانسان فردا أو أمة عن أسلوب القتل والابادة وسفك الدماء ، فذلك من أبشع الأفعال جرما ، وأشدها فتكا بالجماعة ، ولقد عد الاسلام قتل الانسـان من الكبائر ومن أشـد الأفعال استحقاقا للعقـاب ، فمن المحظورات التى حذرت منها الأخـلاق الاسلامية ، ولضمان الأخـلاق الاجتماعية التى يجب أن يسود المجتمع هو قتـل الانسان ، فلقد نص القرآن على ذلك المحظور ، فقال تعالى « ولا تقتلوا النفس التى حرم اللـه إلا بالحـق » ولقـد ورد هـذا المعنى فى أكثر من آية [٢] .

ولقد اعتبر « كانت » قتل الانسـان لنفسه عملا لا أخلاقيا [٣] .

٨ ــ بذل النفس والتضحية :

ليس حق الحياة معناه أن تحرص على الحياة لذاتها ، وإلا فقدت الحياة معناها ، فان الحرص على الحيـاة يولد فى النفس رذائل الجبن والذلة الضعف ، ويقتل فيها فضيلة الشـجاعة والتضحية ، بل لابد أن تكون الحياة سبيلا الى تحقيق أهداف غالبة تستحق من أجلها التضحية والفداء ، لذا يرى الشيخ مصطفى أن حياة الانسان انما تكون من أجل

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ١٧٧ ــ ١٧٨ .

(٢) د . محمد عبد الله دراز دستور الأخلاق فى القرآن الترجمة العربية ٧٣٥ ــ ٧٣٦ .

(٣) كانت أسس ميتافيزيكا الأخلاق الترجمة العربية ٧٣ .

أهداف وآمال عليه أن يحققها أو يســعى في تحقيقها مضحيا بذلك بكل ما يملك حتى نفسه التى بين جنبيه ، هؤلاء الذين يكون لحياتهم معنى ، ويكون لهم وزن عند الله وعند الناس • فهذه هى الحياة الجديرة بأن تحيا ، أما دون ذلك فهؤلاء لا يستحقون الحياة ، ويقول الشيخ مصطفى موضحا ذلك المعنى الكريم « ليس الحرص على الحياة فى ذاتها فضيلة من الفضائل التى يتمنى المصلحون شيوعها فى الناس ، ان الحياة ينبغى أن تكون سبيلا الى أمنية عالية فمـن ضحى فى سـبيل أمنيته كل عزيز عنده حتى نفســه التى بين جنبيه فذلك الانســان كل الانسان والذين يضنون بأرواحهم ويضحون بآمالهم وأغراض حياتهم أولئك لا يقام لهم وزن عند الله ولا عنـد البشر » (١) •

لابد للانسان من أهداف نبيلة وآمال غالية وأمانى عزيزة ، وهـذا كلـه يحتـاج الى التضحية ، وقـد يحتـاج الى تضـحية المـرء بنفسه ، فيقدمها راضيا مرضيا ، وكم تحتـاج الأمم وهى فى سـبيل تقدمهـا ونهوضها والذود عن أراضيهـا وكرامتها وعزتهـا الى تضحية أبنائها ، فيقدمون أنفســهم دون تردد نداء لحـرية وكرامة أممهم ، والتضحية لازمة كذلك للفرد لتحقيق آماله وأهدافه الخاصـة ، ولازمة أيضا لحياة الجماعة ، لان التعاون والمشاركة يتطلب التضحية وكـذلك لازمة لتحقيق صفات الخير كالايثار والاحسان ، فذلك كله يعنى التضحية بكل غالى ونفيس ، وأن أكبر الضرر فى رأى الشيخ مصطفى هو الافراط فى الحرص على الحياة ، والاسراف فى الخوف من الموت ، وذلك هـو الجبن أو منشأ الجبن بجميع معانيه ، وما تعرف فى رذائل الأخـلاق ما هو أضر بأمة من الجبن (٢) •

٩ ـ الصراحة والوضوح فى القول والعمل :

يريد الشيخ مصطفى أن يتسم سلوكنا بالصراحة والوضوح ، وأن

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ١٥٩ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ١٤٩ .

يبعد عن المكر والخداع ، فكما أن الأخلاق عنده نظام ثابت مقرر للنفس ، فكذلك السلوك يجب ان يكون واضحا بعيـدا عن أسـاليب المراوغـة والخداع .

ولذلك يحذرنا الشيخ مصطفى من ذلك الصنف من النـاس الذين لا تطمئن لهم النفس ، وتحتار فى حقيقة أمرهم لغموض سلوكهم ، ذلك لاننا لا نستطيع أن نرى بوضوح رذائلهم ولا ان ندرك فضائلهم ، هـذا الصنف على ما فيه من ذكاء ونشاط ، لا يتمنى الشيخ مصطفى شيوعه بيننا ، لخطورة أمره ، وعـدم ادراك حقيقة ، وعدم صراحته ووضوحه سواء فى أقواله أو أفعاله ، فيقـول « يوجـد صنف من الناس لا يدرى أشر هو أم خير لين الجانب ان أحسن أو أساء ليس بذى طعم مر فتلفظه النفس جملة ، ولا هو حلو حلاوة خالصة ـــ أمره مختلط ، وما يتركـه فى نفسك من الأثر غامض أيضـا ، غـير واضح لا تستطيع أن تحبـه لانك تشعر بشك فى اخلاصـه وصفوه ، ولا تجـرؤ أن تكرهه مخافة أن يكون طيبا ، لا يمكنك أن تأخذ عليه رذيلة عارية ، ولا يمكنك أن ترى له فضيلة بينه ، أعرف من هـذا الصنف أناسا ممتزين بذكاء ونشـاط وكفاية ، ولكننى أكره أن يكثر أمثالهم فى الناس » (١) .

لا شك أن هـذا الصنف من النـاس لا يعـرف معنى الاخـلاص الحقيقى ، وأن أفعاله تتناقض مع أقواله ، ويتسم بالغموض فى سلوكه ، وذلك لعدم وضوح الخير فى نفسـه ، وعدم ادراكـه الحقيقى لمعنى الخير ، لمن هذا الصنف شر شيوعه بين الناس ، لأن مره مختلط ، ويترك آثارا غامضة فى النفس ، فلا هو شر تمجه النفس كلية ، وتحذر منه ، ولا هو خيرواضح فتقبله النفس وتحبه ، لابد اذن من الوضـوح فى السلوك فى القول ولا تناقض بين القول والعمـل ، وبذا تتضح الفضيلة وتتضح سمات الرجل الفاضل .

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٢٤٠ .

١٠ ــ نصائح للشباب بالجد فى حياتهم :

يدعو الشيخ مصطفى الشباب الى أخــذ الحيــاة مأخــذ الجد ، وألا يفرطوا فى جانب اللهو ، وأن يأخــذ من شبابه لهرمه ومن صحته لسقمه ، ومن قوته لضعفه ، فليست الحياة شبابا كلها ، فلابد أن يتسلح المرء فى شبابه بالجــد والكفاح والتعب ، حيث يعــوزه ذلك فى كهولته ، وعليه أن يتسلح بالعلم والعمل فى معركة الحياة ، وأن يدرك معنى الحياة وحقيقتها ، لذا لابدللشــباب من بــذل غاية الجهد والنشــاط والهمة ، وألا نفرط فى الرفق بالشباب ، فنخلصهم من تلك المتاعب الضرورية لهم واللازمة لخيرهم وسعادتهم ، وأن ننظر بسرور الى تلك المشقة والتعب الذى يبذله شبابنا فى سبيل العلم والمعرفة ، ويقــول فى ذلك « حيا الله عهد الشــباب ــ قلب لم تندمل بعــد جــراح حسراته على تلك الأيام الضاحكة فى ثنايا العمر ، ولكن العقل يغلبنا على هذه العواطف ، فننظر بسرور الى ما يبذله فتياننا من الجهد وما يتحملون من المشقة فى ســبيل التعليم ، وذلك بأن الحياة أواه ليست شبابا كلها وأحلاما ، ولابد للمــرء أن يأخــذ من شبابه لهرمه ومن لعبه لجده حتى لا يقبــل على حــرب الحيــاة بلا ســلاح » (١) .

وينصح الشباب بعدم اليأس والايمــان بالحظ دون العمــل ، وأن لا يستسلموا للظلم ، بل يقاوموا كل التحديات ، وليكن شعار كل واحــد منهم « كل ما هو ضدى يزيدنى قوة » واذا كان نظام الامتحان فى نظرهم يجعل النجاح مصادفة ، ولن يصادفه الحظ وفى هذا ظلم للكفاية ، فانه ينبههم الى شىء هام ، وهو أن فى الحياة ألوان عديدة من الظلم ســوف يواجهونها ، وعليهم أن يمرنوا أنفسهم على عدم الاستسلام أو الخضوع للظــلم (٢) .

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٢٤١ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٢٤١ ــ ٢٤٢ .

ولقد ورد فى ثنايا هذا البحث الكثير من النصائح للشباب ، حيث نستطيع أن نقـول بأن رسالة الشيخ مصطفى فى جوهرها رسالة أخلاقية موجهة للشباب ، ولبناء الذات القوية ، ولقد كان الاهتمـام بالشـباب ومشكلاته من أهم أهدافها ، وفى سيرته أيضا دروس مستفادة للشباب ، وعلى الشباب أن يأخـذ بها ويعيها ويتمسك بهديها ، فانها خير معين له فى شبابه وكهولته •

١١ ـ السلوك الأخلاقى للمتعلمين :

يريد الشيخ مصطفى أن يكون العلم مصحوبا بالأخلاق ، وأن يراعى المتعلم فى سلوكه قواعد الأخلاق ، فقد يغفر النـاس للجاهل أخطـائه وزلاته ، ولكنهم يأخذون على المتعلم أبسط هفـواته ويراقبون حركاته وسكناته ، ولا يجدون له عذرا ، وقد يأتى المتعلم سـلوكا ليس فيـه ما يمس جوهر الأخـلاق ، ولكن عرف الناس وتقاليدهم ، ومفاهيمهم لا يستسيغه ولا يقبله ، ويراه بعضهم أنه تمرد على العرف والتقـاليد وآداب السلوك المتعارفة والمذاعة بينهم ، وهـذا الموقف يرجع فى حقيقته الى نتيجة التطور والتقدم ، ويرى بعض الناس أن العلم آفة ذلك وأنه علة تلك الشرور وذلك التمرد ، ولكن الشـيخ مصطفى يريد أن يزيـل مخاوف هؤلاء من العلم ، وبين لهم أن ذلك نتيجـة التطور الجـديد ، والذى يتكفل العلم نفســه بحل مشاكله وازالة تلك العيوب ، وينصـح المتعلمين ، بأن يكونوا أسـوة حسنة فى السلوك ، حتى لا يسىء الناس الظن بالعلم والمتعلمين ، وأن يجمع المتعلم بين فضيلة العلم وفضيلة العمل الأخـلاقى ، ويقـول فى ذلك « من أجـل هذا كان من همنـا أن نزيل مخاوف قومنا من العلم ، ونبين لهم أن العيـوب التى يأخذونهـا على شبابنا المتعلمين ليست الا عوارض ناشئة عن التطور الجـديد لجمعيتنا وسيداويها العلم نفسه الذى يحسبونه علتها ، ونتمنى أن يراعى أهـل

العلم من فتياننا وفتياتنا هذا المعنى فيراقبوا أنفسهم ليكونوا مثلا حسنا يدعو الى الاحترام والأسوة » (١) .

سابعا : حرية الأرادة والأخلاق :

لقد ناصر الشيخ مصطفى الحرية الانسانية ، وذلك لايمانه بأهميتها ودورها ، وآمن بأنها حق طبيعى للانسان ، ولقد أشرنا فيما سبق الى رأيه فى أن الدين يناصر الحرية الانسانية ، ولقد رأى أن الحرية ضرورية للانسان لممارسة نشاطه الفكرى والعملى ، ولها نتائج خيرة تعود على البشرية ، ولا يمكن أن يستقيم أمر حياة الانسان بدونها ، ولا يمكن للانسان أن يقوم بدوره فى الحياة بدونها ، فانها عرض ملازم للحياة الانسانية لا سبيل الى انفكاكه .

لقد أكد الشيخ مصطفى على حرية الارادة الانسانية ، واستقلال ارادة الانسان ، وامكانه اختيار الفعل ، وتبدو حرية الارادة واستقلالها فى الفعل الأخلاقى ، ولقد تمثلت عنده فى الدعوة الى « الواجب » (٢) الذى هو أكرم المبادىء الأخلاقية وأعظمها ، والتى يجب أن يلتزم بها الانسان ، والدعوة الى اقامة الأخلاق على أساس فكرة الواجب انما يعنى أن حريتنا نابعة من ارادتنا التى تملى علينا الواجب وأدائه دون الخضوع لأية شروط خارجية ، والفعل لا يكون أخلاقيا إلا اذا صدر عن ارادتنا الحرة ، ومهما تكن نتائج الفعل أخلاقية فانه لا يعد أخلاقيا ، اذا صدر عن خضوع لارادة خارجية ، فعلى هذا فمناط أخلاقية الفعل هو صدوره عن ارادتنا الحرة .

فالحرية أساس لقيام الأخلاق ، وعن الارادة الحرة يصدر الفعل الأخلاقى ، ويؤكد الشيخ مصطفى هذا المعنى فى عبارة موجزة فيقول « أتمنى أن يأخذ العلم طريقه بين الناس ليصلوا الى الخير أحرارا » (٣)

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٢٢٢ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ١٢٩ .
(٣) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٥٩ .

فهو بذلك يريد أن يكون أساس الفعل الأخلاقى الحرية ، وأن يصدر ذلك الفعل عن ارادة حرة مستقلة غير خاضعة لشروط خارجية ، بل ينبثق الفعل الأخلاقى عن حرية كاملة دون قسر أو قهر أو خضوع ، ولا يخضع الناس إلا لنداء الواجب النابع من ارادتهم الحرة المستقلة .

وبهذا المعنى تأخذ الحرية عنده طابعا عمليا ، بعيدا عن تلك النظرات الاطلاقية ، وتخلص مفهوم الحرية عنده من النظرة الميتافزيقية المجردة ، وأصبحت الحرية مطلب عملى وحاجة ملحة للعمل والنشاط واقامة الأخلاق ، ولا يكون الفعل الحر متمثل فى الرفض والسلب بقدر ما هو متمثل فى الفعل والايجاب ، ولا تكون الحرية مجرد حق بقدر ما هى فعل واكتساب وممارسة .

ويطالب الشيخ مصطفى بأن يدرك الانسان فى ممارسته لحريته ، حقيقة الفعل فليس هو تصرفا أعمى صادر عن اندفاع هوى أو ارادة هوجاء ، بل هو فعل صادر عن فهم وتدبر ، وانه استماع لصوت العقل ، والتزام بالأخلاق ، ويضرب الشيخ مصطفى مثلا تاريخيا لسوء الممارسة للحرية وعدم فهمها فهما صحيحا وخروجها عن حدود الأخلاق ، فيوضح لنا ما آلت اليه حال المجتمع العربى قديما فى ممارسة أفراده للحرية بلا حدود ، وقد أدى ذلك الى حرية مضطربة لا التزام فيها بضوابط أخلاقية أو دينية (١) .

والحرية تتطلب الاقدام والشجاعة فى ممارستها ، وذلك لتخرج الحرية الى دائرة العمل والتنفيذ ، واذا كانت الضرورة هى العدو اللدود للحرية ، فان الخوف كذلك يحبس الحرية ، وذلك لأن الخوف لا يجعل الانسان يقدم على ممارسة حريته ، فاذا كان الانسان تثار فى نفسه المخاوف والشكوك ، فانه يحجم عن الاقدام والعمل ، ويحيا حياة الحذر والحيطة والتردد والخوف ، ويقتل امكانياته ويعطل

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٨٢ .

ملكاته ، ولكن لابد أن يؤكـد الانسان ايمـانه بالعمـل ، وذلك يتطلب الاقدام حتى يمكن تحقيق الفعل (١) .

والاقدام يتطلب قوة أخلاقيـة تدفعه وتهديه ، فلابـد من تزكية الصفات الأخلاقية الايجابية فى الانسـان ، والتى تدفعه الى القـوة والعمل ، والبعد عن سمات الضعف والذلة والهوان والانكسار ، وهـذه الصفات السلبية تقتل فى الانسـان حب الحرية والأخـلاق الفاضلة ، وأى فضل يبقى للانسان وقد قتلت فيه هذه الخلال الحميدة (٢) .

وحرية الفرد لا تمارس إلا من خـلال الآخرين ، ووسـط المجتمع الذى يعيش فيه ، ولا يمثل الآخـرون عقبة فى سـبيل ممارسـة الفرد لحريته ، وذلك يتطلب اعتراف الذات بحرية الغير ، وهـذا يعنى ان حرية الفرد لا تعنى انكار حرية الغير ، وأن جوهر العلاقات بين الذات والآخرين لا يقوم على الصراع ، بل على التعـاون والمحبة والمشاركة ، ولا ينجم عن ممارسة الفرد لحريته ما يؤذى مشاعر الآخرين ، أو يلحق الأذى والضرر بهم ، بل مراعاة للنظام العام وحسن الذوق ومقتضياته ، وحسن الخلق ، والالتزام بقواعد السلوك لأخـلاقى اتجاه الآخـرين ، أى أن ممارسة الفرد لحريته تتم فى ظل التعاون والتضامن مع الغير ، وفى سياج من الأخلاق ، والتزام بقواعد السلوك الفاضلة (٣) .

وخلاصة القول أن الشيخ مصطفى يقول بالحرية الملتزمة بحـدود الأخلاق ، والتى تدرك معنى الفعل الحر ،وأنه بعيد عن الفوضى وعـدم الاكتراث ، وأن يراعى الفرد حرية الآخـرين ويحترمها ويقدرها ، وبذا يقرب الفعل من الاعتدال ويبعد عن المغالاة والتطرف ، فالاعتدال ضرورة لمراعاة حرية الغير واحترامها (٤) .

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ١١٥ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ١١٥ .
(٣) مصطفى عبد الرازق آثار ٢١٥ .
(٤) مصطفى عبد الرازق آثار ١٩٥ .

الفصل الرابع

الجانب الاجتماعى

« الانسان حيوان اجتماعى بطبعه » هكذا قرر أرسطو قديما ، بمعنى أنه الحيوان الوحيد الذى لا يمكنه أن يحيا وحيداً بدون الآخرين ، فهو لا يمكنه أن يوفر وسائل حياته الا بتعاونه مع غيره من الناس ، ولا يمكنه أن يوفر أسباب حياته ومتطلباته بمفرده ، كما أشار الى ذلك ابن خلدون فى مقدمته ، فانه يحتاج الى عمل الآخرين ومشاركتهم لهم وتعاونه معهم ، فالمجتمع الانسانى أشبه بالوحدة العضوية المتكاملة ، ولقد وضع الفارابى رئيس المدينة الفاضلة فى منزلة القلب بالنسبة لسائر أعضاء الجسد فى الانسان ، فالفرد بهذا جزء من كل هو المجتمع بأسره ، لا يمكنه الانفصال عنه ولابد من مخالطة الناس بعضهم بعضا وقيام علاقات بينهم ، ولقد عارض « ابن مسكويه » آراء الزاهدين وسلوكهم فى البعد عن الناس وعدم مخالطتهم لهم ، وأنهم بذلك لا يحصل لهم شىء من الفضائل الانسانية ، التى اشترط لحصولها مخالطة الناس ومساكنتهم فى المدن وبذلك تظهر فيهم ملكاتهم الأخلاقية ، أما أولئك المنعزلون عن الناس فان ملكاتهم تعد باطلة لأنها لا تتوجه الى خير أو شر ، ومن هنا كانت ضرورة أن يحيا الناس فى مجتمع ، وأن تقوم بينهم علاقات ، وعلى هذا الأساس كان قيام المجتمعات الإنسانية منذ عصورها الأولى (١) .

وبالنسبة للشيخ مصطفى ، فلقد احتل الجانب الاجتماعى مكانا بارزا فى فكره ، معالجا ذلك الجانب الاجتماعى ، وما يسود المجتمع من علاقات ، وما فيه من قيم وظاهرات وعادات وتقاليد اجتماعية ، ووجهها

---

(١) ابن خلدون المقدمة ٣٧ — ، الفارابى احصاء العلوم ٤٥ د . احمد الخشاب التفكير الاجتماعى ٢٣٨ ابن مسكويه هداية الأخلاق ٣٥ ، ٣٦ .

وجهة اصلاحية ، فلقد كان اهتمامه فى هذا المجـال الاجتماعى من الناحية التطبيقية العلاجية ، أكثر من اهتمامه بالأفكار والنظريات الاجتماعية ، واذا كان علم الاجتمـاع ينقسم الى مدارس نظـرية ، غرضـها اقامة اقامة ومناقشة وتحليل النظريات والأفكار الاجتماعية ، فان فيه أيضـا مدارس عملية تبغى الاستفادة من نتائج البحث العلمى فى ميدان الاصلاح الاجتماعى (١) — وبهذا المقياس يصح أن نعد الشيخ مصطفى من أنصار تلك الوجهـة العملية الاصلاحية • وسـوف نرى صدق ذلك من خـلال عرض أفكاره الاجتمـاعية •

أولا : الأسرة :

الأسرة هى أول مظهر للحياة الاجتماعية والخلية الأولى فى النسيج الاجتماعى ، وأساس ذلك البناء الاجتماعى لذا كان الاهتمام بها واقامة دعائمها على أسس قوية ، هو أهم ما تناوله علماء الاجتماع (٢) •

ولقد كان الشيخ مصطفى شديد الاهتمام بوضع الدعائم القـوية للأسرة ، ويرى أن أول ما تقوم عليه الأسرة هو الحب والمشاركة ، ففى مقال له بعنوان (الأسرة) يوضـح الفرق بين الأسرة فى القـديم فى الأمم البدوية والأسرة فى الحديث فى الأمم المتدينة ، بين كيف انها ارتقت من مرحلة العصبية الى الحب والمشاركة فيقول « حياة البداوة محتاجة الى عصبية كبرى تدفع الناس بعضهم الى بعض حيث لا دافع من النظم الاجتماعية التى تغنى عن الالتجاء الى العصبية والموالى ، أما العمران فى رقيـه فان بقيت فيـه حاجة الى العصبية فهى ضعيفة الأثر فى تـكوين العائلة ، وانمـا تقوم العـائلة على الحـب والتشـارك فى تحصـيل السـعادة » (٣) •

---

(١) د • مصطفى الخشاب علم الاجتماع ومدارسه الكتاب الثالث ٤٨ •
(٢) د • أحمد الخشاب العلاقات الاجتماعية ١٢٩ — ١٣٠ •
(٣) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٢١ •

فالحب هو أساس الرابطة الأسرية التى تجمع أفرادها ويسود علاقاتهم ويقوى أساسها ويضمن لها البقاء ، وهو فى نظره حب مقرون بالاجلال والاحترام ، فيقول « ان الذى يحقق معنى الأسرة هو الحب مقرونا الى الاجلال .. اجلال يهبط من الأب والأم ، ويصعد من الأولاد الى الأبوين وحب يتنزل من الوالد والوالدة الى الأبناء ، ويتراجع من هؤلاء الى الأباء والأمهات ، فالحب وحده لا يكفى بدون الاحترام والاجلال ، فالوالد يحب أولاده ويجلهم باقلاعه من أجلهم عن نزوات الضعف وعن الهفوات والذنوب ، كذلك الطفل الذى يحب أباه ولا يجله فهو لا يعرف للبنوة معنى — والاجلال بدون حب ليس اجلالا ولكنه خوف سواء من الولد أو من الأب الذى يحترم ابنه من غير حب فهو يخاف ألا يكون مخوفا » (١) ، فلابد أن يقترن الحب بالاجلال والاحترام من الأباء والأبناء .

الدعامة الثانية لبناء الأسرة يقدمها الشيخ مصطفى فى صورة واقعية لحياة الأسرة الأوربية ، وهى قيام تلك الحياة الأسرية على النظام والصراحة والتفاهم والمشاركة وبعدها عن الأحقاد واستقلالها « فيقول » أعجبنى من الأسرة الأوربية ما فيها من الحياة والنظام والصراحة ومظاهر السعادة — ومن عوامل الرقى فى نظام البيوت عند الغربيين تقسيم الأسرات الى مجاميع غير كثيرة العدد ، مجاميع يسهل التفاهم بينها والتناسب فى الذوق والرأى ، ويقل فيها الاختلاف ، على المصالح ، وتقل مداخل الاحقاد الى قلوب الأقارب (٢) .

كذلك يجب أن تقوم حياة الأسرة على أساس توزيع العمل وتقسيمه ، وأن يكون الأمر شورى فلا يستبد الرجل برأيه ، فالرجل يدير الشئون الخارجية بهمة وحزم على أنه يشاور امرأته ويستنصحها

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٢٠ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٢٢٩ .

ويطلعها على كل صغيرة وكبيرة عن موارده ومصادره ، ومزارعه ومتاجره ، والسيدة تتولى سياسة المنزل وما يلزم النظافة وراحة ساكنيه (١) .

والدعامة الثالثة للأسرة هى الترابط الأسرى الذى يربط بين أبناء الأسرة ، ويستمد الشيخ مصطفى هذه الدعامة من واقع حياة الأسرة الريفية المصرية ، ويعطينا صورة من صور التضامن الاجتماعى ، فيقول « أما نحن الفلاحين ، أبناء الفلاحين .. نستقبل الشمس سافرة ليس من دونها حجاب ، وترى حيث سرنا أهلا وعشيرة اذا مرض أحدهم عدناه ، واذا مات شيعناه واذا مسه ضر مسنا واذا غضب نهضنا معه غضابا لا نسأله على ما قال برهانا — نحن أسرة واحدة وان فرقتنا المناصب وأخوة متعاطفون وأن ميز بيننا الفقر والغنى ، يحترم صغيرنا كبيرنا ، يعطف كبيرنا على صغيرنا » (٢) .

وذلك مظهر من مظاهر الترابط الاجتماعى ، والأسرة بهذا تبدو شبيهة بوحدة عضوية متكاملة ، يجمع أفرادها رابطة قوية ، وهى تأكيد للمعنى الذى ورد فى الحديث الشريف « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر » وقريب أيضا من رأى المدرسة البيولوجية ، التى تشبه المجتمع بالكائن الحى والتى نجدها فى فلسفة أفلاطون وأرسطو والمفكر اليونانى « أجريبا » ، ونجد لمحات مماثلة عند مفكرى العرب (٣) .

والشيخ مصطفى يريد أن تقوم الأسرة على ذلك التماسك القوى ، وأن تأخذ حياتها على أساس النظام ، وبذا تأخذ الأسرة من القديم الموروث صلابتها وقوتها وتماسكها ، وتأخذ من الحديث أسلوب حياتها ، فتقوم على نمط من النظام والتعاون والسعادة والحب ،

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٤٠٤ — ٤٠٥ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٢١٤ — ٢١٥ .
(٣) د . مصطفى الخشاب علم الاجتماع ومدارسه الكتاب الثالث ٣٨ .

ويقول معبرا عن ذلك « اننا نحب الأسرة ، نحبها فى جميع أشكالها حتى لنريدها فىقومنا عصبيات بدوية ذات نصرة وحمية ، فان ذلك مظهر قوة، ونحن أحوج شىء الى مظاهر القوة ، على أننـــا نتمنى أن تمس أسرتنا نفحة من نفحات النظام والسعادة » (١) •

والدعامة الرابعة هى التماسك الأخلاقى ، ولقد أشـــار الى ذلك الشـــيخ مصطفى ودعى الى ضرورة التماسك الأخـــلاقى للأسرة ، وأن تجمـــع الأسرة الى الاعتزاز بالعصبية والرزق الوفـــير ، جاه التماســـك الأخلاقى والصلابة على تقاليد ممتازة أظهرها النجدة والكرم والحشمة واباء الضيم (٢) وبذا يتكامل بنيان الأسرة ويصبح بنيانا قويا متماسكا ، ولا يتأتى ذلك ، إلا بشعور الفرد القوى بانتمائه للأسرة ، والحرص على تقاليدها وخاصة الأخلاقية ، وينبغى الاشارة الى أن دائرة الأسرة عند الشيخ مصطفى لا تقتصر على الأب والأم ، بل انها تمتد وتشمل الأجداد والجـــدات والصبيان والبنات والأختـــان والكنائن والأحفـــاد ، وشعور الحفيد بانتمائه الى الجد يجعله حريصا على تقاليده الممتـــازة ، وفكرة العصبية عنده لها جانب أخلاقى ، تتمثل فى بعض الصفات الحميدة التى يحرص الأفراد على التمسك بها ، وتكون تقاليد موروثه يحرص الأبنـــاء على احيائها ، وبذا يتحقق ما أسماه الشيخ مصطفى بالمجد العائلى وهو مجد أخلاقى بجانب المجد المادى ، ولقد أشار ابن خلدون فى مقدمته الى أهمية العصبية ، وبين أنها ليست قاصرة على رابطة الدم بل تجمع الى ذلك الشرف والحسب أى أن لها جانب أخلاقى (٣) •

والدعامة الخامسة لقيام الأسرة المتماسكة ، هى الشعور بالانتماء مقرونا بالتضحية ، وشعور الفرد بالانتماء الى الأسرة هو نتيجة طبيعية لرابطـــة الحـــب الذى يجمع أفراد الأسرة ، فاذا ربط الحب بين أفراد

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٢١ •
(٣) مصطفى عبد الرازق آثار ١٨٠ •
(٢) ابن خلدون المقدمه ١٢١ •

الأسرة ، فان الفرد يكون أكثر وفاء لها وأشد ارتباطا بهـا ، واذا لم يتوفر ذلك الشعور فانها تكون أسرة مفككة مقطـوعة أوصالها ، وعلى الفرد أن يدرك أنه لا يحيا لنفسه فقط ، بل علية أن يقدم الخير ما استطاع اليه سبيلا ، والأولى بذلك الخير هو أسرته ، ويوضح لنا الشيخ مصطفى كيف كانت مظاهر العصبية فى الأجيال الماضية واضحة ، وكانت أسـاس التماسك للأسرة ، فينشأ الفرد مخلصا لذلك التراث ، ويعمل بكل جـد ونشاط ومثابرة للحرص على تراث أجـداده ماديا وأخلاقيا ، ولـكن فى هذه الأجيال الحاضرة قد أصاب هذا التماسك الوهن والضعف ، فهـذا الجيل قد تحللت روابطـه الأسرية ، لأنه فقـد الشعور بالانتمـاء الى الأسرة ، أو فقد كفايته ونشـاطه للعمل وأصـابه الكسل والخمـول ، فلا هو يقدر على نفع نفسـه أو نفع أسرته — وليس مجـرد الشـعور بالانتماء الى الأسرة هو الذى يرجوه الشـيخ مصطفى ، بل يجب أن يكون مقرونا بالعمل الصالح الأسرة وجلب المنافع لها ، والا فقد معناه ، فالعمل وتقديم الخير هو المقصود وليس مجرد وجـود الفرد بين قومه عاطلا خاملا كسلانا لا ينفع نفسه ولا قومه (١) .

ثانيا : دور الأسرة فى التنشأة الاجتماعية :

تقوم الأسرة بدور كبير فى تربية الفرد وتنشأته نشأة اجتماعية ، والفرد فى مراحـل حياته الأولى لا يعـدو أن يـكون كتله من الغرائز والاستعدادات ، ثم تتولاه الأسرة بالترويض ، على أن يـكون كائنـا اجتماعيا ومواطنا فاضـلا ، فتعلمـه لغة الجمـاعة وعاداتها وعرفهـا وتقاليدها ، وتكمل الجماعات الأخرى حلقات اللعب ، الزمالة المدرسية ، الجمعيات والهيئات ، وظيفة الأسرة فى تنشئه الفرد .

ولقد اهتم الشيخ مصطفى بقواعد التربية التى تربى عليها الأسرة الفرد ، وهى قواعد فى لبها أخلاقيـة ، وذلك لايمانه بأهمية الأخـلاق

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ١٨٠ — ١٨١ .

وضرورتها لقيام الفرد الصالح وتكوين الأسرة الصالحة والمجتمع الفاضل .

ولقد رأينا فى فصل (الجانب الأخلاقى) اهتمام الشيخ مصطفى بالتربية الأخلاقية والذى يهمنا هنا هو الاشارة الى سمة تلك التربية التى أوصى بها ، فاننا نجد أن الأخلاق التى أوصى أن يعمل المربون على غرسها فى نفوس الناشئين ، هى أخلاق ايجابية اجتماعية فى قلبها وقالبها ، فالأخلاق لا تقوم لها قائمة إلا وسط المجتمع ، وهى فى أساسها توضح لنا الواجبات الاجتماعية التى ينبغى أن يؤديها الفرد للمجتمع ، وهى قوة روحية تبغى البذل والعطاء والتضحية لخدمة المجموع ، وضرورية لاقامة أمة قوية ، ولقد تضمنت معانى الأخلاق عنده الفضائل الايجابية ، وأظهرها يقوم على الكرم والشجاعة والتضحية والايثار والنجدة والاحسان .

والسمة الثانية للأخلاق التى نادى بها الشيخ مصطفى ، هى قيامها على أسس نفسيه صحية ، تعمل على ارضاء جوانب النفس البشرية وتكاملها من غير افراط أو تفريط ، وتهدف الى تحقيق الصحة النفسية للفرد وابعاده عن الصراعات والاضطرابات النفسية ، وبذا تتكامل شخصية الفرد ويكون مؤهلا للقيام بدوره الأجتماعى ، وتحسن علاقته مع الآخرين ويتعاون معهم ، ولا شك أن الصراعات النفسية والرغبات المكبوته تجعل الفرد محبا للعزله ، والحياة بعيدا عن الناس وتقتل ميوله الاجتماعية ، وتنعدم مشاركته والعمل فى ميادين النشاط الاجتماعى ، فالصحة النفسية لازمة لايجاد الفرد الذى يقوم بدوره كاملا فى خدمة الآخرين .

ودعى الى تعويد الأبناء وتدريب النشىء على مراعاة النظام ، وذلك حتى يتسم سلوكنا بالنظام فى حياتنا العامة والخاصة ، ولا يتم ذلك إلا بقيام الأسرة بدورها فى تعويد أبنائها على مراعاة النظام — والنظام

فى رأيه مظهر لقوة الفرد وقوة الجماعة ، وبه يستقيم أمر الحياة ، وهـو علة رقى الأمم ونهضتها ، لذا كان من الضرورى تعويد النشىء على مراعاة النظـام (١) .

ولقد نبه الشـيخ مصطفى الى ضرورة مراعـاة الآداب والقواعد الاجتمـاعية الصحيحه والتى تربى الأسرة عليها أبنائهـا ، وذلك حتى يستقيم سلوك الأفراد ، وسوف نعرض لبعض نماذج من تلك الآداب الاجتماعية التى أوصى بها .

من هذه الآداب التى أوصى بها « آداب الزيارة » وللزيارة أهميتها فهى اجتماعات منظمـة قائمة على القصـد والارادة ، غير أنهـا مؤقتة ومحدودة الأجل والغاية ، ومنها الزيارات الجماعية والعائلية ، وهى تمتاز بقوة العلاقات الاجتماعية ، والروابط الشخصية بين أفرادها ، كـذلك بتأكيد الوجود الجمعى والمشاعر الجماعية فى نفوس الأفراد ، وذلك بما تنطـوى عليه من المشـاركات الوجـدانية والتفاعلات المتبـادلة بصفة مباشرة (٢) ، وتلك هى المعانى الحقيقية للزيارة .

ولقد نقد الشيخ مصطفى ما جرت عليه عادة القوم بشأن الزيارة ، وانهـا تتم بدون غرض وبدون ميعـاد ، فيقـول « لا قاعـدة للزيارة ولا ميعاد ، تكون فى الصباح والعشى وعند الهاجرة وفى سواد الليـل وبياض النهار ، وتكون لسبب ولغـير سبب ، وفينا من يقضى العمـر زائرا ومزورا ، كأنما خلق ليغش بيوت الناس ويستقبلهم فى بيته » (٣) ويبين لنا القواعد الصحيحة للزيارة وأغراضها التى تقرى صـلات الود والتضامن بين الناس ، وانها ليست مضيعة للوقت ، ولكنها ايجاد وقت من السعادة والبهجة والسمر والفائدة ، فيقول « ومن الـ جيب مع هـذا

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٢٢٤ .
(٢) د . مصطفى الخشاب علم الاجتماع ومدارسه الكتاب الثانى ١٢٢ .
(٣) مصطفى عبد الرازق آثار ٢٣٢ .

أننا أقل أهل الأرض تعاطفا وتراحما — فليست هذه الزيارات المترادفة الكثيرة بمغنيه شيئا فى جمع القلوب وايجاد الود والتضامن بين الناس ، ليس هذا التزاور إلا مضيعة للوقت ومدعاة للكسل ومتسعا للخوض فى لغو الحديث — ليس فى زياراتنا حفلات لهو ومسرة يكسبها الاجتماع بشاشة تخفف هموم الحياة ، وليس فيها سمر أدبى أو علمى يجعل تبادل الأفكار واختلاف الأنظار ، درسا مفيدا ، تمازجه طرائف الحكمة ولطائف الفكاهة ، ولسنا نتزاور أصدقاء نصل رحم الود بيننا ونتمتع بمظاهر الصداقة والوفاء » (١) لقد كان حريصا على أن يبعد الانسان عن اضاعة الوقت ، وعلى أن يكون الانسان حريصا على جنى ثمار الفائدة من كل عمل يقوم به ، سواء كانت هذه الفائدة روحية كصلة الود والأرحام وتقوية أواصر المحبة ، أو فائدة علمية كتبادل الأفكار والمناقشات العلمية المفيدة ، وهذا ما رآه من معنى الزيارة ، وما يجب أن يتحقق فيها .

ولقد طالب بأن يحرص الفرد على بعض الآداب فى سلوكه الخاص والعام ، كحرصه على نظافته الخاصة أو اقلاعه عن بعض العادات السئية ، وحرصه على النظافة العامة فى الطريق العام ، ونبه الى الكثير من آداب الطريق ، وعلى الأسرة أن تعود أبنائها الى ما يقوى سلوكهم الخاص والعام ، وأن يلتزموا بحسن السلوك وما يقضى به الذوق العام ، وذلك ضمان لحسن ممارسة الأفراد لحرياتهم واحترامهم لحريات الآخرين ، ويريد الشيخ مصطفى بذلك أن نربى النشىء ، على ادراكهم لمسئولياتهم الاجتماعية ، وأن يعمل كل فرد على راحة الآخرين ، وعلى نشر الطمأنينة واحترام الغير وصيانة الأعراض ، وعلى كل ما يقوى رابطة الأفراد ، وذلك بدافع الرغبة والادراك والفهم الصحيح لتلك المسئولية الاجتماعية ، لا مجرد الخوف والرهبة ، بل بالالتزام بالآداب الاجتماعية ومراعاتها ، فتنعدم بذلك السرقات والمشاجرات والاعتداء

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٢٣٢ — ٢٣٣ .

على الأعراض ، وغير ذلك من الحوادث المؤلمة التى تهدد حيـــاة الناس ، وتجعل حياتهم جحيما لا يطاق (١) •

وفى الحقيقة لقد كان الشيخ مصطفى حريصا على تنبيه الفرد الى تلك الآداب التى عرضنا لبعض النماذج بقدر ما يسمح به المقـــام ، وأراد أن يرسم صورة نموذجية متكاملة والتى يجب أن يحتذيها الانســـان فى سلوكه ازاء نفســـه وازاء الآخــرين ، ويتحلى فيهـــا الفـــرد بالآداب الاجتماعية ، مما يخلق الفـــرد القـــوى والمجتمع الراقى ، وتلك الآداب الاجتمـــاعية طالب بأن تربى الأسرة عليهـــا ، حتى يمكنها خلق مجتمع متقـــدم •

ثالثا : المشكلات التى تواجه الأسرة :

بحث الشيخ مصطفى للمشكلات التى تواجه الأسرة ، وهى الزواج والطلاق وتعدد الزوجات وزيادة النسل ، وسنوجزها فيما يلى :

١ ــ الزواج :

يمثل الزواج العلاقة بين الزوج والزوجة ، وهى أول علاقة لتكوين الأسرة ، ولقد رأى الشيخ مصطفى أن العلاقة الزوجية يجب أن تقوم على الحب والسكينة الباطنية والمشاركة ، واذا كانت هذه العلاقة قوية ، كانت حياة الأسرة ترفرف عليها السعادة والهناء العائلى ، وان عـــدم الاستقرار ليهدم ذلك البناء ويحيل حياتها الى نكد وتماسة ، ومن هنـــا كان الاستقرار فى الزواج هو أساس السعادة الأسرية ، ولكى يتحقق ذلك الاستقرار لابد من توافر شرط جوهرى هو الأختيـــار وحـــرية ارادة الطرفين فى اقامـــة الرباط الزوجـــى ، بحيث لا يكره طرف على الرباط بالآخر ، وذلك لان توافر ارادة الطرفين على الزواج يقوى تلك الرابطة

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار فى مواضع متفرقة ٢٥٤ ، ٤٠٨ ، ١٦٠ ــ ١٦١ ، ٢٥٣ •

ويدعمها ، ولقد أكد هذا المعنى فى ملاحظات كتبها عند حضـــوره لحفلة عقد قران ، فيقـــول « ومما أثر فى نفسى بين ثنايا ذلك الحفل أن الزوج كان حاضراً يقبل النكاح ويتلقى التهانى ولكن عروسه سجينه يزوجهـا عمها على صداق قدره بينه وبين البعل وبشروط رضيها هو أو من غـير قيد أو شرط » (١) •

وللمرأة فى رأيه حريتها فى اختيار زوجهـا ، ويدحض تلك الأقوال الجائرة التى تقول بأن المرأة لا تحسن الاختيار ، وأنهـا ليست أهـلا للحرية ، ويبين أن للمرأة حقهـا فى الحـرية وأنها أهل لممارســة تلك الحـرية ، وأول تـلك الحقـوق هـو حريتهـا فى اختيـار من ترتبط بالزواج منـــه (٢) •

واذا كان الاختيار ضروريا قبـل الزواج فلابد أن يحسن المقبلون على الزواج الاختيار ، ويجب ألا يتسرعوا فى الاختيار ، بل يحســنوا الرؤية والتأمل قبل التسرع ، وذلك حتى يأتى اختيارهم موفقا (٣) •

ويزود الشباب بقواعد الاختيار للزوجة ، فيقـول « ان شـبابنا فهموا حقيقة أن الزوجة ينبغى أن تكون شريكة فى الحياة ، ذا عقل وقلب ، ولم يعـودوا يبحثون عن فتيات كل فخرهن فى الغنى ، فان السـعادة لا تشترى بمال ولا من غانيات كل حظهن فى ذلك الجمال البارد الذى لا تنعشه حرارة القلب الحر الحساس وحياة العقل الذكى » (٤) ، وهذه صـفات ينبغى توافرها فى الزوجة الصالحة ، واذا تحقق ذلك الاختيار الصحيح ، فان العلاقة الزوجية تكون أشد وثوقا وأمتن رباطا ، وبذا يتحقق التماسك الأسرى •

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٢٦٢ •
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٢٦٣ •
(٣) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٣٧ •
(٤) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٣٨ •

٢ ــ الطــلاق :

اهتم الشيخ مصطفى ببيــان حقيقة العــلاقة الزوجية ، وضرورة اقامتها على أسس قوية ، وعــاب على الناس نظرتهم السطحية وفهمهم الساذج للرابطة الزوجية ومدى تهاونهم فى تلك الرابطة ، مما يؤدى الى تفكك الأسرة ، فيقــول « حل عقدة النكاح هين عندنا هو انا مصيره رهنا بلفظة تقال فى مزاح أو غضب من غير قصــد وتجعله نوعــا من التمرين العقلى يتلهى الفقهاء بتنويع وجوهه وتشعيب صــوره وكأن هــذا كان مقربا للعامة على اللعب به فى سمرهم وحياتهم » ٠

بهذه النظرة السطحية والفهم الساذج لطبيعة الرابطة الزوجيــة ، يحدث الطــلاق ويكثر وقوعه بلا سبب ، وينتج عنه آثار تعصف بكيان الأسرة وتقتلع أساسها ، ولقد عنى الشــيخ مصطفى بمسألة الطــلاق لأهميتها ولآثارها الضــارة ، فهو يوضح طبيعة العلاقة الزوجية ، ويضع قواعد الاختيار الصحيحة ، وذلك ليبعد ذلك الشبح المخيف الذى يهــدد كيان الأسرة ، ولقــد صور ما آل اليه حال القــوم من تهــاون وتمسك بالجدال والنقاش فى الطلاق ووقوعه ، بل انهم اتخــذوه ، ملهاة لهــم ٠

فلابــد أن أن يكون للحيــاة الزوجية قداستها وأهميتها وفهمهــا الصحيح ، وأن تدوم حياتها قوية متماسكة ، ولا يحــدث الطلاق لمجرد نزوة ضعف أو لأتفه الأســباب ، انما يحدث كحل لا بديل غيره ، عندما يتعثر دوام تلك العلاقة ، أو يكون دوامها ضرر بأحد الطرفين أو بكليهما ــ لذا نراه يعارض اباحة الطــلاق ، ويؤيد حكما حكمت به المحكمة الشرعية يقضى بتعويض الزوجة المطلقة بلا سبب فيقول « شىء عظيم جدا أن تصبح الزوجة مطمئنة فى عيشتها الزوجية ، آمنه مفاجأة الطلاق ، أبغض الحــلال الى الله والى الناس ، فهى منذ الآن بين امساك بمعــروف أو تسريح باحسان يعطيه الرجل سماحة وبرا ، أو يعطيه تعويضه بحكم

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٢٦٢ ٠

من محكمة مصر الابتدائية الأهليـــة » ، وطالب كذلك الزوجــات اللاتى بيدهن العصمة ألا يتسرعن فى الطلاق بلا سبب ، فالزواج رابطة روحية مقدسة ، يجب أن تدوم مدى الحياة ، ولهذا وجب عدم حلها إلا لأسباب اضطرارية ملحـــة (١) •

٣ ــ تعدد الزوجـــات :

من المشكلات التى تعانى منها الأسرة مشكلة تعدد الزوجات ، التى يتفاقم أثرها ونتائجها الضارة التى يمتــد أثرها الى الأبناء ــ لذا عالج الشيخ مصطفى هذه المشكلة فى أكثر من موضع •

ويعرض لنا الشيخ مصطفى صورا عديدة لانسياق الناس لرغباتهم وشهواتهم وكثرة زواجهم وطلاقهم وتعدد زوجاتهم ــ ويصف تلك الصور بأسلوب ساخر ، لمن لا يقــدررون تلك الرابطة الزوجية ، ولا يفهمون من علاقة الزواج ســوى ارضاء الشهوات الحسية وزيادة النســل ، ويعيب عليهم الشيخ مصطفى تلك النظرة السطحية التى تجافى مقاصــد الدين ، ولا يستسيغها العقل ، ويرى أن الزواج رابطة قدســية لا تنفك عراها لأوهى الأسباب ولها وظيفتها الاجتماعية التى تقــوم بهــا حياة المجتمعات ويحفظ بها النوع الانســانى ، ولها وظيفتها النفسية ، فهى سكن للنفس واستقرار لها وتقــوم على الحب ــ لذا كان تعدد الزوجات يقتلع الحب من أساسه الذى هو أساس السعادة الزوجية ، والحب فى رأيه وحــدة لا تتجزأ ، وأساس سعادة الحيــاة ، ولهذا السبب نراه يعارض فى احدى خطبه الدينية تعدد الزوجات فيقول « وقفت للخطبة فأتيت بالحمد والصلاة ، ثم جعلنا أحــدث الناس فى أمر الزواج لأبين لهم أن تعدد الزوجات يقلع الحب من أساسه ، لأن الحب موحــد لا يقبل الشرك ، واذا ذهب الحب فعلى السعادة العفاء فى هذا العالم كله » (٢) •

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٤٦٣ •

(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ١٠٢ ، ١٠٣ •

ويحذرنا الشيخ مصطفى من ذلك لنـوع المزواج المطـلاق ، ويبين لنا أن كثرة الزواج وحب النســاء لا يليق أن يتخـذه الناس أســاسا لارضاء شهواتهم ونزواتهم ، ويعرض لواحد من هؤلاء ، ويحذرنا من مغبة ذلك فيقول فى عبارة موجزة توضح فســاد ذلك فيقول « يظهر أن الذى يحب المال والنســاء يحرم منها جميعا كما حرم الشيخ ســالم وقد يكون أسلم شىء للعــاقل ألا يحب مالا ولا نســاءا » (١) ، فيجب ألا يتغلغل حب النساء فى نفوسنا بحيث يدفعنا الى تلك الكثرة الغـير مرغوبة من الزواج وتعدد الزوجات والتى ينجم عنها آثار ضارة تعصف بكيان الأسرة والمجتمع ، ويوقع العداوة والبغضاء بين الأبناء ويتسبب فى تشريدهم وتفكك الأسرة •

٤ ـ زيادة النســل :

من المشكلات التى تنشــأ فى الأسرة ويمتــد أثرهــا الى المجتمع ، مشكلة زيادة النسل ، مما يتسبب عنه أضرار اقتصادية بالغة الخطورة ، وينتج عنه زيادة مطردة فى السكان مع قلة الموارد ، مما ينجم عنه مشكلات اقتصــادية •

ولا يقتصر الضرر فى الاسراف فى النسل على الناحية الاقتصادية ، بل انه يتسبب فى الأضرار الصحية ، التى تلحق بالزوجة لكثرة تناسلها ، وما يصيب جمالها وشبابها نتيجة لذلك — ولقد عرض الشــيخ مصطفى لتلك الأضرار الصحية التى تصيب المرأة نتيجة للأسراف فى النسل (٢) •

ومن أسباب زيادة النسل ، هــو التسرع فى الزواج لصغار السن وعدم مراعاة أهلية الرجــل وقدرته الاقتصادية على القيــام بأعبــاء الزوجية — لذا كان عدم التسرع فى الزواج ، ورفع السن ، وقدرة الرجل على القيام بأعباء الحياة الزوجية حلولا تساهم فى الحد من النســل ،

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ١٣٨ •
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ١٥٥ •

فضلا عن اقامة علاقة زوجية قوية ، ويقول الشيخ مصطفى « لا ضرر فى ابطاء الرجـال والنساء فى أمر الزواج فان ذلك أقرب الى حسن الاختيار وحسن الاستعداد لحقوق الزوجية ، وأبعد عن الرعونة التى بلونا من شرها على الذرية والعصمة » (١) .

ولا شك أنه يتسبب عن الاسراف فى النسل زيادة هائلة فى عـدد السكان ، مما يتسبب عنـه ضغط سكانى ، والهجرة تخفف ذلك الضغط السكانى ، وتحدث أيضا رواجا اقتصاديا بما يحصـل عليه أبناء الوطن المهاجرين الذين لا يفقدون صلتهم بوطنهم ، ولقد شجع الشيخ مصطفى حب الهجرة والطموح الى الكسب ، فيقول « وقد أعجبنى أن يوجـد فينـا من يدفعه الطموح الى الكسب ، للهجرة والمزاحمة فى ميدان هو من أشـد ميادين الحياة تزاحما ، ورأيت الشـابين يسابقان زملاءهما من أهـل البلاد النازحين اليهـا ، فى الانتباه والنشـاط والنظافة والنظام ... سرنى أن يظهر المصرى عاملا نشيطا يتلمس الفن فى ارجاء العالم بجـده وسعيه ، فان بلادنا محتاجة الى أن يجد أبناؤها فى طلب الغنى » (٢) .

ولقد لاحظ الشـيخ مصطفى تزايد مشـكلة السـكان فى المجتمع المصرى ، ودعى الى الحد منها ، فقال « وقد زاد بحمد الله عددنا وهو لا يزال يتزايد ، حتى لوددنا أن يبطىء التزايد فى أيام هذه العسرة حتى تضع الحرب أوزارها » (٣) .

جملة القول . لقد أراد الشيخ مصطفى أن يقيم صرح الأسرة على أسس قوية ، فأوضح ما ينبغى أن تكون عليه العلاقات داخل الأسرة : وعالج بعض المشكلات التى تهدد كيانها ، وهى وجهة نظـر اصلاحية ، ودعاه الى ذلك سوء حال المجتمع ، وسوء أفكار الناس عن الزواج ، وقلة

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٣١ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٩٧ .
(٣) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٣٠ .

شعورهم بالسعادة والهناء العائلى .والتى أوجـزها فى عبارة موجـزة مصورا ما آل اليه حـال الناس ، فيقول « قلما شهدت زوجة راضية عن بختها العـائلى ولا سمعت بعـلا بحمـد الزواج ولا أدرى لم يتزوج النـاس » (١) .

ولقد صور لنا تلك المعاشرة الزوجية الضجرة ، التى يسيطر عليها القلق وعدم الرضا ، والتى يترقب فيها كل طرف الفرصة ليتخلص منها — ففى تفسيره لمعنى « الرقيب » فيقـول « والرقيب هـو المحافظ الذى لا يغيب عنـه شىء ، ورقيب الجيش طليعتهم ورقيب القوم حارسـهم والرقيب والرقوب من النساء التى تراقب بعلها ليموت فترثه ويوشك أن تكون كل متزوجة رقيبا تراقب بعلهـا ليموت ؛ ولو لم ترث منـه شيئا ويكفيها أن تتخلص من عشرة مضجرة » (٢) .

كل تلك الأحوال السيئة السائدة فى المجتمع جعلت الشـيخ مصطفى يهتم بمعالجة أمر اصلاح الأسرة واقامة بنيانها على أسس قوية ، فان الاصـلاح لا يحتمل الابطاء ويحتاجه المجتمع سريعا ، وتلك هى الدوافع التى دفعته الى الاهتمام بالاصـلاح — وفضلا عن تلك الأفكار التى قدمها لاقامة ذلك الصرح العائلى ، فلقد نبه المسئولين بأن تتوخى قوانين الأحـوال الشخصية التى تسن لتنظيم العـلاقة الزوجية تقوية بنـاء الأسرة وأن تفى بحاجاتها الاجتمـاعية ، وأن تعبر عن رغبة الجمـاهير وتلبى احتياجاتهم فى الاصلاح (٣) .

رابعا : الترابط والتضامن الاجتماعى :

يحيا الفرد وسط المجتمع مع غيره من الأفراد ، ولا حياة له بمعزل عنهم ، وتقوم بين الأفراد علاقات ، وكلما أقيمت هـذه العـلاقات على

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ١٩٩ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ١٩٩ .
(٣) مصطفى عبد الرازق آثار ٢٢٠ .

دعائم قوية وأسس سليمة كلما كانت متماسكة ومترابطة ، وتتمثل هذه العلاقات فى عدة اتجاهات تؤكد النشــاط الاجتمــاعى وتعززه . فيتعود الأفراد فى المجتمع على احترام الهيئات والجماعات التى ينتمون اليهـا ، ويعتبر الفرد نفسه جزء من ذلك الكل الذى يمثله المجتمع ، ومن ثم فانه لا تعارض بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة (١) .

ولتحقيق هذا الفهم للتضامن الاجتماعى ، كان الاهتمام الذى ساد آراء الشيخ مصطفى التى سبق عرضها ، فلقد وضع الأسس القـوية لقيـام الترابط والتضامن الاجتمـاعى ، فالأسرة وهى الخليـة الأولى للمجتمع يجب أن تقوم على الحب والاحترام والتعاون والترابط ، وهى أشبه بالوحدة العضوية ، والتى تعتبر نموذجا تقوم عليه كافة العلاقات الاجتماعية فى المجتمع .

ويتمثل التضامن الاجتماعى فى صورة العاطفة الوطنية والقـومية بالنسبة للمجتمع العام ، وشعور الأفراد بانتمائهم لوطن معين ، يدافعون عنه ويزودون عن كرامته ، ويعتزون بقوميتهم ووطنيتهم ، ولقـد كان الشيخ مصطفى حريصا على تزكية روح الوطنية فى نفوس أفراد المجتمع وغرس الشـعور القومى فى نفوس المواطنين ، وأن يمـلأوا نفوسـهم بعقائد شاعرية حماسية ، وان خلت من السند العلمى والمنطقى إلا أنهـا تثرى نشاطهم وعملهم ، وتمكن لأمتهم فى الأرض وتصبح قوية عـزيزة مهابة الجانب ــ كذلك نبـذه التعصب بكافة صـوره الدينى والفكرى ، ودعوته الى وحدة عناصر الأمة ، فلا يطغى الشعور الدينى على الشعور القومى ، ويتعصب أهل دين ضد أهل دين آخر ، فتتفرق بأبناء الوطن الواحـد السبل ، ولقد سبق الاشارة الى ذلك فى مواضع مختلفة .

ولقد وضـح لنا أن الشـعور القومى مظهـر من مظاهر الترابط

---

(١) د . أحمد الخشاب العلاقات الاجتماعية ٩١ ، عمر فروخ اخوان الصفا ١٠٦ .

الاجتماعى ، ففى تفسيره لظاهر اجتماعيه وهى « الأعياد » يرى أنهـا دليل على تكون الشعور القومى لدى الأفراد فى المجتمع ، فيقول « العيد كل يوم يعتاد الاحتفال به والسرور فيه هو ميقات معين يتجـدد فى كل عام بين جماعة من الناس ، فيحيونه بمظاهر خاصـة تميزه عن سـائر الأيام — والعيد بهـذا المعنى عرض اجتماعى ، لا يوجـد فى طرائف الناس إلا بعد أن يحصلوا حظا من المدنية والرقى الاجتمـاعى ، ذلك بأن اتفاق جمـاعة من الجماعات على اتخـاذ زمن بعينه موسما مشتركا بينهم ، يدل على تكوين الشعور القومى وعلى ضرب من النظـام فى الحيـاة الاجتماعية » (١) فالشـعور القومى يتجلى فى أحـد صوره فى تمسـك الناس بأحيـاء أعيـاد ومناسبات قوية ، فهى تمثل ترابطهـم الاجتماعى — لذا كان حريصا على أن يتمسك بأعيادهم ويحتفلون بهـا ويحيون ذكراها ، وألا يختلط المعنى الدينى والمعنى القومى للأعيـاد ، فلكل عيد طبيعته ، أما أن تكون كل أعيادنا ذات طابع دينى واحد ، فهذا ما لا يتفق مع طبيعة الأياد ، فلابد من احياء تلك الأعياد القومية (٢) .

ولكى يتحقق الترابط والتضامن بين أفراد المجتمع ، فلابد أن تسرى روح التعاون والمشاركة فى نفوس أفراد المجتمع ، فتتكاتف جهـودهم خاصة فى مواقف الشدة التى تتطلب جهود كل الأفراد وكافة الطبقات فى المجتمع ، ولقد أكد الشيخ مصطفى فى عرضه لأحـد المواقف التى تتطلب التعاون والمشاركة من الغنى والفقير ، هذا المعنى وأكد على ضرورة بث روح التعاون والتضامن بين الجميع (٣) .

والتضامن الاجتماعى يقضى بأن يبذل الفرد أقصى ما فى وسعه فى سـبيل الآخـرين ، وتقديم المسـاعدة لهم وخاصـة أولئـك البائسين المحرومين — ولقد طالب الشـيخ مصطفى بالرعاية الاجتماعية لاولئـك

---

(١) مصطفى عبد ارازق آثار ١٧١ — ١٧٢ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ١٥١ .
(٣) مصطفى عبد الرازق آثار ١١٥ — ١١٦ .

البائسين المحرومين ، وهى مسئولية الحاكم والمحكوم معا ، أى مسئولية المجتمــع بأسره ، وهى تعكس مــدى قــوة التضــامن والترابط بين الأفــراد (١) .

كــذلك دعى الشــيخ مصطفى الى الترابط الثقــافى بين العنصرين المكونين للطبقة العلمية فى مصر ، وهم طلاب المعــاهد الدينية وطــلاب المدارس الفظاميين ، ودعى الى ازالة نظرة السخط التى يلقيها كل فريق على الآخر ، ونبذ تعصب كل فريق ضد الآخر ، وبين أن هذا يتنافى مــع الروح العلمية ، فضــلا عما يحــدثه من تفكك وانقســام بين أفــراد المجتمــع (٢) .

على أن أهم ما يحقق الترابط ويدفع الأفراد الى التضامن ، هــو أن تقوم العلاقات بينهم على أساس الحب ، ولقد علق الشــيخ مصطفى أهمية بالغة على دور الحب كأساس للعلاقات الاجتماعية ، ونقد بشدة العلاقات التى تقوم على أســاس المصلحة والمنفعة فقط ، وتخلو من رابطة الود والحب ، فالحب أساس للحياة الاجتماعية وضمان لترابطها وقوتها وأساس لرقى المجتمع ، وحاجة مجتمعنا الى الحب والحماســة والأريحية والنشاط والأمل ضرورى لرقيه ، وضمان لسعادة الأفراد وقوة تماسكهم ، وان خلو حياتنا من تلك المعــانى السامية هو سبب شــقاء مجتمعنا وتفككه (٣) .

وهو يطالب أن يعــم الحب وتسرى روح المشــاركة بين نفــوس الأفراد ، وتتكاتف جهــودهم ونشــاطهم ، ويزداد تماسكهم ويقــوى ترابطهم ، ويحققون الخــير والنفع لمجتمعهم ، وبــذا يتحقق التضــامن

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٦١ .

(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٩٣ .

(٣) مصطفى عبد الرازق آثار ٢٣٩ ، وايضا ١٩٨ ، ٣٦٤ .

الاجتماعى ، وتنضاف فى كل منا « أنا اجتماعية » الى « لأنا الفردية » وتعهد هذه الأنا الاجتماعية هو الأساس فى الزامنا اتجاه المجتمع (١) .

خامسا : الاصـــلاح الاجتماعى :

لقد اهتم الشيخ مصطفى بالوجهة الاصلاحية فى المجتمع اهتمـــاما بالغا ــ فلقد كان من أولئك الرواد الذين راعهم حالة المجتمع المتخلفـــة ، وسارعوا بتقديم الاصـــلاح واقامة أساس سليم للحيـــاة الاجتماعية ، وتوجيهها وجهة صحيحة ، ووقف موقف الناقد لما هـــو سائد فى المجتمع من عـــادات وتقاليد وما يعانيـــه من مشـــكلات ، بعقل متفتح ونظـــرة موضوعية ثاقبة ، يضع الحلول ويرشد الناس الى السلوك القويم ، وذلك بمنهج العـــالم المدقق المنظم ، وهـــدف المصلح الذى يرجـــو الخـــير ويرشـــد اليه .

والاصلاح يقتضى التغيير والذى هو ضرورة للتقـــدم الاجتماعى ، وطبيعة التغيير عند الشيخ مصطفى تعنى أن يكون التغيير تغييرا للمضمون وليس للشكل ، وهو تغيير فى الأساس وفى المحور ، وهـــو تغيير ما فى النفس وذلك يحقق معنى التغيير الصحيح ــ أما تغيير المظهر فهو تغيير سطحى لا أساس له ولا عمق فيـــه ، فلا يحقق أغراضا ولا يسعى الى نيل أهداف ، فهو يقتصر على الشكل ولا يتعداه ، أما تغيير المضمون فهو يسعى الى أغراض وأهداف ، ويعمل بجد ونشاط لتحقيق تلك الآمـــال والأهداف (٢) وبهذه النظرة العميقة لمفهوم التغيير أقام الشـــيخ مصطفى نظرته الاصلاحية الاجتماعية ، وفيما يلى نعرض لبعض وجوه الاصلاح الاجتماعى عنده .

---

(١) برجسون منبعا الأخلاق والدين الترجمة العربية ٢٥ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٤٦٢ .

١ ــ العــادات :

من أهم ما تقوم عليــه الحيــاة الاجتماعية هو العادات ــ وهى اما فردية أو جمــاعية تخص الجمــاعة ، والعادات الجمــاعية عبارة عن مجموعة من الأفعال والأعمال وألوان من السلوك تنشأ فى قلب الجمــاعة بصفة تلقائية ، لتحقيق أغراض تتعلق بمظاهر سلوكها وأوضاعها ــ وهى تمثل ضرورة اجتماعية ، وتستمد قوتها من هذه الضرورة ، ولذلك لا يملك الأفراد الخروج على مقتضياتها والتزاماتها (١) ؛ ولكن العــادات ليست ذات جبرية مطلقه بحيث لا يستطيع الانســان تغييرها وتبديلها ، فالحق أن الانسان يمكنه أن يحور فيها ويغير فى الحــدود التى تخيرها وفقــا لثقافته وتطوره ، وفضلا عن ذلك فانها مظهر من مظاهر التراث الاجتماعى الذى لابد أن يساير التطور ، وتخرج عن صورها الجامدة •

وعلى هذا الأساس كان موقف الشيخ مصطفى من العــادات التى تسود المجتمع ونقدها ومعالجتها معالجة اصلاحية ــ ولقد عارض الكثير من العادات السيئة كعادة تقبيل الأيــدى ؛ وذيوع الجهــل فى المجتمع كالاعتقاد بوجود الجن وما يصحب ذلك من أفعال تخص تلك المعتقدات الباطلة ، وعادة صريخ الفقهاء حــول نعش الميت مما يذهب بقداســة الموت وجلاله ، والعادات السيئة المصاحبة للاحتفال بالأعياد ، وحرص على تخليص آدابنا الاجتماعية من بعض العادات السيئة كعدم العنــاية بالنظــافة وطالب بالمحافظة على آداب الطريق العــام ــ والتخلص من العادات الخاصة بالزيارة ؛ وغير ذلك من العادات •

والذى يجدر الاشارة اليه هو ذلك المنهج الذى طبقه الشيخ مصطفى فى دراسته للعادات التى تسود المجتمع ونقده لها واصلاحه وعلاجه لها ــ ولقد قام بحثه على أساس الطريقة التاريخية ــ أى دراســة الظاهــرة وردها الى عناصرها الأولية وتتبعهــا فى بذورها الأولى وتتبع نموهــا

(١) د . مصطفى الخشاب علم الاجتماع ومدارسه الكتاب الثانى ١٨٢ .

حتى تصل الى شكلها الأخير ، وكذلك قيام بحثه على أساس الموضوعية ، وهى دراسة واقعية تقريرية دون التأثر بالأفكار الشعبية عن الظاهرة وتوجيهها وجهة اصلاحية الى ما ينبغى أن تكون عليه العادات والتقاليد — ويلاحظ تطبيق ذلك المنهج فى دراسته لظواهر اجتماعية كثيرة « كالأعياد — الشرف — ظاهرة الانتحار — وغير ذلك — وفى دراسته للعادات كان يطبق ذلك المنهج — وسنذكر على سبيل المثال — دراسته للعادات المصاحبة للأعياد ، فلقد نبه الى معرفة أصول العادات ونشأتها وطبيعتها . حتى نستطيع أن ندرك حقيقتها وأن نصلح الفساد الذى لحق بتلك العادات — فكثير من العادات تأخذ صبغة دينية ، وهى فى حقيقتها لاتمت الى الدين بصلة ، ثم التصقت بالدين ، وأصبحت عاداتنا مختلطة بالشعور الدينى — ولقد كان لهذا الخلط نتائج سيئة ، فهذه العادات التى ارتبطت بالدين فى أذهاننا عن طريق الخطأ ، جعلتنا نتمسك بها ولا يقل تمسكنا بها عن تمسكنا بالدين ذاته — بل انها أصبحت كشعائر الدين لا تنفصل عنه — ونتيجة لذلك فقد طغت على كل عاداتنا مسحة دينية ، فضاعت بذلك قداسة الدين ، وأصبحنا نأخذ من جد الحياة لهوا ، لأننا لا توجد لدينا أعياد دنيوية وعادات خاصة بها تجد فيها النفس متنفسا ولهوا ، كما هو الحال عند الأوربيين — ويرى أنه لابد أن تنبع عاداتنا التى نحى فيها الأعياد من طبيعة تلك الأعياد ذاتها ، وأن يكون لنا أعياد دينية نحييها بعادات تتناسب مع قداستها ، ويكون لنا أعياد قومية دنيوية نحييها بما يناسبها من عادات (١) .

٢ — القديم والحديث — الأصالة والتجديد :

من القضايا الاجتماعية فى حياة المجتمعات قضية الأصالة والتجديد ، أى المحافظة على القديم من التراث والعادات والأخلاق الموروثة وكافة ألوان الحضارات التى تشيع فى المجتمع ، أو الأخذ بالجديد وسايرة

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ١٥١ — ١٥٢ .

التقـدم والنهوض فى كافة صـورة وأشكاله ، ويبـدو ذلك واضحا فى المجتمعات المختلفة ، والتى انقطعت الصـلة بين حاضرها وماضيها — فتتجاذبها قوة الجديد ، والحنين الى التمسك بالماضى — ولقـد وقف الشيخ مصطفى من هذه القضية الاجتماعية موقفا سديدا .

فهو يلاحظ تخلف مظاهر العمران فى المجتمع عن مسـايرة النهضة والتقدم ، وكذلك تخلف سائر مظاهر الحياة الاجتماعية وحماسة المجتمع للجديد والأخـذ به يصاحبه بطء من جانب القـديم يحفظه من خطـر التقحم ؛ ولكنه يرى أن الاسراف فى المحافظـة على القـديم يؤدى الى التخلف عن مسايرة النهضة والتقدم ، فيقول معبرا عن ذلك « قد يكون من خير الأمم الأولى نزوعهـا الى الرقى فى الميعـة الأولى أن يتجاذب حماستها للتجديد بطء من جانب القديم يحفظها من خطر التقحم ، ولكن اسراف بعض مرافق العمران فى القعود عن مسـايرة الناهض من شؤون الحياة يضر تلك المرافق ضررا يصل الى الحياة الاجتماعية كلها » (١) .

وليس الأخذ بالجـديد يعنى ترك القـديم ، بل هو يدعـو الى التمسك بأصالة القديم والنافع منـه وما يصلح أن يـكون أسـاسا قويا لحياتنا ، وليس هذا مصادمة للجديد واعراضا عنه ، بل هو يدعو الأمـة أن تتمسك بقوة قديمها النافع وأن تأخـذ بقوة الصالح من الجـديد ، فليس المهم أن تنطلق الألسنة بالدفاع عن القديم مع عدم التمسك به ، ولكن المهم أن يقـوى تمسكنا به وتزداد صلابتنا ، ويقـول مؤكدا ذلك المعنى واصفا موقف المجتمع وما يتجاذبه من تيارات الدفاع عن القديم والصد عن الجديد ، مبينا أنه لا تعارض بين القديم النافع والجديد النافع فيقول « ولكن الذى يردعنا هو أنك تجد ألسنة متحمسة فى النضـال عن القديم ومصادمة الجديد وتجد تحللنا فى العمل من كل أخلاقنا وتقاليدنا العتيقة هينا لينا فلا حرمة فى نفوسنا صحيحة لشىء بما ورثنا التمسك

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٢٤٩ — ٢٥٠ .

به جيلا بعد جيل ... نحن نحب أن نجـد صلابة من الأمة فى تقاليدها التليدة التى نريد أن نزلزها ذلك بأننا نسعى الى جعل أمتنا تأخذ الجديد بقوة ومن لا يعز قديمه فلن يعز الجديد » [1] .

وليس فى الحرص على التمسك بالقديم ما يجعلنا أن نعرض عـن الجديد ونصد عنه ، فان فى الجـديد منافع وخـير كثير ، وربما كان الخوف ينبع من جـدته واستغرابه ولا ينبع من طبيعته ، وذلك لأن فى الجديد منافع ويقول الشيخ مصطفى « لسـنا نخاف من شر الجـديد ما يخافه قومنا فان فى الجديد خيرا كثيرا لا يذهب ما يشـوه مكانه فى البداية بين ثنايا القديم » [2] .

خلاصة القول هو يدعو الى غربلة التراث القديم وتنقيته مما شابه والأخذ بالصالح منـه والمحافظة عليه ، كـذلك يدعو الى نقد الجـديد وتمحيصه دون أخذه على علاته ، وأخذ الصالح منه ، فيكون الأساس هو أعمال العقل والفكر والروية ، وأخذ الصالح من القديم والجـديد على السـواء — دون تعصب وتمسـك بالقديم لقدمه ، أو الأخـذ بالجديد لجدته ؛ وهذا ما يجعل الأمـة تسير فى سبيل الرقى والنهوض — ويؤكد هذا فى رجائه أن تأخذ الأمة بالجديد ولا يسـوء ظنها به ، وألا تترك قديمها ولا تحتقره ، فيقول « وكل ما نرجوه لهذه الأمة هو أن لا يسوء ظنها بالحديث وأن لا نحتقر القديم ، فان مجدها المأمول يقـوم على الأخذ بالحديث واحترام القديم » [3] .

٣ — حـرية المرأة :

قضية حقوق المرأة من أهم القضـايا التى شغلت بال المفكرين فى المجتمع المصرى فى مطلع هذا القرن ، وهى تتعلق باعطاء المرأة حقوقهـا ومساواتها فى تلك الحقوق مع الرجل كحق العلم وحق العمل ، وحريتها

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ١٦٨ — ١٦٩ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٧٣ .
(٣) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٧٣ .

السياسية والاجتماعية ، ولقد انقسمت الآراء بين معارض متزمت ومؤيد متطرف . ولا يتسع المقام لعرض تلك الآراء . ولكن الذى يهمنا هو الاشارة الى موقف الشيخ مصطفى من هذه القضية الاجتماعية الهامة .

ويتضح موقفه منذ الوهلة الأولى ، أنه لا يقف مع المعارضين المتزمتين ولا مع المؤيدين المغالين ؛ بل يقف موقفا يتسم بالحكمة والتريث . فهو يؤيد اعطاء المرأة حريتها وحقوقها ، ولكن فى سياج من العلم والأخلاق ، وأن يمهد لهذه الحقوق بالعلم ، وهو أول تلك الحقوق وأولادها ، والعلم والأخلاق ضمان لحسن ممارسة المرأة لحريتها ، ويرى ضرورة التدرج فى أخذ المرأة لكافة حقوقها حتى تحسن استخدامها لتلك الحقوق ، وهذه نظرة سليمة ، لان دعاة الطفرة لا يؤمنون بالتطور الاجتماعى السليم الذى يجىء عن اتجاه سوى لسائر الظواهر الاجتماعية معا ، ومن هذه الظواهر الدين والعادات والتقاليد والعرف ولها فى المجتمع مكانتها وقداستها ، فلابد من التمهيد لنيل تلك الحقوق والتدرج حتى لا تصبح شيئا نابيا فىالمجتمع لم يألفه الناس وليس فى هذا ظلم لها أو تجن على حقوقها ، فالنهضة الأوربية قامت منذ القرن السادس عشر ، ومع ذلك لم تنل المرأة الفرنسية حقوقها السياسية إلا فى منتصف القرن العشرين ، ونهضتنا قامت منذ سنة ١٩١٩ ، ونالت المرأة منذ هذا التاريخ القريب أغلب حقوقها فلا يضيرها شىء لو صبرت قليلا .

والمرأة فى نظر الشيخ مصطفى لها دور كبير باعتبارها نصف المجتمع ، ولقد أدرك أهمية دورها وضرورة مشاركتها للرجل فى العمل ، وألا تكون طاقة معطلة ، فيقول واصفا مشاركة المرأة للرجل فى أعماله فى الحقل « وأعجبنى أن أرى السيدات شريكا للرجال فى مضطرب العيش ، وتمنيت أن تكون كل امرأة فى مصر شبيهة بهؤلاء الفلاحات العاملات اللواتى يعرفن للحياة معنى أكبر مما تعرفه المرأة المتحجبة » (١)

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ١٧٨ .

فالمرأة لها حق العمل ، وهذا ما ترمى اليــه حركة الاصلاح وتحرير المرأة ، ولكن الشيخ مصطفى يريد أن يمتد نشـاط المرأة الى الأعمـال العامة ، وخاصة تلك الأعمال التى تتفق مع طبيعة المرأة ، وألا يحـرم المجتمع من ذلك الجهد الوافر والعمل النافع ، فنراه يدافع عن اشتراك المرأة فى الجمعيات الخيرية وقيامها بأعمال البر والاحسان (١) .

ويرى الشيخ مصطفى أن عمل الخـير والبر والاحسـان يتفق مع طبيعة المرأة ، وهو التمهيد لممارستها حقها فى العمل فى كافة الميادين ، والمرأة هى أصلح من يقوم بأعمال البر ، وهو لا يعارض اشتراك المرأة فى كافة ميادين العمـل ، ولكنه يرى أن تقوم بالأعمـال التى تتفق مع طبيعتها ، ويقول مؤكدا ذلك « وانى وان كنت اشتهى أن أرى فى كراسى الحكم وجوها يترقرق دماء الحسن فى جنباتها ، وأن أسـمع من فوق المنابر أصواتا تسيل الرقة من نبراتها ، فانى أتمنى أن ينصرف النشـاط النسائى الى عمل البر ، والدعوة الى الخير ، فقد نشا الشر فى بنى آدم ، فلم يبق للانسانية إلا أن تولى وجهها شطر بنات حواء ، تبتغى الخـير من حسان الوجوه » (٢) .

ويرجو الشيخ مصطفى أن تتجه المرأة الى نشاطها الرئيسى ، وهو ميدان البر والخير ، وأن تخلو مجالس المرأة من الثرثرة حول الموضوعات عديمة النفع كالحديث عن الأزياء وغير ذلك من الموضوعات ، التى تصرف المرأة عن نشاطها الرئيسى وهو عمل الخير .

ولابـد من العلم والتربية للمرأة ، حتى تصـبح قادرة على ادراك حقوقها وحسن ممارستها لتلك الحقـوق ، ولقد نادى بضرورة اعطـاء الفرصة للمرأة لتنال حقها فى العلم ، وذلك لأنه كان يرى أن الرجل والمرأة من حيث الاستعداد العقلى والأخلاقى فى درجة استعداد طبيعى واحد ،

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٣٢ .

(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٤٣٧ .

وان اهمـــال تعليم المرأة أدى الى تخلفها وعـدم تنمية استعدادها ، وأدى الى اهمال المقدرة والكفاءة لديها ، ولم يكف عن ندائه بأهمية العلم ومطالبته القائمين بالأمر على مراعاة ذلك ونشر التعليم واتاحة الفرصة لتعليم المرأة ، واعطـــاء المرأة المظلومة ، حقها من المتـــاع العقلى الذى يقدرها على اقتضاء نصيبها من الحرية والمساواة (١) ٠

واذا كانت المرأة قد نالت معظم حقوقها ، فان ما أوصانا به الشيخ مصطفى من ضرورة العلم والتربية كضمان لحسن ممارسة تلك الحقوق ، همـــا أحوج ما تكون اليهما ، اذ همـــا ضمان للحرية الصحيحة وحسن استخدامها ، فلا يساء استخدام تلك الحـــرية تحت دعوى الحـــرية ، وكم من أخطاء ترتكب باسم الحرية ، وقد تغالى المرأة فى الأخـــذ بالجديد والرغبة فى التقليد مما لا يناسب عادات المجتمع وتقاليده ، وقد يجرفها تيار الحضارة الغربيـــة مما يفقـــدها احترام المجتمع ، ويجلب عليهـــا السخط ، ولا سبيل للخلاص من ذلك كله إلا بالعلم والتربيـــة ، وتلك وصايا صالحة لكل زمان ومكان ــ فالعلم ينير العقل ويرشد الى المعرفة الحقة والاعتقاد الصحيح والفهم الواعى ، والتربية تقود السلوك الى الخير والفضيلة ، وبهما يتحقق صحة النظر وســـلامة العمل ، ولا شك أن المرأة اذا التزمت بالعلم والتربية ، فانها تكون على درجـــة من الوعى والسلوك مما تستطيع به أن تؤكد حريتها ، وتصبح مؤهله لممارسة تلك الحرية ، ويمكنها من المطالبة بحقوقها والحصول عليهـــا ، وقادرة على اقناع المجتمع بضرورتها وأهميتها ٠

٤ ــ العـــدالة الاجتماعية :

المقصود بالعدالة الاجتماعية هـــو توزيع الثروة القومية والدخـــل القومى بين المواطنين ، أى يتحدد نصيب كل فرد من الثروة القومية ومن

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ١٠٨ ، ١٧٩ ، ٣٣٠ ٠

الدخل القومى تبعا لعمله وملكيته ، دون استغلال الآخرين ، أى تبعـا للخدمة التى يقدمها للمجتمع ، ويجب أن يكون نصيب الفرد من الثروة ومن الدخل كافيا على الأقل لسد احتياجاته الضرورية المادية والمعنوية ، وضمان مستوى معيشة ملائم له ، فاذا لم يسمح دخل الفرد بتحقيق ذلك المستوى من المعيشـة ، وجب على الدولة أن تضمن له هـذا الحق ، وهذا يستلزم اعادة توزيع الثروات والدخـول ، حتى لا يكون هنـاك تفاوت كبير بين الطبقات ، فيوجـد الغنى الفاحش والفقر الفاحش ، ويحقق تذويب الفوارق بين الطبقات ورفع مستوى معيشة الطبقات ذات الدخول المحدودة ، ويسهم بالتالى فى تحقيق العدالة الاجتماعية والسلام الاجتماعى بين المواطنين ، ولقد قال الشـيخ مصطفى بذلك ، ففى وصفه للحالة السيئة التى عليها الطبقة الكادحة من الفلاحين فى المجتمع المصرى ، والظلم الاجتماعى الواقع على هذه الطبقة ، نتيجة لسوء توزيع الثروة والعمل، يقول واصفا ذلك « .. هذا وما يكون لامرىء شهد ما شهدته من نصيب الفلاح فى الصيف على قلة الوسائل لتوقى الحر وعلى سـوء الغذاء وأسبابا الراحة فى المسكن ، إلا أن يشعر بالظلم البالغ فى توزيع الثروة بين قومنا وفى توزيع العمل ، الفلاح المصرى أكثر الناس عنـاء فى السعى الى تحصيل العيش وأقلهم متاعا وأضيقهم » (١) وتلك دعوة صريحة الى رفع الظلم الاجتماعى واقامة العـدالة الاجتماعية بين كافة طبقات المجتمع .

٥ ـ مشـكلة البطـالة :

من المشكلات التى يعانى منها المجتمع البطالة ، ولها آثارها النفسية على الفرد ، وآثارها الاجتماعية على المجتمع ، فالفرد المتعطل تسـوء حالته النفسية ، وقد تدفعه هذه الحالة النفسية السيئة الى التخلص من الحياة ، كذلك فان البطالة تقف وراء حوادث الجرائم التى تحـدث فى المجتمع من سرقه وقتل وغير ذلك ، ولقد نبه الشيخ مصطفى الى خطورة

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ١٧٩ .

البطالة ، ونبه الحكومة الى ضرورة تدارك خطرها ، فان العاطل اليائس كما يقول الشيخ مصطفى « قد يدفعه يأسه الى ما هو أشد نكاية بالجماعة وأشد أثرا من الانتحـار ، واذا كان تعقب الدعاة الى الشـيوعية هم الحكومة الآن ، فان ترك مجـال فى نظام حياتنا ليأس المرء من وجـود عمل يقوته ، شر من دعاة الشيوعية وأسوأ عقبى » (١) •

وكذلك تحدث الشـيخ مصطفى عن أنواع البطالة ، فذكر منهـا البطالة المقنعة ، وهى وجـود موظفين دون قيامهم بعمل ، البطالة المقنعه يعانى منهـا المجتمع وتشكل خطـورة كبيرة عليـه ، فوجـود موظفين وحصولهم على أجور دون قيامهم بعمل ، انما يتسبب عنـه آثار ضـارة بالاقتصاد القومى ، نتيجة لعدم وجـود انتاج لهـؤلاء الذين لا يعملون ويحصلون على أجور — ولقد نبه الى هـذه الظاهرة المتفشية فى بعض الطبقات الوظيفية ، مبينا آثارها محذرا منها ، وطالب بضرورة أن يؤدى كل موظف عمله ، وألا تنشأ وظائف بلا أعمال ، وذلك حتى يؤدى الموظف دوره وتؤدى الوظيفة دورها فى خدمة المجتمع •

٦ — مشـكلة الانتحـار :

الانتحار من الأمراض الاجتمـاعية التى تشيع فى المجتمع — وفى أحد المقالات التى كتبها الشيخ مصطفى فى جريدة السـفور وفى عددها الأول ، تناول دراسة ظاهرة الانتحار بطريقة تاريخية ، بين فيها أصـل الظاهرة وتتبع نموها فى المجتمع ، وظهور تلك الظاهرة فى المجتمع المصرى قديما بحالات نادرة وشاذة ، ثم شيوعها فى المجتمع فى هذه الأيام وكثرة حوادثها ، فقال « تزداد عندنا حوادث الانتحار وتنتشر فى جوانب القطر وبين مختلف الطبقـات — وان المطـلع على صحفنا ، المتتبع لأحـاديث مجالسـنا ليحس بارتياع الناس من شـيوع ذلك العارض الاجتمـاعى

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٤٦٧ •

أشد من ارتياعهــم لتلك الحميــات الوبائية الذاهبة فى طــول البــلاد وعرضها » (١) .

ثم يتناول أسباب الانتحار وتطور تلك الأسباب عبر التاريخ فيقول « ولقد يلاحظ الباحث فى تاريخ الانتحــار عندنا أن الأسباب التى تحمل الناس عليه جعلت تتهذب وتأخذ معانى أدخل فى باب العواطف العالية ، كان المريض يقتل نفسه فرارا من ألم المرض ، والفقير ينتحر جزعا من الفقر ، وكان الطفل الصغير يقضي على حياته الغضة خوف عتاب والديه حين يخطئه الحظ فى الامتحان ، فأصبحنا نسمع بأن فتاة فى بولاق كمــا ذكرت صحفنا اليــومية من بضعة أيام قذفت بنفســها من نافذة فى ليلة عرسها لأن أهلهــا أرادوا أن يكرهوها على الزواج بمن لا تحب ــ وأن شابه وشابا تحابا وودا لو يكونان رفيقى حياة فأبى عليهما ذو قرابتهما تحقيق أمنيتهما ، هنالك تداعى العاشقان الى موعد وماتا متعانقين » (٢) .

ولكن ما هو علاج تلك الظاهرة ، هل هــو الحرص على الحيــاة ، ويجيب الشيخ مصطفى بأنه ليس فى حرصنا على الحياة فى ذاتها قضاء على ظاهرة الانتحار الذى هــو استهانه بالحياة وتبرم وضيق بهــا ، ولكنه يرى أن يكون للحياة قيمة ومعنى وهدف نحرص على تحقيقه ، وأما اذا خلت الحياة من الهدف والأمل فانها تفقد معناها ، وأولئك الذين لا يستسيغون طعــم الحياة ، فالأجــدر بهــم أن يذوقوا كأس منيتهم ولا يستحقون الحياة ، ذلك لأن من له هدف فى الحياة يعمل على تحقيقه ، فانه يضفى على حياته قيمة ، ويحرص على تحقيق ذلك الهدف ، فالحياة لمن يستحق أن يحياها « ولسنا نفزع أن يتجرع كأس منيته من لا يسيغ طعم الحياة ، ولكننا نتألم أشد الألم أن يحيا بيننا رجــال كان من حسن الذوق أن يموتوا » (٣) .

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ١٤٩ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ١٥٠ .
(٣) مصطفى عبد الرازق آثار ١٥٠ .

فالقضاء على الانتحار يكون بغرس حب الحياة فى نفوس الأفراد ، وأساس ذلك الحب هو الأمل والعمل ، أى أن يكون لنا هدف وأمل نحب من أجله الحياة ، لأجل تحقيق ذلك الهدف والأمل المنشود ، واذا كان الانتحار شرا ، فكذلك الحرص على حياة خالية من الأمل والعمل فانها تورث الجبن والخوف وهما شر الرذائل ، علاوة على فقده حرارة الحياة وقوتها وحيويتها . وعدم ادراكه لمعناها وقيمتها ، وليس هذا الرأى بغريب أن يصدر عن الشيخ مصطفى الذى يرى أن قيمة الانسان تكمن فى عمله وأن الحياة انما هى ثمرة النشاط الانسانى .

٧ ــ الانسان وقوة تأثيره على البيئة ودعوته للعمل :

للبيئة آثارها فى نشاط الانسان ، ولقد قال ابن خلدون فى مقدمته بتأثير البيئة فى ألوان البشر والكثير من أحوالهم وأخلاقهم وأبدانهم وأمزجتهم (١) .

والواقع أن للانسان امكانياته ، وهو ليس مجرد عنصر منفعل تجاه مؤثرات البيئة والة صماء لحركاتها ، فهو يؤثر بدوره أيضا فى البيئة ، فالبيئة لا تخلق فنونا أو نظما جديدة ، ولكنها قد تساهم بنصيب هام عن طريق تشجيع بعض التجارب وعرقلة البعض الآخر ، وعلى التركيب الاجتماعى أن يتكيف تبعا للبيئة ، أو يكيف البيئة تبعا له ــ والطريقة الأخيرة تزداد ظهورا كلما ازدادت سيطرة الانسان على الطبيعة » (٢) .

والشيخ مصطفى يؤكد قدرة الانسان على الطبيعة وسيطرته عليها فيقول « ان كان للجو أثر فى قوة الانسان ونشاطه فقد يستطيع الانسان أن يغالب عدوان الطبيعة فيطفىء جمرتها ويصير نارها بردا عليه

---

(١) ابن خلدون المقدمة ٧٦ ــ ٨٤ .

(٢) موريس جنز برج مقدمه علم الاجتماع ترجمه د . فؤاد زكريا ١٠٧ ــ ١٠٨ .

وسلاما ، وكم شقت المدنيات فى الصحارى انهارا وأنبتت فيهـا جنـات وجعلت شمها ظلا ظليلا » (١) .

فواجب الانسان أن يسعى فى الأرض ويعمرها ، ويوجد الحيـاة عليهـا ، وأن يؤمن بقـدرته وقوة تأثـيره ، وأن يتخطى عوائق البيئة ويسخرها لمنفعته ومصلحته ، وأن تشيع فيه روح الأمـل ، وأن تقـوى عزيمته بالعمل ، والشـيخ مصطفى يقدس العمـل ويدعو اليه ويعتبره أساس رقى المجتمع وسبيل اصلاحه ، ويريد أن يزيح عن أفكارنا كل الأوهام التى تقعدنا عن العمل ، وأن يحفزنا الى النشـاط ويبعد عنـا الخمول والكسل الذى هو علة تأخر المجتمع فيقول « شر أدوائنا الخمول ، وهو علة ضعفنا فى كل وجه من وجـوه الرقى ، وذلك بأن المدنية ثمرة النشاط الانسانى ، وكلما كبر ما ينفعه الناس من مجهودهم فى سـبيل الحياة كان حياتهم عظيمة ومدنيتهم راقية » (٢) .

ولا يعوق الانسان عن العمل ذلك الوهم الكاذب بخضوع الانسان للطبيعة ، فيدحض آراء الذين يؤمنون بتأثـير الطبيعة والمنـاخ على الانسان ، وكأنهم يوجدون سببا لذلك الخمول الذى يسرى بين أفـراد المجتمع ، وكأنهم يطالبون الانسـان بالاستسلام والخضـوع لتأثـير الطبيعة ، وذلك لأن التاريخ والواقع يكذبهم ويشهد عليهم « فقد عـرف التاريخ مدنيات جليله للبلاد والحارة قبل أن يعرف مدنية فى غيرها من البـلاد » (٣) .

فعلينا أن نقبل على العمل وأن تقـوى نفوسنا بالأمـل ، ونشحذ عزيمتنا بالهمة والنشاط وأن نؤمن بقدرتنا وأن نؤمن بأن الخمـول مرض عارض نستطيع التغلب عليه بقوة الأمل والعمل ، ويقول الشيخ مصطفى

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٧٤ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٧٤ .
(٣) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٧٤ .

« عارض قرض ذلك الخمــول الذى يعلق بأجسامنا من أثر الاخـــلال بحسن التعهد لما يصلح البنية ويحفظ عليها صحتها وينمى لها قوتها ، ويعلق بأرواحنـــا من أثر الاهمال لما تحيا به الأرواح وهو الأمل » (١) ، وتلك دعوة صريحة قوية تصدر عن ايمان عميق بأهمية العمل ودوره فى اقامة حياة سعيدة قوية للمجتمع .

٨ ـ محـــاربة الرشـــوة :

الرشوة مظهر من مظاهر الفساد الذى يسرى فى المجتمع ولها آثارها السيئة ، وهى تقتل الكفاءة ولا تكون أساسا للاختيار الوظيفى . وتعرقل العمـــل ، وتتيح لمنعدمى الكفاءة شغل هذه الوظائف التى لا يحسنون القيام بها ، وبذلك تتعطل مصالح الجماهير ، ومن لم يقـدم رشـــوة لا يستطيع أن ينجز عمله ، وبذا تصبح الرشوة صورة للظلم الاجتمـــاعى الذى يقع على الأفراد ، ولابد من التخلص منها حتى تستقيم الحيـــاة الاجتماعية ويعم العدل .

ولقد عرض الشيخ مصطفى لمظاهر الرشـــوة التى لا يخلو منهـــا المجتمع حتى مع أفقر الناس وفى أشد الظروف قســـوة ، وعرض للآثار السيئة للرشوة ، والتى تتسبب فى انحلال وتفكك البناء الاجتماعى ، لذا وجب محاربتها فى كل أشكالها وصـــورها المختلفة حتى يستقيم البنـــاء الاجتماعى ، ويخلو من عوامل الضعف (٢) .

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٧٥ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ١١٦ .

الفصل الخامس

الجانب السياسى

يمثل هذا الجانب فى الانسان من حيث أنه فرد فى أمة ، وتقوم العلاقات بينه كفرد وبين الآخرين أمثاله الذين يكونون الأمة ، لذا كانت الفلسفة العملية مشتملة على هذا الجانب وتبحث على التوالى فى الانسان من حيث هو فرد ، والانسان من حيث هو عضو فى أسرة ، ثم من حيث هو فرد فى أمة ، ومن هنا كان اهتمام الفلاسفة والمفكرين منذ أقدم العصور بالمشاركة العملية والنظرية فى الجانب السياسى فى الانسان ، فشارك سقراط فى الحياة السياسية فى أثينا ، وقدم أفلاطون جمهوريته الفاضلة ، موضحا فيها وفى محاوراته العديدة مثل « القوانين » أركان الدولة المثلى وصفات الحكام ، وربط أرسطو بين الأخلاق والسياسة ، وألف الفارابى كتابه « آراء أهل المدينة الفاضلة » وفى العصر الحديث قامت أبحاث ونظريات عديدة ، تبحث فى شكل الدولة ونظم الحكم وبيان أصل الولة ووظيفتها وسلطاتها ، وخصائص الديمقراطية وأنواع الدساتير ومميزاتها والأنظمة البرلمانية والشعبية وغير ذلك .

والشيخ مصطفى كانت له مشاركة عمليه ونظرية تمثل هذا الجانب السياسى ، فلقد كان عضوا فى الحزب الديمقراطى ، كما تولى الوزارة ، ولكننا سنذكر الجانب النظرى لأفكاره السياسية .

أولا وحدة الجنس البشرى :

أهم دعائم فكر الشيخ مصطفى السياسى يقوم على ايمانه بوحدة الجنس البشرى والمساواة بين الناس جميعا ، فلا تقوم التفرقة بين البشر على أساس من الجنس أو الدين ، وبذا يتحقق مبدأ المساواة ،

اللازم لقيام التعاون المشترك بين الجميع ، ويقــل التنافر والتشاحن فى المجتمع الانسانى ، وتنعدم الحروب والمنازعات بين الدول ، ويســود مبدأ المحبة والاحترام لكل الشعوب .

ولقد عارض الشيخ مصطفى النظرة القائمة على تفوق الأجناس ، ورأى أنهــا نظرة غــير عادلة ، وليس من شــأنها إلا ايجــاد التفرقة والانشقاق والمنازعات بين الناس ، وعرض لخطــورة تلك النظرة التى لازالت تمارسها بعض الدول المتمدنيه ، وبين أنها لا تستند على أساس من العلم أو الحــق ، ولا تقوم على سند من الواقع أو المنطق ، وعارض بقوة كل الأفكار عن الجنس واللون والقومية الضيقة لأنها تعوق الشعور الانسانى (١) ، ولها نتائج سيئة ، فالجنس الذى يدعى الأفضلية يعطى لنفسه الحق فى استعباد الأجناس الأخرى ، ولا تخلو هــذه النظرة من الازدراء والاحتقار للأجناس الباقية ، وهــذا ما يجلب على الانســانية ويلات الحرب والدمار .

ورأى الشيخ مصطفى ضرورة نبذ كل هذه النظريات التى تقــوم على تمايز الأجناس ، لأنها نظريات غير صحيحة ، ولها نتائجها الضــارة بالمجتمع الانسانى ، وآمن بوحدة الجنس البشرى ، وأن هذه الوحــدة تقوم على المســاواة بين الناس جميعا ، وأن يكون التمايز بينهم ، قائم على الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة ، ويرى أن الدين الاسلامى يؤكد ذلك فيقول « ان الله لا ينظر الى شعوبكم وأصولكم ، انما ينظر الى أخلاقكم الفاضلة وأعمالكم الصالحة فهى التى تقربكم الى اللــه زلفى ، واذا كان فى الناس من يزال الى اليوم يقضى بينهم على أســاس من اللون والدم ، فان دين الاســلام لا وزن عنده للون والدم ، انما هى الأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة والتعارف والتآلف بين الأمم » (٢) .

---

(١) مصطفى عبد الرازق تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ٢٧ — ٢٨ .
(٢) مصطفى عبد الرازق الدرس الأول وخطبتا الجمعــة ٤ — أيضــا سيد امير على روح الاسلام حـ ٢ ١٥٣ — ١٧٤ — أيضا العقاد الانسان فى القرآن الكريم ١٠٠ .

ورأى الشيخ مصطفى بوحدة الجنس البشرى ، متفق مع ما آمن به المصريون القدماء ، بأن الكل واحد وأن الناس خلقوا متساويين (١) وأيضا متفق مع كل دعوة تنادى بوحدة الجنس البشرى ، فلقد نادى الكلبيون والرواقيون بفكرة المواطن العالمى ، وأن الحكيم الرواقى لا وطن له ، وأحل الرواقيون « الانسان » محل « المواطن » أعنى انهم مالوا الى اعتبار الانسانية أسرة واحدة ، أعضاؤها أفراد البشر عامة أيا كانت نحلهم وألسنتهم وبلادهم (٢) ، وكذلك أكدت الأديان هذه الدعوة الى المساواة بين البشر ، فلقد كان القديس بولس يردد « ليس فى المسيح أغريقى أو يهودى ، مختن أو غير مختن ، بربرى أو سكيثى ، عبد أو حر » (٣) ، وتجلت هذه الدعوة صريحة واضحة فى الاسلام ، ففى القرآن يقول الله تعالى « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير » والأحاديث النبوية أكدت هذا المعنى وأنه لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى .

ثانيا العلاقات بين الدول :

الكل واحد ويرجع البشر جميعهم الى أصل واحد ، لكنهم فى نفس الوقت منتشرون فى ربوع الأرض ومنقسمون الى دول وشعوب مختلفة ، وتقوم بينهم كدول علاقات ، فما هى الأسس التى تقوم عليها علاقات الدول الخارجية ؟ رأى الشيخ مصطفى أنه لابد أن تقوم العلاقات بين الدول على أساس الايمان بوحدة الجنس البشرى ، ويلزم عن ذلك الايمان أن يكون أساس علاقات الناس هو الألفة والمحبة والتعارف والتعاون المشترك ، ولقد أشار الشيخ مصطفى فى تفسيره للآية الكريمة

---

(١) جون ولسن الحضارة المصرية الترجمة العربية ٢٠٤ — ٢٠٥ .

(٢) د . عثمان امين الفلسفة الرواقية ١١٤ ، د . توفيق الطويل نشأة الفلسفة الخلقية ٧٩ .

(٣) ارنست باركر النظرية السياسية عند اليونان ١٥٨ .

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ••• الخ الى ما تضمنته هذه الآية من معانى سامية فيقول « بهذه الآية الكريمة حقق الله جل جلاله أسمى معانى المساواة بين الناس ، وقرر ما ينبغى أن يقوم عليه نظـام أمرهم من الألفة والتعارف ، وجعـل التقوى والعمـل الصالح معيـار التفاضل بين البشر ، يقول تعالى ذكره فى هذه الآية « يا أيها الناس ان خالقكم واحد ، وأن منشئكم واحد من أبوين ، وقـد قسمكم البـارى شعوبا وفرقكم قبائل ، لا لتفاوت يجعل لبعضكم على بعض فضـلا ، ولا لتتخذوا من هذا التفرق مثارا للعداوة والشحناء •• ولقد أقام الله أسباب النظام فى أمور الناس على المحبة ، والعدالة ، فلو تحاب الناس وتعاملوا بالمحبة لاستغنوا عن العدالة » (١) •

فالعلاقة الخارجية يجب أن تقوم على المحبـة والألفة والتعـاون المشترك والعدالة والمساواة والاحترام المتبادل ، وهذا يعنى ألا تـكون الحرب أداة للعلاقات بين الأمم ، ولقد كان الشيخ مصطفى داعيـا الى السـلام وكارها للحرب وآملا أن تخف ويلاتها عن البشرية ، ويقـول « ومع أنه يسرنى بالضرورة أن يزيد الله الحلفاء انتصارا ، فاننى لست من غواة الحرب وأخبـارها ، لذلك سئمت مسـيرتها وكرهت تفصيلها وجملتها ، وكل ما أتمناه على القدر هو أن يقصر مدتها ويخفف عن البشر بليتهـا » (٢) ، فهو يدرك تلك الآثار السيئة التى تنجم عن الحـروب ، وما تعانيه البشرية من آلام نتيجة لذلك ، ثم هو ينكر أن تـكون الحرب أساسا للعلاقات الدلية ، وأذا تخلصت الأمم من نزعة السيطرة والتغلب فانها تترك الحرب ، وتقى البشرية من شرورها ، أما اذا سـاءت تلك النزعات التى تدعو الى الغلبة والسيطرة فانها تصبح أشـبه بمدينـة التغلب التى وصفها الفارابى فى قوله فى مضادات المدينة الفاضلة ، التى يكون هم أهلها وقصدهم أن يكونوا القاهرين لغيرهم (٣) ، وهـذا يدفع

---

(١) مصطفى عبد الرازق الدرس الأول وخطبتا الجمعة ٣ ، ٤ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ١٨٦ .
(٣) الفارابى آراء أهل المدينة الفاضلة ٩١ .

الأمم الى الحرب العدوانية الغير مشروعة ، وهـو ما يرفضه الشـيخ مصطفى ويتمنى أن تنعدم الحروب كلية •

لكن هناك الحرب المشروعة وهى الحرب التى يضطر اليها المرء الى اقرار حقه بالقوة ، وهى وسيلة لجأ اليها الانسان كما يقول « كانت » فى مرحلة الفطرة حيث لا يوجد قانون (١) ، وتلجـأ كذلك الدول لاقرار حقها والدفاع ضد غزوات السيطرة والاحتلال وطلب الاستقلال وتأكيدا لعزها القومى ، وقـد تقوم الخلافات بين الدول وتفشل كل المحاولات السلمية لحل هذه الخلافات ، فلا مناص من وقوع الحرب ، وكل هـذه الحالات تكون دافعا للحرب الذى يقصـد اقرار الحق وتأكيده والدفاع عنـه ، وهى حروب جهاد وعدل فيما عبر عنها ابن خلدون فى مقـدمته وتصنيفه للحروب (٢) •

لقد أدرك الشـيخ مصطفى قيمة الحـروب المشروعة وما تؤديـه الحروب رغم شرورها من دور فى بناء عزة الأمم ورقيها ، فيقـول معلقا على الخلاف الذى نشأ بخصوص قضية الحرب والحضـارة « أنا أكره الحروب كما يكرهها صديقى هيكل أو أشد ، وأتمنى لأبناء حـواء أن يعيشبوا فى سـلام انجيلى لا يعكر صفوه خصـام ، ولكنى أراها علالة للنفوس الرحيمة تلك الأمانى السليمة مادام الناس مختلفين ، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ويظهر أن الأمم لا تسير الى الرقى إلا على جثث وهام ولئن كان عزيزا علينا أن تزهق الأرواح الغالية فان الجمعيات الناهضة لابد أن تشق سبيل المعالى » ويقول أيضا فى مقال له بعنوان « بين عام يمضى وعـام جديد » لم يكن عام سـلام وأمن عام ١٩١٥ ؛ فقد نشأ بين الدماء والأشلاء ، وهذه لحظـاته الأخيرة تنقضى مضرجة دمعا ودما ، وما أحس من أجل ذلك غير حقيق بالذكرى

---

(١) كانت مشروع السلام الدائم ترجمة د • عثمان أمين ٣٣ •
(٢) أمين خلدون المقدمة ١٤١ •

فانه مملوء بوقائع مشهورة ، اشترت فيها أمم عزها القومى بأثمن ما تملك من روح ومال » (١) .

وليس فى هذا الموقف ما يناقض السلام ويدعو الحرب ، بل هو داعية للسلام ، لكنه يدرك الفرق بين السلام والاستسلام ، فان على الدول المغلوبة أن تنهض لأخذ حقها ولو كان بأقسى الأساليب وهى الحرب ، فهى حرب من أجل اقامة سلام عادل ، وهى بعيدة عن كل نزعات القوة الغاشمة والسيطرة والتى نادى بها نيتشه حين رأى ، أن فى الحرب علاجا ناجعا فى الشعوب التى دب فى بيئتها الضعف والترف والانحطاط ، لأنها تثير الغرائز التى تفسد أثناء السلام ، فالحرب هى الدواء لما نشأ عن الديمقراطية من تخنث ، فاذا رغب مجتمع عن الحرب والظفر ، فاعلم أنه فى سبيل التدهور وأنه قد تهيأ للديمقراطية وسيطرة أصحاب الدكاكين (٢) وهذا الرأى خاطىء لأنه يمكن استثارة همة الشعوب بوسائل غير الحرب ، فتدب فيها روح النشاط والعمل ، لا أن تتفتت جهودها وتقطع أوصالها بالحرب ، فالحرب فى نظر نيتشه وسيلة لايقاظ الشعوب ، بينما فى نظر الشيخ مصطفى ضرورة تلجأ اليها الشعوب مضطرة ، حيث لا تجد حلا دونها لتأكيد سيادتها وعزها القومى ، فهى حرب دفاعية مشروعة ، مدفوعة بدوافع شريفة وكريمة ، لكنه لايمجد الحرب فى ذاتها ، ولقد أدرك معنى الكلمة التى قالها أحد اليونانيين القدماء « الحرب شر ، لأنها تزيد عدد الأشرار أكثر مما تستأصل منهم » (٣) لذا نراه لا يفتأ يظهر كراهيته للحرب ويقول « أنا من أولئك الذين يكرهون الحروب ويريدون للبشر رقيا منتظما فى ظل السلام والحرية وآلم شىء لقلبى أن يفترس الانسان الانسان كما تصنع الوحوش فى البيداء غير أنى أنظر اليوم الى العاطفة الحربية

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٢٠٥ ، ٢٠٦ .
(٢) د . زكى نجيب ، د . احمد أمين قصة الفلسفة الحديثة ٣٦٢ .
(٣) كانت مشروع السلام الدائم ترجمه د . عثمان امين ٧٥ .

فى جهتها الشعرية فأحس بجمالها » (١) .

لقد دعى الشيخ مصطفى الى اقامة مجتمع المحبة والألفة والتعاون والتسامح ، حتى يستقيم أمر حياتهم ، ولو تحقق ذلك لاستغنوا عن العدالة ، اذ تختفى خلافاتهم وتكون الرابطة الروحية أوثق من تلك الرابطة القانونية ، ففى مجتمع المحبة تصبح العدالة ثانوية ويتحقق الفردوس على الأرض ، وهى مرحلة فى حياة الدول تقرب من الأمل المنشود أكثر من الواقع المحقق — وعلى كل فهى دعوة الى خير الناس وأن يسود الحب والسلام علاقاتهم كأفراد وكدول ، وهى دعوة لا تخلو من نفحات أفلاطونية ، فقديما رأى أفلاطون الاستغناء عن جهاز المحاكم والتقاضى لانها فى تصوره دليل على مرض النفس ، كما أنه ليس فى حاجة الى الطب لأنه دليل على مرض الجسم ، ويرى الفرد فى دولته المثالية صحيحا معا فى الجسم والنفس (٢) .

ثالثا : نموذج لوحدة الأمم :

لقد أعطى الشيخ مصطفى نموذجا حيا لوحدة الأمم ، وما يجب أن تقوم عليه هذه الوحدة ، ولقد رأى تلك الصورة متمثلة فى أمم الشرق ، حيث تتوافر فيها عناصر الوحدة ، ففيها وحدة التاريخ والهدف والدين والروابط الروحية ، وما يجعلها أمة واحدة تتعاون وتأتلف فيقول « فى هذا الجانب الذى نسكنه من الأرض أمم متجاورة ، من ورائها ذكريات تاريخية متصلة ، ومن أمامها مسطح فى المدنية مشترك وتقوم نظم حياتها وتفكيرها على أسس متشابهة ، ولها فى السماء اله واحد تكاد تستوى فى عبادته على اختلاف أديانها — هذا هو الشرق الذى ننتسب اليه هذه الرابطة لا حاجة فى تحديدها الى الجبال والأنهار — كان الشرق فى جمود ، فلم يكن ممكنا أن تتحرك أطراف نزعات التعارف فيما بينها والتعاون ، لان الجمود ضرب من السبات ، والتعاطف نوع من

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ١٢٠ .

(٢) ارنست باركر النظرية السياسية عند اليونان ص ٣٥٢ .

الحياة ، بل هو أرقى درجاتها — وقد ظهرت فى الشرق نهضات منشـــودة لم تزل تعالج العوامل المحلية المعوقة ، وتكافح المصادمات الخارجيـــة حتى اشتد ساعدها رويدا وأخذت تبدو لها آثار تقوى الأمل » (١) .

واذا كانت توجد مثل هذه الأسباب القوية للوحـــدة ، فلابد من قيامها ، ويوضح لنا الشيخ مصطفى أن أساس تلك الوحدة لا يقوم على الغاء شخصية الشـــعوب وأنما يقـــوم بالتواصـــل الفكرى والاجتماعى والتعاون فى شتى المجالات العلمية والثقافية والاقتصادية ، وبهذا توضع الأسس السليمة للوحدة ويضمن لها البقاء بعيدا عن دعاوى الارتجـــال والشعارات الجوفاء أو نزعات السيطرة ، فيقول مبينا ضرورة الحفـــاظ على شخصية كل شعب فى داخل نطاق الوحـــدة الشاملة فيقول « ليس من غرضنا المساس بما للأمم من عبقريات خاصة يقوم على تباينها التقدم العام للأقطار الانسانية بل الأمر على على عكس ذلك ، انما نريد أن نمهد لكل عبقرية سبيلها الى الكمال حياة وقوة بما تستقى من معارف الناس جميعا ومناهج بحثهم ومكتشفاتهم — اذا كانت عصبية الأمم قد أحست بحاجة الضرب على ما بين أهله من تواصل فكرى — الى تحسين هـــذه المواصلات وتكميلها ، أفلا يكون الشرق أحوج الى التساند فى معارفه وفى نهوضه الفكرى والاجتماعى ، من غير اجحاف بما لكل شعب من صفات وشؤون خاصة » (٢) وتلك المبادىء هى التى تدعو اليها الرابطة الشرقية وهى وحدة فكرية ومادية قائمة على أساس التعاون المشترك وعلى اثراء الحضارة العالمية ، ونفع البشرية كلها ، ولابد فى ذلك من تعاونهـــا مع ثقافة الغرب وحضارته لأنها ضد دعاوى القومية الضيقة وانها انســـانية تبغى سعادة البشر ، ويقول معبرا عن ذلك الترابط « ان الشرق والغرب هما شطرا الانسانية ، فمن سعى بينهما بالفرقة كان عاقا ، جانيا على الانسانية ، وكان ممن يســـعون فى الأرض فسادا ، وانما نحن مصلحون

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٤٩٤ ، ٤٩٥ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٤٩٦ .

نمهد للمودة والقربى بين شـعوب البشر كلهـا ••• ومتى عرف الشرق نفسه ، وتضامنت كتلته كان ذلك أكبر خطـوة فى سبيل الوحدة الانسانية والعـدل التام » (١) •

ولقد تمثلت هذه الأغراض النبيلة فى « الرابطة الشرقية » التى دعت الى الوحدة الفكرية والتعاون والتآلف بين الأمـم الشرقية ، بعيدا عن مؤامرات وفتن وألاعيب السياسة ، ويوضح الشيخ مصطفى أهداف تلك الرابطة وأدائهـا فى تحقيق ذلك « الرابطـة الشرقية أداة علمية هادئة للتفاهم والتآلف فما يكون لها أن تتصل بالسياسة التى هى أداة عنف ، وفرقة وشـقاء » (٢) •

وهذه الأهداف الى التفاهم والتآلف والتعـاون لها دورها فى حسم الخـلافات السياسية والتخفيف من عنف السياسة وألاعيبها ، فيقـول « على أنه قد يكون لما نعى اليه الجمعية من التفاهم والتآلف فى الشرق أثر فى تخفيف ويلات السياسة ، وقد يكون ما تحـرزه من المكان الأدبى فى نفوس الشعوب الشرقية ، مضيا على حسم الخصومات التى يجرد فيها الشرقى حسامه على أخيه » (٣) •

وهو يدافع عن أهداف تلك الرابطة ، ويرى أنها ليست مجرد أحلام أو أمانى ، وليست من شطحت الخيال ، بل انها ممكنة التحقيق ، وانمـا تحتاج الى توافر الهمة والى تضافر الجهود والكفايات (٤) •

وهذه الوحدة تصلح للبشر عامة ، وتنزع الى الخير وتهـدف الى السلام والتفاهم والتعاون بين الشعوب وهى تتمايز عن أنواع الاتحادات المعروفة ، وهى نبذ الخلافات السياسية وتدعو الى احترام الشـعوب وشخصياتها القومية ، وتؤمن بأن التراث الانسانى تصنعه كافة الشعوب

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٤٩٧ •
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٤٩٨ •
(٣) مصطفى عبد الرازق آثار ٤٩٩ •
(٤) مصطفى عبد الرازق آثار ٥٠٠ •

على اختلافها وتمايزها ، وتهيب بالضمير العالمى أن يعمل لخير البشر ، ولابد للسياسة من أن تخضع لمبادىء الأخلاق ، وأن تبعد عن أسـاليب المكر والخداع والفتن ، ولقد رأى الشيخ مصطفى أن هذه المبادىء لابد أن تكون سائدة سواء فى محيط الأمة الواحـدة ، أو فى محيط العلاقات الخارجية بين الأمم ، وبذا تعم هذه المبادىء السامية المجتمع الانسانى بأسره •

رابعا ـ الأمة وعناصر وحدتها :

١ ـ وحدة الهـدف :

من المعروف أن الأمة تتكون من مجمـوعة أفراد تجمعهم رابطـة عضوية ومكانية وغير ذلك من الروابط ، والشيخ مصطفى يؤكد على تلك الروابط التى تجمع أبناء الأمة ، ويزيد على تلك الروابط ، الرابطة الروحية التى هى من أوثق الروابط ، والمتمثلة فى وحـدة الألم والأمل ، فهى وحدة قلوب ووحدة أهداف ووحدة مصير ، ويقول مؤكدا ذلك بأن الذى نشعر به من ألم متحد وما نطمع اليه من أمل مشترك يسمو على كل اعتبار فى الحياة ، وهل شىء فى الحياة أجدر أن يصـل بين القلوب من شركة الآلام والأمـال » (١) •

٢ ـ وحـدة الصـف :

على أن وحدة الألم والأمل تتطلب وحدة الصف ، لذا كان الشـيخ مصطفى حريصـا على أن تتحـد طوائف الأمة بدون فرقه أو انقسـام تحت أى شعار أو أية ذريعة لذلك ـ ولقد سبق القـول ـ نبذه لـكل أفكار التعصب بكافة صوره ، والتى تجعل أفراد الأمة الواحـدة شيعا وفرقا ، ويسود حياتها الفرقة والانقسام ، وحذر من النتائج السيئة التى تنجم عن الخـلافات الدينية والتعصب الأعمى ، وما يحـدثه ذلك من

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٤٤٧ .

فرقه وانقسام ، وهذا أكبر ضرر يحيق بالأمــة ويفقــد وحدتها ويبعثر جهودها وينأى بها عن الرقى (١) .

٢ ــ وحدة الشــعور القومى :

لنهوض الأمة لابد من وحدة الهــدف والصف ، ولابد أن يحــرك أفرادها نحو النهوض والتقدم عقائد حماسية ، وهذه العقائد الحماسية ، ان لم تكن ذات أســاس منطقى وعلمى إلا أن لها دورها فى حفز أفراد الأمة نحو التقدم ، ويقول موضحا طبيعة تلك العقائد الحماسية وأثرها فى حياة الأمة « بل لو شئت لقلت انــه لابد للأمم فى نهضتها من عقــائد حماسية تحرك عاطفة الكبر واريحية الطموح الى الأمد الأبعــد وتخرج شعور المجاميع بين آن وآن عن جد الرزانه العلمية الفاترة ، كذلك كان يعتقد العرب ان أمتهم خير أمة أخرجت للناس ، ويشهد الانجليزى أن الأرض لم تقل حيوانا ناطقا أشرف من قومه السكسونيين ــ تلك معتقدات لا يؤيدها البرهان ، ولكنها مع ذلك مكنت لبنى يعــرب بن قحطــان فى فى الأرض ، وهى اليوم تجعل لسكان الجزائر البريطانية الغلبة والبطش فى جوانب المعمورة » (٢) .

وما أحوج الأمم الضعيفة والمتخلفة الى مثل هذه العقائد التى تملك نفوس أفرادها ، فتدفعها الى التقدم والرقى ، ولا شــك أن الشــعور بالحاجة الى الرقى هو السبيل اليه ، فاذا أحس أفراد الأمة بتأخــرهم وتخلفهم عن باقى الأمم ، فان ذلك الاحساس سيدفعهم الى طلب أسباب الرقى والعمل الدائب المتواصل ، ويقــول الشــيخ مصطفى مؤكدا تلك الحقيقة « أحس أشد الاحساس بانحطاط أمتى وأجــد أكبر الآلام لهذا الاحساس ، ويــكاد كل شىء يحــرك فى نفسى هذا الشــعور المؤلم ، أنا أستبطىء ســيرنا فى سبيل التقــدم شغفا برؤية مصر حرة راقيــة

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ١٨٤ ــ ١٨٥ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ١٣٤ .

تلعب دورها فى العالم ، وكم أتمنى أن ألقى فى قلب كل مصرى شعلة من هذا القلق الذى عندى ، لأن شعورنا جميعا بالحاجة الى الرقى هو الذى يسرع خطواتنا اليه » (١) .

وهذا الاحساس يتولد عن النظرة الى حاضرنا وماضينا والمقارنة بينهما ، فنرى ما نحن عليه الآن من تأخر وضعف ، وما كان عليه الآباء والأجداد فى الماضى من حضارة وتقدم ، ويكون ذلك الشعور بالعزة القومية ، وبمجد ماضينا ، بمثابة الدافع الذى يحرك الأمة نحو النهوض والتقدم ، وأن يكون الماضى درسا للحاضر ، يدفع الأمة الى صياغة حاضرها على غرار مجد الماضى ، ويوجه الشيخ مصطفى نداءه الى أبناء الأمة مذكرا اياهم بمجد أجدادهم فيقول ، وشعبنا لا يزال فى عروقه دم آبائنا الأولين الذين شيدوا بعزائمهم الكبيرة مدنيات خالدة المجد والأثر » (٢) ، وهذه النداءات تذكرنا بنداءات الفيلسوف الألمانى « فشته » للأمة الألمانية حين تعرضت للضعف والهزيمة والانكسار ، وكان لها أثرها الكبير فى الأمة الألمانية وبدلت ضعفها قوة وهزيمتها انتصارا وذلتها عزة (٣) .

لقد أدرك الشيخ مصطفى أهمية الشعور القومى لدى أفراد الأمة ، ولقد كان شديد الاعتداد بذلك الشعور لاهميته البالغة فى حياة الأمم ، فان شعور الأفراد بانتمائهم لوطن واحد يجعلهم أكثر غيرة للنهوض به والدفاع عنه ، ويجعلهم أشد تماسكا وترابطا ، ويتناسون الخلافات والانقسامات ، اذ أن هذا الشعور هو السبيل لتكاتف جهودهم وتوحيد أغراضهم ، لذا نراه حريصا على تواجد ذلك الشعور القومى لأهميته وفاعليته وقوته فيقول « واننا لنشفق على هذه الأمة أن يضعف شعورها الدينى والوطنى معا » (٤) .

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٢٩ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٧٤ .
(٣) د . عثمان امين رواد المثالية فى الفلسفة الغربية ٣١٦ .
(٤) مصطفى عبد الرازق آثار ٤٧٣ .

فالشعور القومى ينمى فى الأفراد الشعور بالانتماء للوطن ، ويعرس الوطنية فى قلوب أفراد الوطن ، ويزيد من حبهم له وتمسكهم به بالرغم من كل المصاعب ويحفزهم للدفاع عنه ، ونراه وهو يصف ذلك الشعور الوطنى الفياض الذى يغمر قلبه ، ويطغى حبه على كل ما عداه ، فيصف ما آلت اليه الحال فى مصر من سوء ، ومع ذلك فهو لا يرضى بوطنه بديلا : ولا يؤثر ذلك فى حبه لوطنه وتمسكه به ، ويقول واصفا ذلك « أما انى لأعلم أن الحياة فى مصر فجة مرة من جميع نواحيها ، فلا هى ترضى مطمع الرجل ذى الجد ولا هى تغذ عقل العاقل أو قلب الشاعر أو ذوق الفنان أو لهو العزل من مصر على ما ذكرت ، ولكن هل يستطيع امروء رويت أرض مصر من دمائه ، وسكنت فى احشائها رفات آبائه ؛ أن يتمنى غيرها وطنا » (٢) .

ولقد كان الشيخ مصطفى صادقا فى وطنيته ، مقدرا أهمية عاطفة الوطنية ، داعيا الى التمسك بها ، لأنها أشرف الدوافع التى تدفع الفرد الى الجهاد والتضحية فى سبيل لوطن ، ولقد ذكر هذا المعنى فى تعليقه على مظاهر الوطنية فى فرنسا وتأهب الفرنسيين للدفاع عن وطنهم ، ومزكيا تلك الروح الوطنية على كل شىء (٣) ، كذلك تجلت روحه الوطنية فى تعبيره عن حبه للنيل ، لأنه منبع تراثنا الخالد وحاضرنا ومستقبلنا ، ويقول معبرا عن ذلك « نحب النيل لأنه مستودع تاريخنا كله يبلل رفات آبائنا ويغذى نطف أبنائنا ، فيه ماضينا ، وفيه مستقبلنا ، نحب النيل لأننا أوفياء ونحن أبناء النيل ، وكذلك رأيه فى الثورة العرابية وتزكيتها كحركة ناهضة تدعو الى الحرية وتستحق كل تقدير (٤) .

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٤٣٩ — ٤٤٠ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ١٢١ .
(٣) مصطفى عبد الرازق آثار ٢٦١ .
(٤) مصطفى عبد الرازق ، محمد عبده ١٢٩ .

٤ ـ دور التـاريخ :

ان حياة الأمة ليست مقطوعة الصلة بماضيها ، والشعور القـومى يزيد من تمسك المواطنين بوطنهم وحبهم له والعمل على رفعته ، وان ذلك يتطلب معرفة الماضى والالمام به ، والتاريخ هو سبيل معرفة ذلك الماضى ، لذا يؤكد الشـيخ مصطفى أهمية التـاريخ ، ومعرفته معـرفة علميـة صحيحة ؛ وضرورة دراسته على أسـاس منهـج علمى ، بحيث يحقق النفع ، ويظهر عظمة الأجداد .ويقول مبرزا دور التاريخ فى حيـاة الأمة « نافع لأمتنا درس التاريخ ومن أكبر دروس التاريخ نفعـا لنا تاريخ الاسلام ؛ لأنه أشد تذكارات الماضى علاقة بحياتنا الاجتماعية ولأن فيه شطرا من فخـارنا القديم ـ ذلك الفخـار الذى نستند على دعائمه فى نهوضنا المرجو ، ومشكور كل امرىء يهيىء لنا سببا الى معرفة التاريخ معرفة صحيحة قائمة على الأنماط العلمية الحديثة » [١] ٠

ويتضح من هذا أهمية وحدة التاريخ وأنها من العناصر الأساسية لتكوين الأمة ، وشعور الأفراد بأنهم ينتمون الى تاريخ واحـد يجعلهم أشد حرصا وتمسكا بوطنهم وتاريخهم ، ودافعا لهم للعمـل على رقى وطنهم وعلى الأمة أن تعى تاريخها وعيا كاملا ـ ولابد لتحقيق ذلك من قيام دراسة علمية للتاريخ تخضع لمنهج علمى ـ لما تحققه تلك الطريقة من الفائدة ، والوصول الى المعرفة الصحيحة ، وفضلا عن ذلك فانها تحفظ التاريخ من أيدى العابثين المزورين ، فقد يتعرض التاريخ للتزوير نتيجة للأهواء والنزوات ، أو قصور فى استخدام المنهج العلمى للبحث والطريقة العلمية هى تمنع ذلك كله وتحقق الفائدة المرجوة ٠

خامسا ـ المساواة بين أفراد الأمة وسيادة القانون :

ان الشعور الوطنى لدى الشيخ مصطفى يحمل فى ثناياه معنى أن الكل ينتسب الى وطن واحد ، ولعل هذا امتداد لفكرته عن المساواة بين

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٢٣٥ ٠

البشر جميعا ، لذا كان حريصا على أن يؤكد معنى المساواة بين أبناء الوطن الواحد ، وفى مقال له بعنوان « الشرف » يشرح فيه فكرة العصبية التى استندت الى مظاهر القوة فى المجتمعات البدائية ، ويرى أن الألقاب التى توزعها حكومات الأمم الحديثة هى صدى لتلك النزعة ، وان حاولت بعض الأمم قصرها على أصحاب الكفايات ، لكن معظم الأمم لم تفلح بعد فى جعل ألقاب الشرف وقفا على الكفاية والفضل ، فان مثل هذه الألقاب انما تبث التفرقة بين الناس ، وتخلق طبقة لها امتيازات تتمتع بها على حساب الآخرين ، ولقد عارض هذه الألقاب حرصا على العدل والمساواة بين الناس (١) .

ولكن الناس ليسوا جميعا متساويين ، فان التفاضل طبيعة من طبائع البشر ، فكما يختلف البشر فى الجنس واللون والدين ، فهم مختلفون كذلك فى الكفاءة والموهبة والاستعداد ، وعلى هذا فان التفاضل بينهم ضرورى ، لأنه من طبيعة البشر ، لكن هذا التفاضل يجب أن يقوم على أساس الكفاءة والاستحقاق والعمل ، لا على أساس القوة والبطش وانتماء الأفراد لطبقة أو أوضاع اجتماعية ، وهذه المساواة لا تقضى على الامتيازات التى وهبتها الطبيعة لبعض الأفراد دون البعض الآخر ، بل على العكس قد أدت الى بروز التفاوت العقلى بين أفراد الجماعة ، اذ سمحت لكل منهم باستقلال ملكاته وقواه وامتيازاته الطبيعية ، والشيخ مصطفى يقر تلك الامتيازات التى تقوم على الكفاءة والاستحقاق ، ويقترح قصر تلك الألقاب والأوسمة على أصحاب الفضل اعترافا بفضلهم وتكريما لأعمالهم ، أولئك أصحاب الكفاية والاستحقاق الذين قدموا بعلمهم وعملهم وأخلاقهم ما يستحقون أن يحمدوا عليه ، واذا كانت هذه الألقاب تشريفا وتكريما لهم ، فان نفوسهم الشريفة فى غنى عنها ، ولم تعد فى حاجة الى مثل هذا التكريم (٢) .

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ١٦٤ ، ٣٣٣ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ١٦٤ .

على أن هذا التكريم لأصحاب الفضل لا يخـرج عن مبدأ المساواة ، ولا يخلق طبقة لها ميزات عن بقية الطبقات ، فالكل متساوون فى الحقوق والواجبات والكل أمام القانون سواء ، وقد أكدت هذا المعنى كل دساتير وقوانين الدول •

ويعتبر مبدأ المساواة حجر الزاوية فى كل تنظيم ديمقراطى للحقوق والحريات العامة ، فهـو من الديمقراطية بمثابة الروح من الجسـد ؛ بغيره ينقضى معنى الديمقراطية وينهار كل مدلول للحـرية ، وهو يسمح لأصحاب الموهبة والاستعداد بنمـو استعدادتهم وامتيازهم فالمسـاواة قانونية بحتـه •

وينبثق عن مبدأ المساواة مبدأ آخـر هو سيادة القانون ، فالكل أمام القانون سـواء ، ولا يكون القانون فى خدمة الحاكم وسيف يسلطه على رقاب المحكومين ، بل على الجميع أن يحترموا القـانون حـكاما وأفرادا ، فان للقـانون قدسيته وحـريته ، كذلك يتمتع الأفراد بكافة حقوقهم المدنيـة والسياسية فى ظـل القانون ، فلا كبت ولا اعتقـال ولا مصادرة ولا أيةوسيلة للحـد من حريات الأفراد إلا بالقـانون وأن تكون مهمة الحاكم هو تطبيق القانون ، ولقد أكد الشيخ مصطفى هذه المعانى السامية ، ودعى المواطن والحاكم الى احترام القانون (١) •

ولقد كانت دعوته بأن يلتزم الحاكم والمحكوم بالقانون دليل على استنكاره أن يـكون الحاكم ذا سلطة مطلقة ، معارضـا بذلك نظـريات التفويض الالهى المباشر للحاكم ، ومعارضا لرأى هـو بز الذى يعطى الحاكم سلطة مطلقة ، وموافقا لرأى الاسلام الذى يرى خضوع الحاكم للقانون ، وأنه ليس ذو سلطة مطلقة ، وأن يمارس الحاكم سـلطاته وفقا لقواعد عليا تقيده ولا يستطيع الخروج عليها ، فقد كان الخليفة مقيـدا بأحكام القرآن والسنة ، واختصاصاته محدودة بما للأفراد من حقـوق

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ١١٨ .

وحريات نص عليها الاسلام ونظمها وقرر الضمانات التى تكفل حمايتها ضد اعتداء الحكام والمحكومين على السواء ، وكذلك كان رأيه متفقـا مع الآراء الحديثة التى سادت بعد الثورتين الأمريكية والفرنسية ، والتى ترى أن سـلطة الحاكم ليست امتيازا شخصيا بل يمارسـها نيابة عن الجماعة ولصالحها (١) .

سادسا — صفات الحاكم والقائمين بالخدمة العامة :

لقـد اهتم أفلاطـون فى جمهوريته بطبقة الحكام ، لانها بحـكم وظيفتها من أهم وظائف الدولة ، فقال انه لا يصلح أمر الدولة إلا بصلاح هؤلاء ، وطالب أن يحكم الفلاسفة أو يتفلسف الحكام ، « لانهم وحدهم القادرون على الفهـم الصحيح لطبيعة الخـير ، والذين يستطيعون أن يزودوا البصيرة بأساس ثابت بما هو صواب أو خطأ فى التطبيق ، وأن يعطوا الآخرين قوة الايمان الضرورية ، التى تقاوم كل المؤثرات الداخلية والخارجية التى تنحرف بالحكم والارادة » (٢) .

ولقد وضع أفلاطون نظاما لتربية الحكام ، يكون على أساس الجدارة والاستحقاق ، وإلا ينضم الى هـذه الطبقة إلا من لديـه الاستعداد والموهبـة والقدرة ، فان اختيـار أفراد أى طبقة يعتمد على الجـدارة والأهلية ، والحاكم بالتأكيد ليس من طبقة معينة وراثية ، ... والأغلبية منحكام المستقبل يوجدون من بين الأطفال الذين لديهم استعداد لهـذا المركز » (٣) ، كذلك تعرض الفارابى فى مدينة الفاضلة الى صفات رئيس المدينة الفاضلة ، ومنهـا صفات أخلاقية فطرية ومكتسبة (٤) ، واشترط الامام محمد عبده فيمن يندب للخدمة العامة فى الأمة قوة الارادة وقوة

---

(١) د . ثروت بدوى النظم السياسية حـ ١ ١٢٠ — ١٢٥ .

(٢) افلاطون الجمهورية ترجمه حنا خباز ١٣٥ وما بعدها وايضا .

(٣) G. C. Field : The philosophy of palto p. 60.

G. C. Field : The philosophy of palto p. 52.

(٤) الفارابى المدينة الفاضلة .

الشكيمة وهما صفتان يراهما الأستاذ الامام من الصفات النادرة عنـد أكثر معاصريه ، ثم تأتى (الذمـة) أو الاخـلاص في العمـل ، وروح التضحية » (١) .

ومن هنا تبدو أهمية عمل هذه الطبقة ومدى اهتمام الفلاسفة قديما وحديثا ببيان الصفات الواجب توافرها ، وأن يكون أفراد هـذه الطبقة ومن يقومون مقامهم مزودين بصفات أخلاقية بجانب صفاتهم الفطـرية واستعداداتهم ومواهبهم ، واننا لو أردنا أن نوجز القول فى تلك الصفات المطلوبة لرددنا مع الشيخ مصطفى قوله فيمن يتصدر للعمل السـياسى والخدمة العامة بالدولة ، أن يجمع بين الأخلاق والدين ، فيقول فى عبارة موجزة معبرة « أيها الناخبون : تخيروا لمجلس النـواب من له دين ، وله مع الدين خلق » (٢) وهى كلمة موجزة جامعة مانعة « بلغة المناطقة » لكل صفات الخير وعناصر الكفاءة المطلوبة فيمن يتصدر لهذا العمـل . فهى تتضمن الاخلاص فى العمل والصراحة فى القول والسلوك الفاضل ، ولا يغيب عن أذهاننا أن من يجمع بين الدين والأخلاق ، فقـد اجتمعت فيه صفات الكمال وحاز على الفضيلة ، وبذا يكون أهلا للممارسـة الحقة للعمل السياسى ، وهى مانعة لأولئك المتسلقين الذين لا دين ولا أخلاق لهم ، ولا دراية لهم بهذا العمل .

ولقد كان حريصـا أن يبعـد كل أثر مادى كدافع للقيام بالعمـل السياسى وبالخدمة العامة ، وأن يكون الدافع هو العمل لمصلحة الجماعة ، وأن يتولى بأمانة أمورها نيابة عنها ولصالحها ، فنراه ينقد من طـرف خفى قرار مجلس النواب بضرورة أن يكون العمد بالانتخاب ، فيطالب هؤلاء بمكافآت مالية أسوة بزملائهم النواب (٣) .

---

(١) د . عثمان أمين رائد الفكر المصرى ٢٢٢ — ٢٢٣ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٤٨٠ .
(٣) مصطفى عبد الرازق آثار ٤٥٨ .

ولا تخفى الآثار السيئة التى تنجم عن حب هؤلاء للمادة واستقرار ذلك الحب فى نفوسهم ، مما يجعلهم أكثر شرها وتفانيا فى جمع المال ، واستغلال السلطة فى جلب منافع خاصة لهم ، ولقد عانت المجتمعات على مختلف عصورها من خطورة ذلك ، وهو يرى خطورة أن يكون الأجر هو الدافع فى ميدان العمل السياسى والخدمة العامة ، وأدرك كما أدرك أفلاطون وأرسطو مغبة ذلك الأمر ، فانهما كانا يعارضان نظام الأجر على أساس أنه يؤدى الى انحطاط من يتقضاه ، ويجتذب الدهماء الى ميدان السياسة » (١) ، وفى تأبينه لعضو فى الجمعية التشريعية يقول « ولم يكن لأعضاء الجمعية التشريعية راتب ذو شأن ، ولا امتيازات مغرية ، من أجل ذلك شعرت البلاد بتقدير العاطفة النبيلة فى نفس هذا النائب الشاب » (٢) .

وهو لا يقصد التخلى كلية عن الأجر فيمن يقوم بالعمل السياسى والخدمة العامة ، ولكن أشد ما يخشاه أن يكون الأجر هو الدافع للقيام بهذا العمل .

سابعا ــ وظيفة الحكومة :

لم يأل الشيخ مصطفى جهدا فى النقد الصريح البناء للأوضاع والأنظمة الفاسدة ، حتى يمكن علاجها وتلافيها ، ومن ثنايا نقده لتلك الأوضاع ، نستطيع أن نخلص الى واجبات الحكومة وما يجب أن تقدمه للمواطنين ، ولقد قدم نقدا كثيرا لأعمال الحكومة فى عصره ، واهمالها فى فى آداء واجباتها ، واغفالها نواحى الاصلاح خاصة فى الريف ، أو اصلاح أحوال المواطنين فيه ، وتهيأة حياة كريمة لهم ، وتقديم كافة الخدمات اليهم . وتصور الحال السىء للمواطن نتيجة لاهمال الحكومة وعدم رعايتها ، ورغم ما يقدمه الفلاح من أعمال هامة للمجتمع ، فانه لا يلقى

---

(١) ارنست باركر النظرية السياسية عند اليونان ٦٢٠ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٤٩١ .

عناية الحكومة التى يجب أن تكفل له أسباب الراحة فى حياته والعنـــاية اللازمـــة له (١) .

ولقد كان الشيخ مصطفى شديد العناية بأمر هذه الطبقة الكادحة ولم تقتصر دعـــوته على آداء الخدمات بكافة أنواعها لهم ، بل طالب بتغيير جذرى فى النظام الاقتصادى للمجتمع لصالح تلك الطبقة العاملة ، فنادى بضرورة التوزيع العـــادل للثروة بين المواطنين ، وتوزيع أعبـــاء العمل بينهم ، بحيث لا ينحصر الفقر والعمل فى طبقة الكادحين ، بل يكون لهم حق التملك والتمتع بثمرة العمل (٢) ، وهذا ما تدعو اليـــه المذاهب الاشتراكية الحديثة ، وهى نظـــرة اصلاحية ووســـيلة لاقامة العـــدل الاجتماعى ،وعلى الحكومات أن تقيم العدل بين جميع أفراد الأمة ، وأن تبغى فى كل قوانينها حق الانسان واحترام آدميته وكرامته .

ولا يقتصر اهمـــال الحكومة للريف فحســـب بل تعـــداه الى كل المرافق فى المدينة أيضا ، ومن أهـــم واجبات الحكومة أن تتلافى هـــذا النقص ، وتقـــديم كافـــة الخدمات الى كل المواطنين ورعايتهم الرعاية الصحية اللازمـــة (٣) .

ومن واجبات الحكومة توفير الأمن للمواطن ، واختيار الأكفاء للقيام به ، وأن يأمن المواطن على نفسه (٤) .

ومن واجبات الحكومة أن تهيأ فرص العمل المناسبة للمواطنين حتى تحتفى صور البطالة وقد نبـــه الى خطر البطـــالة وواجب الحكومة فى القضـــاء عليهـــا (٥) .

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٧١ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ١٧٩ .
(٣) مصطفى عبد الرازق آثار ٤٨٦ .
(٤) مصطفى عبد الرازق آثار ١٨٥ .
(٥) مصطفى عبد الرازق آثار ٤٦٧ .

كذلك من من واجبـات الحكومة معاملة المواطنين بالحسنى ، وأن تراعى كرامتهم وأن تكون مثالا للمعاملة الحسنة وأن تكون خير تمثيـل لآداب الأمة فى قولها وعملها ، كـذلك محاربة العـادات الوظيفية السيئة للموظف الحكومى التى يغلب عليها الكسل والخمـول والاهمال ، وهو من أشد ما يعانى منـه المواطنين ومن أبرز عيوب الأجهـزة التنفيذية للدولة ، كذلك طالب بسرعة تقديم الخدمة للواطنين وانجـاز مصالحهم ، فطالب بتبسيط الاجراءات التى تستخدمها الأجهزة الحكومية فى عملهـا تسهيلا للعمل وحسن آدائه ، وتخفيف العبء على المواطنين ، والقضـاء على عيوب الروتين وتعقيداته ، وما يعانيه المواطنين فى سبيل ذلك [١] .

فعلى الحكومة أن تحدث ثورة ادارية تشمل كافة أجهزتها ، وأن ترتفع بمستواها الى مسـتوى الآداء الناجح ، وعلى الدولة أن تنشـأ الوظائف النافعة للأمة وأن تدعم جهازها التنفيذى ، وأن لا تبقى على تلك الوظائف الصورية التى لا تؤدى عمل ولا ينجم عن الغائها أى ضرر ، فان هـذه الوظائف تمثل عبئا على ميزانية الدولة ، وأشبه ما تـكون بالبطـالة المقنعـة [٢] .

ومن المهام الرئيسية للحكومة فى نظر الشيخ مصطفى هى حراسـة القانون وتطبيقه واقامة العدل والمساواة بين أفراد الأمة ، وكفالة الحقوق المدنية والسياسية للمواطنين .

ومن أهم الواجبات التى يجب أن تقـوم بها الحكومة فى مجـال الخدمات هو التعلم وهو يرى أنه من أهم مهام الحكومة وله الصـدارة على كل المشاريع ، وسنذكر بشىء من التفصيل منهجه فى التعليم والدعوة الى توسيع قاعدته فى الحديث عن اعداد الفرد وتربيته .

---

(١) مصطفى عبدالرازق آثار ٤٧١ — وايضا ٤٤٢ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٤٨٨ .

هكذا تتعدد مهام الحكومة وواجباتها نحو المواطنين لتحقيق الهدف الأسمى وهو رعاية الانسان والعناية به ، وتقديم أسباب الراحة والأمن ، واحترام انسانيته وكرامته ، وكفالة حقوقه ، ورفع مستوى معيشته ، ولقد نبعت هذه الواجبات من ايمانه بالانسان وقيمته .

ثامنا ــ تربية الفــرد واعــداده :

اهتم الشيخ مصطفى بتربية الفرد واعداده ، لايمانه بأن قوة الأمة تكون بقوة أفرادها ، لأن الأمة تكون بأفرادها ، فاذا كان اعــدادهم اعدادا صالحا قويا كانت الأمة عزيزة قوية ، واذا صلح أمر أفرادهــا صلح أمر الأمة ، ولقد اهتم باعداد الفرد أخلاقيا وعمليا ، ورأى أن هذا الاعداد هو سبيل ممارسة الفرد لدوره فى الدولة ، وسبيل ممارسة حقه السياسى ، ورأى أن هذا الاعــداد هو مسئولية المربين والدولة معا ، وفيما يلى ستعرض لأهــم ملامح تلك التربيــة الأخلاقيــة والاعــداد العلمى للفــرد .

سبق الاشارة الى رأى الشيخ مصطفى بضرورة أن يتحلى الشباب بالأخلاق الايجابية ، لأن لها نتائج عملية ، فهى دافعة للعمــل وصانعة لحضارة الأمة وخالقة لنهضتها ، وهذه الصفات تؤهل الفرد للقيام بدوره كاملا ، وأن يصنع حضــارة أمته ويشــارك فى تقدمها ، وهى تجعــل الفرد لا يعرف المستحيل بل ان المستحيل يبدو أمامه مجــرد مجهــول يجب الكشف عنه . لذا يجب أن يكون هدف التربية للنشىء تربية خاصــة تبعدهم عن مواطن الضعف واللين .

لقد كان الشيخ مصطفى يؤمن بدور الشباب وأنه أمل الأمة وصانع نهضتها ، ولكى توجــد الأمة الناهضة ، لابد أن يثور فى نفوس شــبابها معانى القــوة والاقدام والاخلاص والجد والكفاح ، وأن تمتلأ نفوسهم بالعزة القومية ، ويقول مخاطبا الشباب ويوصيه بالتجلى بهذه المعــانى والتخلق بهــا « لكننا لا نيأس من جيل اليوم جيل الشباب الناهض ،

ونتمنى أن يكون أثبت قدما فى خدمة الأمة وأصدق عزيمة واخلاصا فى السعى الى سعادتها وأكثر توفيقا فيما يحـاوله من ذلك أتمنى أن يكون كبيراً فى نفوس شبابنا معنى الحمية للأمل القومى فلا يحتملوا ذل الهزيمة والخذلان ولا ذل الفرار من الميدان » (١) ، فهذه دروس للشباب عليهم أن يوطنوا أنفسهم عليهـا ، ويقيموا سلوكهم على دعائمها ، فهى خـير توجيه لأخلاقهم وعملهم ، وسبيل اقامة أمة قوية ناهضة ، وقوة الشباب هى التى تستطيع أن توجـد ذلك وتحققه .

ولا يتحقق ذلك إلا اذا تشبع الشباب بروح النشاط والعمل وبـذل المجهود والبعد عن الخمول الذى هو شر داء يصيب حياة أفراد الأمـة ويقعدهم عن الكفاح فى سبيل حياة متقدمة ــ ولا يقتصر شره على ذلك بل يتعداه الى عقول وأفكار الشـباب ، ويصيبها بالفتـور وقلة الهمـة ويبعدهم عن الابتكار والفكر السليم ، ولا شـك أن الخمـول الذهنى والعملى لهـو من أكبر الشرور التى لو تمكنت من روح الشباب فانهـا تقضى على فاعليتهم فى الحياة ، وتجعل أمتهم ذليلة خاضعة متأخرة عن الركب الانسانى المتحضر ، ويلخص الشيخ مصطفى ذلك الداء الخطـير محذرا ومنبها الى خطورته وضرورة التخلص منـه وتربية الشباب على القوة والنشاط ، فيقول « شر أدوائنا الخمول ، وهو علة ضعفنا فى كل وجه من وجوه الرقى . وذلك بأن المدنية ثمرة النشـاط الانسانى كلمـا كبر ما ينفعه الناس من مجهودهم فى سبيل الحياة كانت حياتهم عظيمة ومدنيتهم راقية نحن أمة خاملة تبدو مظاهر الخمول فى جميع نواحيها ، نرى حـركات الناس فى الطرقات فاترة ، وحـركة العمـال فى أعمالهم فاترة ، ونحس بالفتور فى نزوات العواطف فى القلوب وخطرات الأفكار فى العقول ، حظنا من النشاط ضئيل ، وحظنا من النجـاح والتقدم على

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ١٧١ .

مقدار نشاطنا ، ولن نبلغ ما نحـــاوله من الأمل العظيم حتى نبذل فى سبيله نشاطا عظيما » (١) •

ولقد نبه الشيخ مصطفى الى أهمية النظام فى حياة الفرد واعداده ، وانعكاس ذلك فى حياة الجمـاعة ، وأن عدم النظـام هو علة التأخـر ، ونادى بضرورة العناية بتربية الأفراد على النظام وتعويدهم عليه لانه خير سعى لاصلاح الأمة ، وخـير أداة لخلق الفرد الصـالح فى الأمة ، فيقول موضحا ذلك « النظام فى حياة الفرد مظهر لقوة وجوده والنظام فى حياة الجماعة آية القـوة فى وجودها ••• واذا نحن نظـرنا فى أمرنا باعتبارنا أفرادا ومجتمعين وجـدنا الاضطراب غالبا على حياتنا فى كل وجه من وجوهها بمقدار ما يغلب النظام على حياة الناس فى الأمم الراقية القوية فى وجودها الفردى وفى وجـودها الاجتماعى ، ومن حق المعنين بنهضة هذه البلاد أن يعملوا على تقوية وجودها بجعل النظـام ملكة فى أبنائها تظهر آثاره فى الحياة الخاصة والحياة العامة ، وان كل سعى فى تفهيمها معنى النظام واشاعة الذوق النظامى فينا لهو خير سعى لاصلاح الأمة وأعظم بركة عليها » (٢) •

ولكى تتحقق تلك التربية الصحيحة فلابد من الاهتمام بالتعليم ، فالعلم هو الســبيل الى ايجـاد الفرد الواعى المستنير ، ومن هنـا كان اهتمام الشيخ مصطفى بالعلم ونشره ، وواجب الحكومة والأفـراد فى ذلك ، وكذلك اهتمام بنظام التعليم •

ويؤكد دور العلم فى رقى الأمة ، ويبين أنه من أكبر عوامل نهضتها وتقدمها فيقول « وانا لنتمنى الخير والنجاح لكل مكان فى هـذا البلد يعلم فيه طرف من العلم وتعد كل مدرسة عندنا عاملا من عوامل الرقى الذى نرجو كل الرجاء أن تكثر عوامله » (٣) •

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٧٤ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٢٢٤ .
(٣) مصطفى عبد الرازق آثار ٢٧١ .

واذا كانت الأمة محتاجة فى رقيها الى العلم ، فان على الحكومة أن تسد حاجة أبنائها منه ، وأن تتوسع فى انشاء مدارس العلم ومعاهده ، حتى ينال كل مواطن حقه فى التعليم ، وأن خير الحكومات فى نظره هى ما تقوم بتحقيق هذه الأمنية فيقول « كبرت مطامح الأمة العلمية وقوى نشاطها فى سبيل العلم ، ونرجو أن يكون صدى لصوت شعورنا القومى ما نلمحه من عناية الحكومة بالعلم والتعليم ، وخير الحكومات ما كان ملهما نزعات الكال فى الأمم سباقا الى تحقيقها » (١) .

ثم هو يدعو الى نجاح جامعة الشعب ، ودعى الى المساهمة فى تعضيدها ومساندتها ، ولقد ساهم فى تأسيس تلك الجامعة مع نخبة من الأساتذة الموجودين بمصر فى ذلك الوقت ، لتقديم الثقافة والمعرفة لجماهير الشعب ، وهذه الجامعة كانت النواة الأولى لانشاء الجامعات المصرية بعد ذلك ، ويقول « ونحن نرجو أن تلاقى النجاح كله جامعة الشعب التى تنهض لخير غرض انسانى ، وهو تقريب منال العلم من جماهير الناس ونرجو أن يمدها بالمعرفة والاسعاد كل قادر على نصرتها ، ونرجو ألا يفوت الشعب المصرى ثمرتها وأن يكون نصيب المصريين من تعضيدها موفورا » (٢) .

فواجب العلم لا يقتصر على الحكومة بل لابد من مساهمة الأفراد القادرين بالمال والمعرفة بالمشاركة فى توسيع قاعدة العلم فى البلاد ، ولقد كان هذا شغله الشاغل ، لانه كان يرى أن العلم هو الزاد الحقيقى للانسان ، ويرى ضرورة توفيره للجميع وأن على الحكومات والجماعات القادرة مسئولية ذلك ، وان كانت هذه مسئولية الحكومة فى المقام الأول (٣) .

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٣٤ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٢٧ .
(٣) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٢٢ — ٣٢٣ .

ولأهمية العلم ودوره نراه يستحث الحكومة على الاسراع فى تنفيذ مشروعات التعليم واعطائها الأولوية ، وان الذى توجهه « وزارة المعارف ، لاعتبارات مالية لهو من أعز آمال البلاد نتلمس بشرى تحقيقها فى كل كلمة تقولها الوزارة أو تكتبها ، واذا كان المشروعات الاقتصادية قد اعتبر ضروريا • لابد من فتح الاعتمادات له فى الميزانية الجديدة برغم الأحوال الحاضرة ، فان المشروعات العلمية كانت جديرة أيضا بأن تعد ضرورية ينظر لها فى ميزانية اليوم » (١) ونشر التعليم واقامة دوره مشاريع لا تحتمل الابطاء أو التأجيل فى نظره •

ثم هو يهتم بنظام التعليم وطالب بألا يكون مجرد اعداد وظيفى للفرد ، بل لابد من الاهتمام بالروح العلمية ، التى تنمى ملكات واستعدادات الفرد وترضى طموحه العلمى ، لذا كان الاهتمام بتلك الروح العلمية وغرسها فى نفوس الأفراد ، ويؤكد ضرورة ذلك فى تعليقه على فشل النهضة العلمية وعدم استمرارها بعد تأسيسها أيام (محمد على) على النحو الذى بدأت به (٢) •

وهو لا يقتصر على اصلاح نظام التعليم فى المدارس ، بل يدعو أيضا الى اصلاح نظام التعليم بالجامعة ، وينقد ما آلت اليه الحال فى الجامعة ، فيقول . « ثم اضطرب أمرها وظهر الضعف فى كل شىء فيها وصغرت قيمتها العلمية وتأثرت وجهتها فى التعليم بالروح الحكومية ولا نزال نلمح مع الألم مظاهر الانحطاط فى الجامعة المصرية الوحيدة التى كادت تصبح ذيلا من ذيول المدارس الأميرية » (٣) •

ونراه يؤكد أهمية الميل للعلم وحب المطالعة ،وأهمية ذلك فى التكوين العلمى للفرد ، فاذا كان من واجب الحكومات أن تنشأ دور العلم ومعاهده ، فان من واجب الأفراد أن يزيدوا من ، حبهم للعلم واقبالهم

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٢٥ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ١٦٦ .
(٣) مصطفى عبد الرازق آثار ١٦٦ .

عليه ؛ لأن مداومة القراءة توسع مدارك العقل وتفتح أبواب الفكر ، ولقد عاب على عدم اقبال الناس على المطالعة (١) .

ويشخص ذلك الداء وهو عدم الاقبال على القراءة الذى استشرى بين صفوت المتعلمين وغيرهم ، ويرجعه الى الأسس الخاطئة التى يقوم عليها التعليم فى المدارس ، التى تجعل الطلاب لا يقبلون على العلم والقراءة ، ويرى أن من واجب الأساتذة أن يغرسوا حب العلم فى نفوس الطلاب ، وذلك باتباعهم طرق تربوية صحيحة ، تحول ذلك الأحجام الى إقبال ، وتهتم بسلامة البيان وكمال النظام وجمال التأليف ، وتتيح للطلاب تنمية ملكاتهم واستعداداتهم (٢) .

والواقع أن للتعليم دوره فى اعداد المواطن للحياة فى مجتمعه ، ثم هو وسيلة لمعرفة النظم والقوانين ، ووسيلة لمارسة حقوقه السياسية ، ولم يكن غريبا أن يهتم الشيخ مصطفى بالتعليم لادراكه أهميته ودوره ، ولقد اهتم الفلاسفة قديما بالتعليم ، واعتبره أفلاطون وأرسطو من أهم وظائف الدولة (٣) .

وبعد هذا الاعداد الأخلاقى والعلمى للفرد ، فانه يكون مؤهلا للمشاركة السياسية ، لذا نرى الشيخ مصطفى يدعو المصريين الى المشاركة فى أمور بلادهم وأن يكونوا ملمين بأحوال وطنهم وسير الأمور فيه ، فيدعوهم الى دراسة تقرير المعتمد الانجليزى ؛ لأنه يمثل نظرة المستعمر الذى جعل نفسه وصيا على مصر بالرغم من مقدرة المصريين على أن يرعوا أمورهم (٤) .

ولا يقتصر الدور على مجرد المعرفة بل يدعو الى مضاعفة الجهد

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٢٠٢ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٦٦ .
(٣) ارنست باركر النظرية السياسية عند اليونان حـ ٢ ١٢ ، ١٣ .
(٤) مصطفى عبد الرازق آثار ١٠٩ .

وتكوين القوة اللازمة لاثبات الحق فى الاستقلال والحرية ، فان القــوة تسند الحق وتفرضه فى عالم لا يعرف إلا القــوة سبيلا ، لذا نراه يدعو المصريين أن يثبتوا بالقوة الى جانب الاقنــاع حقهم فى ادارة أمورهم وحكمهم لأنفسهم واستقلالهم (١) ٠

واذا توافرت للفرد وهذه التربية الأخلاقية والعلمية ، فانه سوف يكون مؤهلا للمشاركة فى الحياة السياسية لأمته ، معبرا عن ارادة أمتــه من خلال المؤتمرات والهيئات المنتجة والتى يرى فيها الشيخ مصطفى خير تمثيل لارادة الشعب وهى الممثلة لسيادة الشعب على أموره (٢) ٠

والجدير بالذكر هو ايمان الشيخ مصطفى بضرورة التربية الأخلاقية والعلمية ، وأن تسبق كل اصلاح سياسى ، لأنها قادرة على خلق جيــل قادر على بعث روح الاصلاح فى كافة نواحى المجتمع ، وهذا يوافق رأى أستاذه الامام محمد عبده ، الذى يرى أن الاصلاح الأخلاقى أساس كل اصلاح ، وضرورة أن يسبق الاصــلاح السياسى ، بل قد يغنينا عنه ، فلو أمكن اتمــام الاصــلاح الأخــلاقى ، لاستغنينا عن كل اصــلاح ســياسى (٣) ٠

تاسعا : حــرية النقــد :

ان حرية النقد وحق الانسان فىالتعبير عن رأيه ، هو أهم دعــائم اصلاح حال الأمم ، وسبيل اقامة حياة حرة كريمة لأبنائها — ولقد قدم الشيخ مصطفى صورا عديدة من النقد ، ونتلمس هذا النقــد من كلماته الموجزة المعبرة خــلال كتاباته ومقالاته ؛ كالنقد الذى ســبق ذكره عن اهمال الحكومة فى واجباتها ، ونقده للجمعية التشريعية ، ونقده للقرارات الحكومية التى لا تتسم بالموضوعية والاتزان (٤) ٠

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ١١٠ ٠
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٤٦٦ ٠
(٣) د عثمان أمين رائد الفكر المصرى ٢٢٢ ٠
(٤) مصطفى عبد الرازق آثار ١٣١ — ٤٧٢ ، ٤٧٣ ٠

ولقد آمن ايمانا شديدا بحرية الرأى وبحــق الانســان فى القول أو الكتابة تعبيرا عن رأيه ، وعارض بشدة عدوان الحكومة على هــذا الحق الذى كفله الدستور ، ويعبر عن هذا فى تعليقه لمصــادرة الحكومة أحــد المنشورات ألتى تدعو الى الاصـــلاح ونفى صاحبها (١) ولقــد نقد الشيخ مصطفى السياسة الاستعمارية لبريطانيا التى كانت تحتــل مصر فى ذلك الوقت (٢) .

ونقد الشيخ مصطفى الصحافة ، ورأى أنها لا تقــوم بواجبهــا ، وتقوم بأعمال لا طائل تحتها ولا أهمية لها ، وتغافلت عن آراء واجبهــا الصحيح ، ودعى الى اقامة صحافة وطنية تضطلع بأداء رسالتها وقادرة على القيام بمهمتها فى سبيل التقدم والاصلاح ودورها فى تغذية عقــول الجماهير بالفكر العلمى وتربية عقولهم على النقد حتى تستطيع تربيــة ملكة التمحيص وحسن النظر (٣) .

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٤٨٠ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٤٥٨ .
(٣) مصطفى عبد الرازق آثار ١٤٤ ، ١٥٧ ، ١٧٠ .

الفصل السادس

الجـــانب الفنى

أولا ـــ الفـــن وأهميته :

يمثل الجانب الفنى فى الانسان ذلك الجانب التعبيرى عن الاحساس والشعور الداخلى للانسان ، سواء كان هذا التعبير كلاما أو آداء أو نحتا ، أو غير ذلك من فنون المسرح والنحت والعمارة ، وهو تكافؤ كامل بين العاطفة التى يحسها الفنان وبين الصورة التى يعبر بها عن هذه العاطفة ،

والفن كذلك وثيق الصلة بالحيـــاة ، فان دلالته هى البحث عن قيم الحياة لأنه احساس نابض بما فى الوجود من قيم جماليه يعمل الفنـــان على ابرازها ، حتى يزيد من احساسنا بعمق الوجود ، فهو يبحث عن معنى الحياة من خـــلال بحثه عن القيم ، وهو يرى أن معنى الحياة ليس مطالب الجسد ومشاغل الحياة المادية ، بل هـــو رهن بعملية البحث عن القيم والسعى وراء المعانى الروحية (١) .

والفن فى رأى الشيخ مصطفى تعبير عما يجيش فى النفس ، ومرآءة صادقة لما يدور فيها ، ونراه يشير الى هذا المعنى فى رأيه فى أحـــد أنواع الفنون وهو الشعر ، فيرى أنه صدق للعاطفة والاحساس فى النفس . ففى رده على احـــدى قارئات السـفور عن قلة كتابته فى العـــواطف سيدتى ! قال عبدالملك بن مروان لأرطأة بن سهية : أتقول الشعر اليوم ؟ فقال والله ما أطرب ولا أغضب ولا أشرب ولا أرغب وانما يجىء الشعر عند احداهن ، وقد أصبحنا يا سيدتى على حـــال بن سهية لولا أننا نصبح

---

(١) بيدوكروتشه المجمل فى فلسفة الفن ترجمه سامى الدروبى ٨ .

غاضبين ونمسى ، ولـو كان الغضب يهيج شـعرا لملانا نواحـى الأرض قصـيدا » (١) .

والفن فى رأيه هو ماينبع من النفس ويعبر عن أحاسيسها وشعورها وأن يكون صورة صادقة للجزء الباطنى لدى الانسان . ففى تفسيره لمعنى النسيب فى أبواب الشـعر وأنه من ألطف أبوابه ، فهـو وصف للعاطفة المتغلغلة فى النفس وللغرام ولوعاته المميتة وبشاشاته المحببة ، لذا كان لابد من صدق عاطفة الشاعر وخاصة فى الكلام عن النسيب ، فيأتى كلامه مصورا تلك التجربة الباطنية الذاتية أروع تصـوير ، ويقـول الشـيخ مصطفى معبرا عن ذلك « ولقد نتمنى أن يعلم شعراؤنا حـق العلم أن النسيب مسلك فى الشعر وعر ، لأن المجيد فيه لابد أن يكون ذا لوعـة تهتز أوتار قلبه بتباريح العشق الكبير أو أن يكون صناعا قوى الاحساس قوى الخيال قوى النفوذ الى أعماق القلوب ليصف أسرار غرامها وهى ألطف أسرار القلوب » (٢) فالشـعر بذلك يكون حـديث القلوب ولغه الاحساس والشعور ، وعلى الشاعر أن يغوص فى أعمـاق النفس ، وأن يحسن التعبير عن ذلك بقوة خياله ، وصدقه فى التعبير ، وكـذلك تكون سائر الفنون تصـوير دقيق لأحاسيس النفس ودقة الشعور ، وتعبير كامل عما يعتمل فى النفس وهو بايجاز تعبير عن روح المرء .

وكما يكون الفنان صادقا مع نفسه ، فانه يكون كذلك صادقا مع عصره ، فتسرى روح عصره فى فنه . وتشيع فى أسـلوبه ، فنراه يمتدح البهاء زهير لاخلاصه لمصريته والتى تشيع فى كل أشعاره ، وتسرى فى عواطفه وأسلوبه ، فيقول الشيخ مصطفى « ولست أعرف شاعرا نفحت مصريته من روحها ما نفحت فى البهاء زهير فهو مصرى فى عواطفه ، وفى ذوقه ، وفى لهجته ، الى الغاية القصوى » (٣) .

---

(١) د . زكريا ابراهيم الفنان والانسان ١٥ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٤٩ .
(٣) مصطفى عبد الرازق البهاء زهير المقدمة (ح) .

وبذا يكون الفنان وثيق الصلة بعصره ، وأن يرتبط الفن بالحياة ، ولقد كان الشيخ مصطفى شديد الايمان بتلك الصلة الوثيقة بين الفن والمجتمع فالفن ليس أمرا ذاتيا فحسب ، وليس مقطوع الصلة بالمجتمع ، ولكنه آمن بالدور الهام الذى يؤديه الفن وتأثيره فى الفرد والمجتمع ، فهو يربى الذوق والاحساس ويهذب الشعور فى الفرد ، ويؤدى دوره فى رقى الأمة ونهضتها ، ونراه يشجع الحركة الفنية الناشئة فى مصر ، ويطالب بذيوعها فى الريف وفى كل مكان ، تأكيدا لأهمية الفن ودوره ، فى ترقية الأمة (١) .

والفن عند الشيخ مصطفى له تأثيره على النفس ، اذ يوقظ الانفعالات ويحرك العواطف والاحساس باللذة والسرور ، فنراه يصف وقع قطعة موسيقية على نفسه فيقول « سمعت أصيل اليوم نغمة موسيقية من بيانو هبطت الى من دار فى طريق كنت أسلكه فشعرت كأن حزنا مملوء بالعواطف والرحمة تنصب به النفس من كل ناحية ووجدت لذة داخلة فى أعمال النفس لهذا الحزن الطروب ما أحوج القلب الذى تضمه ضلوعى الى كل ما يهز الاحساس من ألم ولذة وطرب ، وما أقسى بعثة ، أتلمس فى ثنايا هدوئها وفتورها لحنا كلحن اليوم ليحرك عاطفة من عواطفى الساكنة » (٢) والشيخ مصطفى يوافق ما ذهب اليه ديكارت من قبل ، من أن موضوع الموسيقى هو الصوت ، وأن غايتها أن تبعث فينا شعورا بالتلذذ ومشاعر أخرى مختلفة ، ذلك أن الأصوات الموسيقية قد تولد فينا شيئا من الحزن ومع ذلك تلتذ بها (٣) ، ويذكرنا برأى شوبنهور الذى يرى أن الموسيقى تكرارا لعالم الحواس وأنها طريقة أخرى للتعبير عن الارادة أو الجوهر الباطن وهى لا تقل عن عالم المادة فى اثارة اهتمامنا وايقاظ انفعالاتنا وأنها أكثر الفنون صفاء وتأثيرا (٤) .

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ١٨٣ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٢٢٧ .
(٣) د . عثمان أمين : ديكارت ٢٥٨ .
(٤) جورج سانتيانا الاحساس بالجمال تخطيط لنظرية فى علم الجمال ترجمه مصطفى بدوى ٩٥ .

والفن فى رأيه اشباع لحاجة الطبيعة البشرية ، التى ليست جانبا واحـدا جادا رزينا ، بل هناك جانب اللهو والاستمتاع بالجمال والتذوق الفنى ،فنراه يقول على لسان أحد محدثيه عن الرقص ، أنه من حاجات البشرية ، وملازم لهـا فى كافة أطوارها وأنـه يتفق مـع طبائع البشر وحاجاتهم الغريزية ، « لسنا نعرف قوما من البشر لا يرقصون ، أهـل البداوة لهم رقصهم ساذجا غير متوازن ، وأهـل الحضارة لهم رقص أكثر نظاما وأحسن انسجاما ، ... ان فى هذا الرقص جمالا ولذة ، ومن الجور أن ننقص حظ الانسانية من اللذة والجمـال ، فليكن هذا المتاع فنا من فنون الجمال تختص به طائفة تبرع فى أساليبه وتمتع الآخرين بآثار براعتها ، فيكون عندنا الرقص فنا حيا » (١) .

والفن فى رأيه تعبير رمزى ، فهو يرمز الى معانى سـامية ، ولقد ظهر ذلك فى تقديره لفن الآثار وحبه له ، وما يرمز اليه من معانى سامية ، ومعارضته لتلك النظرة الضيقة ، التى ترى خطأ معارضـة الدين للفن نتيجة لسوء فهم طبيعة الدين وطبيعة الفن ، ففن الآثار ينطـوى على الرمز الى معانى سامية وبيان حضارة القدماء ومعرفة آثارهم وفنونهم ، وليس فى هذه المعانى معارضـة للدين ، وليس فيهـا معانى التجسيد ، وبارتفاع شأن العلوم والآداب أدرك المسلمون علة التحريم وتحرروا من قيود الحرفية الضيقة (٢) .

ومن هـذا كله يتضـح لنـا أن الفـن عنـد الشـيخ مصطفى هـو تعبـير عن الاحسـاس والشـعور لـدى الانسـان ، والفـن الصادق هو ما يلتزم بالصدق ، وينبع من النفس ويعبر عن الاحسـاس والشعور وأن يكون صورة صادقة للجزء الباطنى لدى الانسان ، كمـا أنه يعلق أهمية كبيرة على دور الفن فى تربية الذوق والاحساس وترقيته

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٩١ .

(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ١٨٠ — ١٨٢ وأيضا سيدايبز على روح روح الاسـلام جـ ٢ ٢٧٥ .

فى الانسان ، ويربط بين الذاتية والموضوعية ، ويرى أن للفن دوره فى المجتمع وخدمة قضاياه ، وأنه يقوم بدوره فى توجيه المجتمع بوسائله المتعددة . ويطالب بذيوع الفن ونشره حتى يؤدى دوره ، والفن الذى يقصده الشيخ مصطفى ويدعو اليه هو الفن الصحيح لا الفن المبتذل .

ثانيا ــ الفن الصحيح وقواعده :

يرى الشيخ مصطفى أن الفن الصحيح ، هو الفن المتكامل البنيان والفن الهادف ، فمن حيث الموضوع يجب أن يكون معبرا عن الحياة ، ومن ناحية الآداب يجب أن يكون جيدا بعيدا عن التكلف ، ويجب أن يكون الفن هادفا ، ولكن بعيدا عن القوالب الجامدة ، ولابد من صياغة فنية محببة الى الناس ، فهو يوصل تلك المعانى والأهداف بأسلوب فنى محبب الى النفس ، ولا يجعلها تشعر بالملل والضيق ، بل يجعلها تندمج فى تلك المواقف وتغوص فى معانيها ،ولقد عبر عن هذه المعانى فى نقده لفن التمثيل فى مصر ، وبعده عن القواعد الفنية الصحيحة وسقم موضوعه ، موضحا أن التمثيل مظهر من مظاهر الرقى العقلى للانسان والأمة ، بل هو أصدق مظاهره ، فيجب العناية به والنهوض به ، فيقول « لم يعجبنى شىء من التمثيل لأنه غير خالص من أثر التكلف ، وليس فيه نفحة من حياة ولا راقتنى القصة نفسها وإن أحط بأطرافها ، ذلك بأنها فيما يظهر لا ترمى الى معنى محدود يلوح فى ثنايا موضوعاتها ، وقد تكون فيها حكم وكلمات طيبة ولكنها خالية من الوحدة التى تذهب بموضوعاتها المتفرقة الى غرض واحد ، ويخيل لى أن حال التمثيل أصدق مظهر لرقينا العقلى العام ، وياحسرتا لضعف رقينا وضعف تمثيلنا » [1] .

واذا أردنا أن نستخلص من هذه العبارة السابقة بعض القواعد الفنية اللازمة لخلق الفن المتكامل ، فاننا نستطيع القول فى عبارة موجزة ،

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٢٠١ وايضا عباس العقاد فى كتابه مطالعات فى الكتب والحياة ٣٨٦ .

أنه أراد أن يكون الفن بعيدا عن التكلف ومعبرا عن الحيـاة وأن يكون الموضوع محبوكا ، وأن يرمى الى هدف ومعنى محـدد ، ووحـدة البناء الداخلى للقصة أو الموضوع حتى لا يعسر على السامع أو المشاهد معرفة الهـدف . وكذلك لا تضيع عليه فرصة الاستمتاع والفهم ، ولا يتحقق ذلك إلا اذا أخلص الفنان لفنه وأتقن عمله ، ولقـد أشار الشيخ مصطفى الى أهمية الدقة والاخـلاص فى العمل الفنى ، حتى يستطيع الفنـان أن يعطى عمله قيمة وحياة . فيقول واصفا أحد أولئك الفنانين المخلصين لفنهم . ويصفه وهو يعزف على البيانو قطعة موسيقية ، وأثر ذلك العمل المتقن على نفسه ، فيقول « يعجبنى العامل المحب لما يصنع ، ويروقنى العمل المجود ، فلو لم يكن طربى لموسيقى مسيو ماسبرو بما فى نفسى من نفحة موسيقية لطربت لها ينزعنى الى الاعجاب بكل عمل يعطيه العامل من روحـه حيـاة » (١) .

والاخلاص ضرورى لخلق الفن الصحيح ، ويحدث أثره فى نفوس الجماهير ، ويجعل الفنان يبذل أقصى طاقاته لاتقان عمله ، أما دون ذلك فهو عمل خليق بألا يوصف بالفن . فالفنان الذى لا يخلص لعمله ويؤديه بتكلف وملل وتكاسل وترنح فان عمله يكون خاليا من كل قيمة ومعنى الحياة ، ويكون جمهوره بعيدا عن حسن الذوق ، وتذوق معنى الطرب بل لابد من أن يكون الفنان جيد الآداء ، وأن ينتقل من دور الآداء الى دور المشاركة والاندماج فى الموقف الذى يؤديه ، وكذلك السامع الـذى يحيا تلك المواقف وينفعل بها ويتأثر بها (٢) ، ولقد كان موللر فرينفلر محقا حين يقول عن نفسه « انى أنسى كلية انى على خشبـة المسرح ، فأنسى وجودى الشخصى ولا أشعر إلا بشعور الشخصيات ، فى بعض الأحيان أن أهذى مع عطيل ، وقد أرتجف مع ديدمونه ، وأحيـانا أخرى أود لو تدخلت لنجدتهما ، انى أنتقل بسرعة من حال الى أخرى ، أفقـد

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ١٩٣ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٢٢٨ .

فيها نفسى ، وخاصة فى المسرحيات الحديثة (١) ، وتلك هى خصال الفنان المخلص لفنه والذى يقدر على خلق الفن الصحيح .

ولقد كان الشيخ مصطفى مقدرا للفن الصحيح ، ومعطيا للفنان الأصيل حقه وقدره ، والفن الصحيح هو الذى يرقى بذوق المستمع ، فلا يطرب إلا للفن الأصيل الذى يأخذ بمجامع قلبه ونفسه ، ويطرب سامعه ، ويرضى شاهده ، ويعرض لنا صورة لذلك الفن الأصيل الذى يؤثر فى النفوس ، عند حديثه عن فنانة أصيله هى « سيدة الغناء العربى أم كلثوم » منصفا إياها ، ومقدار فنها وأصالته ، وما تحدثه فى نفوس سامعيها من الطرب الحقيقى ، فيقول « تظهر أم كلثوم بادىء الأمر رزينة ساكنة وتشدو بصوتها الحلو شدوا لينا ، من غير أن يتحرك طرف من أطرافها ، إلا هزة لطيفة ، تنبض بها رجلها اليسرى أحيانا ، ثم ينبعث الطرب ، فى هيكلها كله ، فتنهض قائمة ، وترسل النغمات متعالية ، تذهب فى الآفاق هتافا مرددا ، أو تترجع رويدا حتى تتلاشى حنينا خافتا ، وتهزها أرأحيه الشباب والطرب فتساير النغمات فى حركاتها ، مندفعة بوثبات الشعور وراء مذاهب الفن ، ... أم كلثوم نعمة من نعم الدنيا » (٢) .

والفن الصحيح هو الذى يلتزم بمبادىء الأخلاق وما يقضى به الذوق العام ، حتى لا يكون فنا مبتذلا منفرا ، والفن الأصيل لا يتصور بدون أخلاق (٣) ، ولقد كان الشيخ مصطفى حريصا على تأكيد ذلك المعنى الأخلاقى وضرورة توافره فى الفن بكافة أشكاله : فلقد امتدح الصفات

---

(١) دنيس هوسمان علم الجمال ـ الاستطيقا ـ ترجمه د . اميرة مطر ٩٦ .

(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٤٤٤ ـ ٤٤٥ ـ وقد كتبت جريدة الأخبار التى تصدر فى القاهرة فى عددها الصادر ١٩٧٥/٢/٤ فى وفاة أم كلثوم بأن أول مقال أنصف أم كلثوم ضد الحملات الصحفية كان بقلم الشيخ مصطفى عبد الرازق .

(٣) بيدوكروتشه المجمل فى فلسفة الفن ٩٨ وايضا راى افلاطون فى الجمهورية بعلاقة الفن بالأخلاق .

الأخلاقيـة التى تحلى بهـا الشاعر المصرى البهـاء زهير مزكيا صفاته الاخلاقية « البهاء زهير مثال من مثل الخلق العظيم : يجمع الى حب الخير وفضيله العفو قوة الشخصية وشرف النفس وعزة الاباء ، وتلك صفات لا تجتمع إلا لأهل الفطر الفائقه » (١) ولا شك أن هذا الطراز من الشعراء لا ينظمون إلا شعرا ملتزما بالأخلاق ويكون فنهم صـورة صادقه لصفاتهم الأخلاقية •

ثالثا ـ معالجته لموضوعات فنيه :

لقد كان الشيخ مصطفى فنانا أصيلا ، ومتذوقا للفن ، ولقد أبدى الكثير من الآراء الفنية فى موضوعات فنية مختلفة ، ولقد كان أديبا فنانا ، نظم الشعر فى صـدر شـبابه وله آراء فيـه ، واشتغل بفروع الأدب المختلفة ، وتناول موضوعات ومشكلات أدبية وأبدى آراء حول هـذه الموضوعات ؛ وسوف نعرض لأرائه فى هذه المضوعات •

١ ـ الشـعر :

يـرى الشـيخ مصطفى أن الشـعر تعبـير عن أحاسيس النفس ومشاعرها ، وهو أسبق من النثر الذى يعتمد على رقى المعارف الانسانية وتنوعها ، وفى محاضرة له بجامعة الشعب عن الشعر العربى قبل الاسلام ، يوضح بعبارة موجزة قوية ، طبيعة كل من الشعر والنثر مما لا يحتـاج معه الى تعليق ، فيقول « يظهر أن الشعر ينمو ويزهر قبل النثر كمـا تدل عليـه آثار الأمم القديمة من الهنـود والفرس واليونان ، وحاجة الانسان الى أن ينفس عما يجيش فى نفسه من أنواع الشعور بتطريب ذى وزن ونغم ، أسبق من حاجة الى الاعراب عما يجرى فى ذهنه من الخـواطر ، على أن رقى النثر يقتضى وفرة الثمرات العقليـة وترقى المعارف الانسانية وتنوعها ، أما الشعر فيعتمد اللطف فى الاحسـاسات

---

(٥) مصطفى عبد الرازق البهاء زهير المقدمة .

الباطنة وتهيؤ الآذان الى تقدير الصوت الموقع النغمات » [١] .

واذا كان الشعر تعبير عما فى النفس ، فليس معنى ذلك أن يكون امرا ذاتيا فحسب ، وأن يكون الشاعر بعيدا عن عصره وعن أحداث الحياة ، فالشاعر التراجيدى أو الكوميدى يكشف من خلال الشخصيات والأعمال رأيه فى الحياة الانسانية ، من حيث هى كل فى عظمتها وضعفها ، فى رفعتها وسخفها [٢] ؛ ولقد أشار الى ذلك الشيخ مصطفى عند حديثه عن البهاء زهير الذى تجلت فى شعره روح العصر وأحداثه ، وكان شعره سمة العصر الذى عاش فيه فيقول « وشعر البهاء زهير كما هو مرآة صادقة لعصره بما فيه من فيض الطبع والبعد عن التكلف ، هو أيضا مرآة لعصره من حيث اللغة والتعبير ، والروح المصرى يتجلى فى هذا الشاعر القوصى الصعيدى بأكثر مما يتجلى فى أى شاعر مصرى عرفناه فى القديم والحديث » [٣] .

فالشاعر بذلك يحيا عصره ، معبرا عن ذلك العصر وأحداثه ومسجلا لتلك الأحداث ، وتتصل موضوعات شعره بحياة الناس ، ويؤكد هذه المعانى فى حديثه فى موضع آخر عن شعر البهاء زهير فيقول « ويستطيع الناظر فى شعر البهاء أن يستخرج أحوال عصره فى كثير من الشؤون ، فهو يشير الى عادات وشؤون دينية وغير دينية ، وموضوعات شعره متصلة بعواطفه وبحياة زمنه أشد الاتصال ، بخلاف غيره من الشعراء الذين يكون شعرهم صورة لحياة غير حياتهم ، وعواطف غير عواطفهم » [٤] .

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٢٩٩ .
(٢) ارنست كاسيرر مقال فى الانسان (الترجمة العربية) ٢٥٥ وايضا كتاب الشعر لارسطو فصل التراجيديا ٤٨ .
(٣) مصطفى عبد الرازق البهاء زهير ٢٥ .
(٤) مصطفى عبد الرازق البهاء زهير ٨٤ وانظر ارسطو كتاب الشعر ١٤٢ .

ولا يقتصر دور الشاعر أن يكون صدى عصره ، بل يسبق الهامه الشعرى رقى أمته ، ولكن دون تجاوز ، ويشارك فى صنع الجديد ويساهم فى نهضتها ، ولقد أشار الشيخ مصطفى الى هذا الدور فى تقسيمه للشعراء بأنهم فريقان ، فريق يعتمد على ما يحفظه من السابقين عليه حتى تقوى مهارته الفنية ، وفريق آخر يكون صدى لحياة مجتمعه بآماله وآلامه ، ويشارك فى رقى مجتمعه ، ويقول عن ذلك الصنف الممتاز من الشعراء « وفى الشعراء من يتأثر احساسه الشعرى بعوامل الحياة التى تحيط به فيكون ثمرة جيله ، ويكون لحنه فى القريض أنسب الألحان بذوق قومه وبما يجرى فى عصبهم الحساس من أنواع الشعور ، ومن هؤلاء من يسمو الهامه الشعرى الى أكبر مما عند أمته من العواطف من غير أن يجاوز منازع نهضتها فهو يسبق رقبها خطوات ، ويكون فى سحره الشعرى من السلطان ما يقوى على اجتذاب ذوق قومه الى توقيعه الجديد الذى صداء الأمل » (١) •

وفى هذا ربط بين الذاتية والموضوعية فى الشعر ، وأفضل الشعراء هو ما كان ملتزما بهذا الرباط ، فالشاعر حين يعبر عن نفسه وعن مثله العليا انما يعبر عن مثل غيره من الناس أيضا ، فعلى الشاعر أن يقوم فى نفسه بتمثيل الدور الذى تلعبه كل من شخصياته ، واذا اتيحت له المرونة وتحديد الخيال — وهما الصفتان اللتان تتألف منهما العبقرية ، فانه قد يعبر لغيره من البشر عن تلك النزعات الباطنية التى ظلت عندهم بكماء على نحو مؤلم (٢) ؛ وبذا يكون شعره كما قال الشيخ مصطفى أنسب الألحان بذوق قومه وبما يجرى فى عصبهم الحساس من أنواع الشعور •

وأفضل الشعر فى رأى الشيخ مصطفى هو ما يتناول معانى الشجاعة

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٧٦ وايضا هيدجر فى الفلسفة والشعر ترجمة د • عثمان أمين ص ١٠٠ وما بعدها .

(٢) جورج سانتيانا الاحساس بالجمال ترجمه مصطفى بدوى ٢٠٥ .

والشرف وكل الفضائل الأخلاقية ، وطالب بأن يذاع ذلك النوع من الشعر بين الشباب ، ليغرس فى نفوسهم تلك المعـانى الجميلة ، وان يتذوقوا معانيها السـامية ، ولقد رأى فى شعر البارودى تحقيق ذلك ، وطالب بتربية أذواق الشـباب على ذلك النـوع الجيد من الشعر ، فيقـول « هذا النوع من شعر البارودى الذى سميناه فخرا هو أول كلامه على منازع نفسه الكبيرة الشماء ، فى ذلك الفخار معنى الشجاعة والشرف فى فؤاد شاعر جندى عظيم المطامع قوى النفس كريم العواطف ، ولوددنا بأن يحفظ شبابنا هذا الشعر المصرى ويرتلوه فى غدوهم ورواحهم حتى يعتـاد ما بين جوانحهـم من قلوب فتيـة أن يخفق على توقيع ذلك النغم » (١) ، وهذا يتفق مـع ما رآه أفلاطون فى جمهوريته فى ضرورة ابعاد أقاصيص الشعراء الكاذبة فى تعليم الأطفال والشبان ، والتى تشجع فى نفوسهم المخاوف ، بل يجب أن تكون الشجاعة والحق وضبط النفس لحمة كل القصص المستعملة فى تهذيبهم (٢) .

ويسدى الشيخ مصطفى نصائحه للشعراء ، ولقد سبق الاشارة الى بعضها ، وأهمها صدق العاطفة فى الشعر ، عنـدما أوصى بمراعاتها فى الكلام عن النسيب فى الشعر ، ويتابع نصائحه للمبتدئين من الشعراء بأن يبدأوا بتذوق الجمال الحسى ووصفه ، وأن يطلعوا على ما نظم الشعراء السابقين ، وذلك حتى تصقل مواهبهم ، ويتسع خيالهم ، وتقوى قلوبهم لمعانى العشق العظيم ، الذى يقول فيه جان جاك روسو « العشق العظيم كالرجل العظيم قليل فى الناس » (٣) .

وتحدث مصطفى عبد الرازق عن ضرورة النقد فى الشـعر ، وذلك ضرورى لخلق الشعر الجيد ، لأن فيه تمحيص واظهار لمواطن الضعف

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٣١٣ وارسطو كتاب الشعر ٨٨ .

(٢) أفلاطـون الجمهورية ٤٨ — ٥٤ — ايضـا دنيس هويسمان علم الجمـال ٢٠ .

(٣) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٤٩ .

وتزكيه لمواطن القوة ، وطالب بأن يبنى النقد على الموضـوعية والانصف وعلى لطف الملاحظة ، وأن يتجـه النقد للمعنى ، وأن يتولى النقـد أهل العلم كل فى اختصاصه ، فيقول « ويسرنا أن نجـد من شعرائنا أنفسهم ميلا الى تمحيص أشعارهم بل نراهم يتولون هذا التمحيص فيما بينهم ، نتمنى أن يكثر بيننا النقـاد وأن يرغب شبابنا فى النقد المبنى على النمط العلمى وعلى لطف الملاحظة والانصاف ، رغبتهم فى نظم القريض ، وان بلدنا لمحتاج الى النقاد بمقدار ما هو محتاج للشعراء ... أما بعد فاننا نكرر القول بأننا نغتبط باقبال شبابنا على النقد وقبولهم له غير أننا نريد أن نوجه أدباءنا الى ناحية المعانى فى ملاحظاتهم ليتركوا الجانب اللفظى للنحـاة واللغويين » (١) .

ولقد طالب بأن يتسع صدر العالم للنقد ولا يضيق به ، بل يسره النقد كما يسره الثناء ، فيقول « ان العالم المخلص يسره النقد كما يسره الثنـاء » (٢) .

والناقد فى رأيه هو الذى يجلو الجمال ويهـدى العيوب فى أمانة المنصف وموضوعية العالم ، فأوصى الناقد بأن يتلطف فى نقده ، وينبـه الى مواطن النقص والزلل ويهدى الى الكمال ، وذلك بأسلوب هادىء ، ويقول معقبا على نقد أحـد الأدباء لشارح ديوان البارودى ، معيبا عليه طريقته فى النقد ومشـيرا الى الطريقة الصحيحة فيقول « لا نبرئه من اللوم على ألفاظ شديدة نال بها شـارح ديوان البارودى وهو رجـل من أهل الجـد ، أخرج للناس باكورة نشاطه العلمى فحق علينا أن نشكر له سعيه تنشيطا للمجتهدين من علمائنا — وقليل ما هم — وأن نتلطف فى تنبيهه الى مواطن النقص والزلل وهدايته الى الكمال الذى هو أهـل

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٥٤ — ٣٥٧ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٢٨٢ .

لأن يصـــل اليـــه باخلاصه للعلم واجتهـــاده » وتلك هى الطريقة المثلى للنقـــد (١) •

٢ ــ اللغــة والأسلوب :

يرى الشيخ مصطفى ان اللغة اتفاقية ، بمعنى اتفاق الناس على الفاظ تدل على معانى معينه ، فيقول معقبا على الجدل الذى قام بخصوص اختيار لفظ عربى يؤدى معنى كلمة أجنبية « ان المعنى قد أخــذ لفظـــه فى استعمالاتنا وصقلته الألسن مائة عام ، فلا تفجعوا المعانى فى الفاظها اجـــركم الله » (٢) •

واللغه بهذا المعنى أداة للتفاهم بين الناس ، تم هى وســـيلة للرقى واستيعاب العلم والمدنية ، لذا لابد أن توجـــد تلك الأداة القادرة على فهم الحياة ومجاراة التطور والتقدم العلمى ، ويقول فى ذلك « اللغـــة هى الأداة اللازمة لكل ضرب من ضروب الرقى ، هى آلة التفاهم ، ولابد لنا من آلة صالحة لفهم الحيـــاة بالمعنى الحديث الشامل لجميع جهـــات المدنية الغربية الغالبة اليوم » (٣) •

واذا كان على اللغة أن تستوعب العلم ومنجزاته ، وتواكب التطور فى مختلف فروعه ، فانها تواجه مشكلة القديم والحديث ، ولكل أنصاره ، وبالنسبة للغة العربية فلقد رأى الشيخ مصطفى انها تتنوع الى نوعـــين لكل أنصاره ، فهناك لغة علمية جديدة لم تكسب بعد قوة اللغـــات الراقية الصالحة للعلم والحضارة ، وهناك لغة فصيحة قديمة لها فى نفوس الناس حرمة التقديس الدينى ولانها تحمل تذكار الماضى ــ وهناك من ينتصر للغة القديمة لأنها تراث دينى ــ وبعد هذا التوضيح للآراء المختلفة فى اللغـــة وتمسك كل فريق برأيه ، يوضح طرق الاصلاح فى اللغة ، والذى يبدأ فى

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٠٥ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٢٠٥ .
(٣) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٥٢ .

رأيه عن طريق تعديل كتابتها ، وذلك اختصارا للوقت والجهد الذى يبذل فى تعلمها ، وفضـلا عن ذلك تلك الصعوبة وطول المدة التى ينفقها الناس فى تحصيل العلوم اللفظية ، التى لا نجنى من ورائها فائدة تذكر ، فيقول موضحا أساس ذلك الاصـلاح « أساس كل اصلاح فى اللغة العربيـة هو تعديل رسمها الكتابى على وجه يضمن سـلامة صيغها من التحريف وتركيبها من اللحن ، عنـدنا حركات يدل عليهـا بالشكل كما يدل على الحركات الممدودة بحروف المد ، وقد انصرف الناس عن الشكل انصرافا لا يرجى أن يقبلوا بعد عليه ، لما تبين لهم من صعوبته فصرنا لا نقيم ألسنتنا بالألفاظ على وجوهها إلا بعد طـول الدرس والممارسـة لعلمى النحـو والصرف ، وهما بمكان من الطول وبعـد التناول على المحصـل ، ومن ذا الذى يريد لأمته أن ينفق من عمر شبابها سنين فى تحصيل العـلوم اللفظية التى ليست بذات نفع متصل بالحياة والتى يمكن الاستغناء فى تصحيح اللهجات بطريقة فى الرسم هينة »(١) .

فهو يريد أن يخلص اللغة من تلك التعقيدات التى يعسر على الناس استيعابها ، حتى تستطيع أن تساير حركة التطور ويتوفر لها أسـباب الرقى ، ثم هو لا يريد أن تكون اللغـة لغة قاموسية تستخرج معانيهـا من المعاجم ، ولا أن يستخدم الناس الغريب من الألفاظ . بل يريد لغـة سهلة بسيطة مما يستخدمها الناس فى حياتهم ، ولكن دون اخلال بقواعد اللغة ، ولقد رأى فى شعر البهاء زهير مثل لذلك الوضوح والبساطة دون خروج عن قواعد اللغة ، وكانت لغته نموذجا يجب أن يحتذى وأن يذاع بين الناس والكتاب فيقول موضحا تلك الميزة التى امتاز بها البهـاء زهير « أما البهاء زهير فجاء بمذهب جديد ، فجعل لغة الحيـاة الجارية فى بساطتها ومرونتها لغة للشعر بعد تطبيقها على قواعد الاعراب وتقويم ما فيها من اللحن جهد المستطاع ، وجرى على ذلك فيما كانت تجيش به

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٥٣ ٣٥٤ .

نفسه وتفيض به عواطفه من فنون الشعر » (١) •

أما عن الأسلوب فانه يرى أنه روح المـرء وخير تعبير عنه ، حتى اننا نستطيع أن نعرف الناس عن طريق أسلوبهم ، وكذلك نتعرف على أحوالهم وحالاتهم النفسية عن طريق أساليبهم ، فيقول « الأسـلوب البيانى هو روح المرء كما يقولون ، فالنفوس الغليظة أساليبها غليظة ، والنفوس اللطيفة أساليبها لطيفة ، واذا كان الرجل منقبض الصـدر ، عابس الوجه ، ثقيل الظل ، وجدت أثر ذلك فى أسلوبه ، بل يخيل لى أنك تعرف من أسلوب الرجل ان كان غليظا أو نحيفا ، معمما أم مطربشا ، صائما أم مفطرا ، متزوجا أم أعزب » (٢) •

واذا كان الأسلوب هو روح المرء فعلى أى نحـو يكون أسلوبنا ؟ ويجيب الشيخ مصطفى أنه يجب أن يكون أسلوبنا لطيفا عذبا ، محببا الى النفس ، وليس معنى ذلك خلوه من العلم والفلسفة ، ولكنه خاليـا من غلظ أسلوب العلم والفلسفة وجفافه الذى يكد الذهن ويرهق العقل ، ويقول معبرا عن ذلك « قد تكون الأساليب مملوءة فلسفه وعلما ولكنها خالية من غلظ الفلسفة والعلم الذى يركب على نفسك فيتصبب له عرقك وتتجعد منه جبهتك ويجلب عليك النوم أخيرا من كل جانب » (٣) •

ان هذا الأسلوب الواضح البسـيط هو قمة البلاغة وقمة الحسن البيانى ؛ وهو ما تدركه العقول وتستلذه النفوس ، وهذا يتفق مع قول ابن الأثير فى « المثل السائر » حـين يقول « واذا ثبت أن الفصيح من الألفاظ هو الظاهر البين ، وانما كان ظاهرا بينا لأنـه مألوف الاستعمال وانما كان مألوف الاستعمال لمكان حسنه وحسن مدركه بالسمع ، انمـا

---

(١) مصطفى عبد الرازق البهـاء زهـير ٢٥ وايضـا ارسـطو كتاب الشعر ١٢٢ .

(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٦٢ .

(٣) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٦٢ .

هو اللفظ لأنه صوت يأتلف من مخـارج الحروف ، فما استلذه السـمع منه فهو الحسن ، وما كرهه فهو القبح ، والحسن هو الموصوف بالفصاحة والقبح غير موصوف بفصاحة لانه ضدها لمكان قبحه (١) .

٣ ـ المعنى واللفظ « الصورة والمضمون » :

من المشكلات التى تواجه الأدب هى مشكلة المعنى واللفظ ، ففريق يهتم بالمعنى ويهمل اللفظ ، وفريق يتمسك باللفظ وزينته ويهمل المعنى ، ولقد عرض الشيخ مصطفى لهذه المشكلة ، وأوصى بالالتزام بالقواعـد الفنية وزينته ويهمل المعنى ، ولقد عرض الشيخ مصطفى لهذه المشكلة ، وأوصى بالالتزام بالقواعد الفنية الصحيحة فى الكتابة ، وطالب بأن يكون الاهتمام بالمعنى فى الكتابة دون الاهتمام باللفظ والنطق به ، وعاب على جماعة اللفظين تعلقهم باللفظ فى الكتابة ، والبلاغة فى رأيه ليست فى اللفظ بقدر ما هى متمثلة فى المعنى ،وكتب يقول » هذا العيب الكتابى شـائع عند قومنا حتى لتجـد بين الأذكياء منا من يرى قيمـة البلاغة كلها فى اختياره الألفاظ ، وكنت أنا فى حداثتى بالرغم منى أجرى فى هذا التيـار انظر الى ديباجة القول قبل أن أمتحن معانيه ، ثم ارتقى ذوقى الانشائى قليلا ، فصرت أشعر بأن الجمـال اللفظى ليس إلا زينة لحسن المعانى ، وأوضح عيـوب تلك الطريقة التى تهتم باللفظ دون المعنى ، فان ذلك يوقع الكاتب فى أخطاء فيجعله يجرى وراء المحسنات اللفظية ويكثر من الصور البيانية فيأتى كلامه غريبا مستهجنا ، ويغمض المعنى ، ويخلو من حرارة العاطفة وصدق الاحساس وحسن البيان (٢) .

ولقد أضرت تلك الطريقة بنهضة الأدب العربى قديما وحديثا ، ولقد أكد ذلك عنـد حديثه عن الشـعر المنثور فيقول « وتعلق أهل البلاغـة بالمحاسن الراجعة الى اللفظ قد أضر بنهضة الأدب العربى الأولى ونخشى

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٥١ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٩٦ .

أن يضر بها اليـوم مرة أخـرى اذا ظل شبابنا يكتبون على ذلك النمط الذى يسمونه شعرا منثورا ، وهو خلو من حرارة العواطف التى تتماوج فى الأبيات على توقيع النغم الشعرى تماوجا يحـدث أريحية وطـربا يعرفها من يطربون للشعر ، وخلوا أيضا من حسن البيـان الذى يجلى الحقائق ويكشف أسرارها كما يرسم المصور تفاصيل ما يصوره حتى يكاد يرسم تمشى الأرواح فى الأجســاد » (١) .

ويرى أن الطريقة المثلى هى التى تمثلت فى طريقة البهـاء زهـير التى تعتبر نموذجا تتوافر فيـه القواعد الفنية والبلاغة الحقيقية التى تهتم بالمعنى ولا تجرى وراء اللفظ ولكن لا تهمله ، ولا تسـاير اللغـة العامية ، ولا تلتزم بالغريب من اللغة الفصحى ، بل هى وسط بين ذلك ، فنراه يقـول فى مقـدمة كتابه عن البهـاء زهير واصفا طريقته وأسلوبه « فهو موجز لا يحب الاطناب ، وهو مقتصد فى زينة اللفظ ، وهـو نزاع الى الوضوح والبساطة فلا يرضى كثرة المجاز والكتابة ، وهو عـدو على نظم فى البيان تقتل مواهب الابداع والتفنن ، ثم هو لا يريد أن يستبدل الناس بكلامهم العادى كلام الجاهلية الأولى اذا نظموا الشعر أو كتبوا ، وانما يريد أن يصحح الشـعراء والكتاب أساليبهم على مقتضى القواعد العربية ، حتى لا تنقطع الصلة بين ماضيهم وحاضرهم ، من غير أن يجنى ذلك على سهولة التفاهم ولا على حركة اللغة ونموها وحياتها » (٢) .

والواقع أن هذه طريقة مثلى فى الكتابة الأدبية فهى تجمع بين قوة المعنى ودقته ، وجمـال التعبير والألفاظ التى تعبر عنـه ، فاللفظ ليس مستهجنا على اطلاقه ، لأن انعدام الشكل وعدم تحديده يقضى على قوة التعبير ، لأن المعنى فى الأدب ينقل الى الغير عن طريق (شكل) الألفاظ ووصفها ، وليس عن طريق الألفاظ ذاتها ، ولا يمكن الوصـول الى المعنى الدقيق إلا عن طريق الأسلوب الدقيق ، ولذلك فلا يوجد كاتب له شـأنه

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٤٦ .
(٢) مصطفى عبد الرازق البهاء زهير المقدمة ، ص ٢٤ وما بعدها .

يعمد الى غموض التركيب فى ألفاظه عن قصد ، ولا يفعـل ذلك إلا من يقلد البدع الأدبيـة (١) •

وخلاصة القول أن الشيخ مصطفى يؤثر المعنى ويقدمه على اللفظ ، ولكن دون اهمـال لحسن البيان وجمال الألفاظ ، وان حسن البيان هـو ما يجمع بين المعنى واللفظ ، وان الجمـال يكمن فى الفكرة وفى طريقـة التعبير ، وفن القـول والكتابة عنـده ، تركيب من العاطفـة أو المعنى والصورة ، تركيب نستطيع أن نقول بصدده ان العاطفة أو المعنى بدون صورة عمياء ، والصورة بدون عاطفة أو معنى فارغة ، ويتضح ذلك من قوله « ان هناك لجانبا للجمال أبعد غورا ، وأنفذ سحرا ، وأقوى أثرا ، هو جمال الفكرة أو العاطفة التى يراد بالبيان العبارة عنها ، وينبغى أن لا يستجاد قول من قائل حتى يكون حسنا فى معناه ، من قبل أن ينظـر الى جمـال اللفظ وحسن دلالته ، المجيد فى القول والكتابه هو من يلطف فهمـه للحقائق وشـعوه بالعواطف ثم يحسن الدلالة على ما فهمه عقله وما شعر به فؤاده » (٢) •

ولقد رأى أن الحركة الأدبية الحديثة قد اهتمت بالمعنى على خلاف حال الأدب قديما فى اهتمامه بالألفاظ وما يأتى به من صور واستعارات وتشبيهات ، ولكن عبقريته فيما يقدمه من معانى وعواطف يحسن التعبير عنها ، فيقول « اذا كان الناس اختلفوا قديما فى أن جمـال البيـان راجع الى اللفظ أو المعنى وظنوا فى زمن من الأزمان أن الكاتب والشاعر صانعان تتجلى مهارتهما فى الألفاظ وما اليهـا من الصور التى تلبسها المعـانى اسـتعارة وتشـبيها ، اذا كان كل ذلك فى ما مضى ، فقـد ذهبت دولة الألفـاظ اليـوم وقامـت على آثارها دولـة المعـانى ، دولـة الفكر والشـعور » (٣) •

---

(١) جورج سانتيانا الاحساس بالجمال ترجمة مصطفى بدوى ١٦٦ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٥٢ .
(٣) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٤٦ .

ومن هذا يتضح بعض آراء الشيخ مصطفى فى تلك الموضوعات الأدبية والتى هى فن من الفنون ، وهذه الآراء تهدف الى تكوين فن متكامل يلقى تأثيره فى نفس الانسان ، ويؤدى دوره فى خدمة الانسانية ، وهى بمثابة توجيهات لازمة للفنان يجب مراعاتها والعمل بمقتضى قواعدها ، حتى يأتى فنه أصيلا ذو أثر وهدف يحققه ، وترقى بذوق المتذوق للفن ، فالفن كما سبق القول فى رأيه يساعد على تربية الاحساس والتذوق فى الانسان ، فلم يكن غريبا اهتمامه بالفن وفروعه المختلفة ، وتوضيحه لمكونات الفن الصحيح وجعله فى خدمة قضايا الانسان ، وأن يكون تعبيرا صادقا عن عواطفه وفكره وشعوره ومشاكله ، وألا يغرق الفنان فىذاتيته ، وألا يسبح فىبحور الخيال ، وألا يجرى وراء الألفاظ والمحسنات اللفظية ، بل يأتى فنه نابضا حيا بحرارة عاطفة الانسان وفكره وشعوره •

رابعا ـ الجمال :

قديما رأى أفلاطون أن الجمال متفاوت الدرجات ، وأشكال الجمال هى الجمال الحسى فالأخلاقى ، فالعقلى ، فالمطلق (١) ، والشيخ مصطفى يرى كذلك أن الجمال كمال متفاوت الدرجات والمراتب ، يعلو بعضها فوق بعض ، وأعلاها الجمال المطلق الذى يعجز الناس عن أدراكه ، ويعبر عن ذلك بقوله « الجمال لا ينتهى الى حد ، لأنه كمال ، متفاوت مراتبه الى درجة الكمال المطلق ، التى يعجز الناس تصورها ويصعقهم تجليها » (٢) •

وأول مراتب الجمال ، هو الجمال الحسى الذى يثير فى نفوسنا معانى الجمال الروحية ، ولقد اقترن الجانب الحسى والجانب الروحى فى الجمال عند الشيخ مصطفى ، وامتزجت المادة والروح ، فهو لم ينكر الجانب

(١) دنيس هويسمان علم الجمال ١٦ •
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٥٠ •

الحسى ولكنه لم يقتصر عليه ، فان جمال الشكل انما هو طريق لجمـال المضمون ، وأنه يثير فى نفوسنا المعـانى الروحية للجمال ـــ ونراه فى وصفه للجمال الحسى ، يذكر المعانى الروحية التى تقع على النفس ، من ذلك الجمال ، فيقول فى وصف جمال امرأة وما يثيره ذلك الجمـال من معانى روحية ، فيقول « ويكلل شعرها الموفور النامى المتموج بتجاعيد سـمراء لطيفة هامة ممتلئة مرتفعة الجبهـة نقية الناحية ، ولهـا عينان هادئتان ترسلان نظرهما رويدا وترسلانه بعيدا فيهما ملامح ذكاء ليس هو تلك السرعة الفكرية التى تبدو فى العيون شعاعا لماعا ، ولكنه معنى من معانى التفوق الروحى ، ذو نفخة من نفخـات الملأ الأعلى ، نظرات خلابة تبعث فى النفس أنواعا من الخشوع والمهابة والرحمة جميعا على ما ترى فى صورة المسيح بن مريم وصورة أمه العذراء » (١) ، فالجمال بذلك المعنى ليس جمال الشكل ، بل هو جمـال الشكل والمضمون معا ، فجمال الشكل وحده يكون خاليا من حرارة القلوب وما تحدثه فى النفوس من لذة روحيـة .

ثم ترتقى مراتب الجمـال من الجمال الحسى والجمـال الروحى الى الجمـال العقلى ، ويتمثل هذا الجانب من الجمال فى جمال الفكرة ، ففى مقال للشيخ مصطفى بعنوان البيان والجمال يبرز الجانب العقلى للجمال وهو جمـال الأفكار ، ويقول « ان هناك لجانبا من الجمـال أبعد غورا ، وأنفذ سحرا ، وأقوى أثرا ، هو جمـال الفكرة أو العاطفـة التى يراد بالبيـان العبارة عنها » (٢) .

وهكذا تتفاوت درجات الجمـال : الى أن تصل الى الكمال المطلق ، وهى مرتبة على حد تعبيره « يعجز الناس تصورها ويصعقهم تجليها » .

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٢١٦ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ١٦١ .

١ ـ الجمـال تناسب :

يرى الشيخ مصطفى أن الجمـال تناسب وتناسق بين الأجـزاء ، فالجسم الجميل هو ما تتناسب أعضاؤه ، والشكل الجميل ما يتوافر فيـه التناسق ، لذا فهو يرفض أن تقلد المرأة المصرية زميلتها الأوربية تقليدا أعمى فى الزى وغير ذلك ، مما هـو ليس جميـلا حتى عند الأوربيين ، وينصحها بعدم آخـذ كل ما هو أوربى على علاته ، مما لا يحقق التناسق ويبعد عن الجمـال (١) ٠

وكذلك الجمال تناسب مع ما يقضى به الذوق العام ، واتفـاق مع الحشـمة والوقار ، ولا يتفق مع التبرج والكشف عن أجـزاء الجسم ، أو التغالى فى الزينة ، وما الى ذلك مما يتنـافر مع الذوق الجمـالى ، ومع التقاليد والدين ، ونراه ينقد المرأة المصرية لوقوعها فى مثل هـذه الأخطاء فيقول « ومن الغريب أن بعض سيداتنا يسدلن النقـاب على وجوه أذن الله أن تكشف ، يبدين ما حقه أن يستر من أبدانهن ومواضع زينتهن ، وفى ذلك من المخالفة للدين والكمال ، بمقدار ما فيه من المنافرة لذوق الجمـال » (٢) ٠

٢ ـ أثر الجمـال :

لقد سبق الاشارة الى رأى الشـيخ مصطفى الى تأثير الجمـال الحسى على النفس وما يثيره فيهـا من معانى روحية ، وعواطف تسمو بالنفس واحساس باللذة والسـعادة الروحية التى يثـيرها الاحسـاس بالجمال ، كذلك الجمال الأخلاقى وغرسه فى نفوس الناس وفهمه ، وهذا أساس التربية الأخلاقية عند الشيخ مصطفى ٠

ولا يقتصر أثر الجمال على مجرد الاحساس ، بل هو مصدر للالهام ، ومهبط لوحى الأفكار ، ومجال للتأمل ، ومنبع للفكر والأدب ، ولقـد رأى

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٤١٢ ٠
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٩٤ ٠

الشيخ مصطفى فى جمال الطبيعة مثار لكل هـذه المعـانى ، ففى وصفه لحديقة ليكسمبور وأثر ذلك الجمال وتذوقه ، يقـول « وبين حنايا هـذه الظلال نجـد فنانا عاكفا على تصـويره ، ومفكرا مستغرقا فى تفكيره ، وشاعرا يستنزل الوحى من سماء الشعر ، وعاشقا يبث غرامه ، وغزلا يستمتع بالغـزل » (١) •

كذلك جمال الطبيعة مصدر للراحة النفسية ، ومصدر للتعبير عما فى النفس ، فان هدوء الطبيعة وجمالها ، تجـد فيه النفس الحزينة سـلوة وعزاء ، وتجد فيه النفس السعيدة مزيدا من السعادة والهناء ، ويقول فى وصف بركة ليكسمبور « لمحت فى بعض النواحى فتاة بيدها خطـاب تقرؤه فيشرق وجهها بالسرور وتبتسم ، وتلقاءها فتاة تكتب فى صحيفة ، وتتلو ما تكتبه فتنحـدر عبراتهـا ، وكم يأوى الى تلك البركة من باك ومبتسم ، ليس ماء ذلك الذى يجرى فى بركة ليكسمبور ، ولكنه ذوب ابتسـامات ودمـوع » (٢) •

وفى موضع آخر يبين أثر الاحساس بجمال الطبيعة والاستمتاع به وتذوقه ، وتحدث عن وقع ذلك الجمـال فى النفس ، وأنه يريح النفس من همومها وكدرها ، ويشعرها بالراحـة والسكينة ، ويغمرها بالسرور ويبعدها عن الحزن — وقد يجـد الانسان نفسـه بعد العمـل المرهق أو التعب الشاق ، أو التفكير المضنى ، أو الاحسـاس بالضيق ، حاجته للراحة وأن يسرى عن نفسه ، وأن يزيح عنها ركام تلك الهموم ، فيجـد أمامه الطبيعة وجمالها خـير عون له ، لتعيد للجسم نشاطه ، وللعقـل قوته ، وللنفس راحتها وسكينتها ،ويحـدثنا الشـيخ مصطفى عن أثر الرحلات والستمتاع بجمال الطبيعة وأثره فى النفس ، فيقول ركبت زورقا فى النيل بعد غروب الشمس والبدر وضاح الجبين تنعكس أنواره على صفحة المـاء المتماوجة بخطرات النسيم واتحدرت فى النهر الكبير يغنينا

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٤٠١ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٤٠١ .

النوتى بصوت كل جماله آنه صيحات عالية تذهب بين السماء والماء رنانة ثم تكون صدى يردده ذلك الأفق الهادىء الرهيب ، وكأنى اكتشفت فى مصر موضعا يصادف فيه المرء جمالا وسكونا يطيب بهما خيـال الشاعر وقلب المحب وكان يؤلمنى أن تخلو مصر حتى من هذا » (١) .

وجمال الطبيعة لا يريح النفس من همومهـا ويشـعرها بالراحـة فحسب ، بل انه ينقلهـا الى عالم علوى ، حيث تنعم بلحظـات الصفاء والنقاء ، ويبعدها عن شوائب المادة وشواغل الحس ، ويقول الشـيخ مصطفى معبرا عن ذلك « ولوددت أنى خلـوت الى نفسى سـاعة عنـد الشاطىء أرمى ببصرى فى جوانب الأفق الصافى الزرقة المطرزة بالغمام الجميل ، فأنعم بالخيال والأحلام بعيدا عن الحقيقة المبتذلة للعالم المادى بما فيه من جماد وشبه جماد » (٢) .

ومن هذا كله يتبين لنا مدى الأهمية التى يعلقها الشيخ مصطفى على المناظر الطبيعية وجمالها وقوة تأثيرها على النفس ، وهذا لا يتوفر إلا لكل متذوق للجمـال ، عارف بقيمته ، ومدرك أثره ، والواقـع أن المنظـر الطبيعى غير محدد ، ففيه دائما تقريبا ما يكفى من التنـوع لاعطاء العين حرية كبرى فى انتقاء عناصره وتأكيدها وتنسيقها فى مجموعات معينة ، وفى الوقت عينه ، انما هو غزيريا لايحـاءات وله قدرة كبيرة على اثارة الانفعالات الغامضة ، فلكى ترى المنظر الطبيعى يتحتم علينا أن نألفـه نحن ، ولكى نحبه ينبغى أن نضفى عليه مدلولا خلقيا ، وهذا هو السبب فى أن النـاس غـير المثقفين أو ذوى الـذوق المنحط لا يعبرون بيئتهم أى اهتمام (٣) ، ولقد لفت الشيخ مصطفى أنظار الناس الى تأمل المناظر الطبيعية وتذوق جمالها ، ودعى الناس الى تقدير ما فى بيئتهم من مناظر طبيعية وعدم اهمالها ، ولقد وضح ذلك الاهتمـام عند حديثه عن حبه

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٢٢٦ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٢٠١ .
(٣) جورج سانتيانا الاحساس بالجمال ١٥٦ .

للزهور وعن اهمال الناس فى مصر لها فقال « تحركت فى نفسى حسرة على تلك الرياحين التى تبتسم عندنا للناس فلا يلحظها أحد ، ولو كانت فى غـير مصر ، لوضعت فوق الصدور زينة للغانيات ، وحليت بهـا المنازل وتهادى بها المحبون » (١) .

لقد عاب الشيخ مصطفى على المجتمع المصرى عدم اقبـاله على صور الجمال وأشكاله المختلفه ، بل وقسوته فى تحـريم مجرد الحديث عنه ، فنراه وهو يصف احدى الحفلات يحجم عن الحديث عن جمـال المرأة وحسن ذوقهـا ، وذلك لموقف المجتمع المتزمت الـذى لا يستسيغ الجمال ولا الحديث عنه ، فيقول « هممت بعد هـذا بأن أصف ما كان يزين المجتمع من جمـال السيدات وحسن الذوق فى اختيـارهن ثيابهن اللطيفة ، ثم ذكرت أننا فى مصر حيث لا يسوغ لعين أن ترى محاسن المرأة ولا يسوغ للسـان ذكرها » ويقارن بين موقف ذلك المجتمع الذى يصد عن تذوق الجمـال وبين المجتمع الأوربى الذى يهتم بأشكال الجمال المختلفة متحدثا عن ضرورة متابعة حركات الرقى فى الذوق ، وما يكشفه من أسرار الجمال ، مؤكدا رأيه فى أن الجمال لازم للانسانية لا يمكنها الاستغناء عنه ، ويقارن بين حفلات الأوربيين وما يظهر فيها من معارض الجمال والزينة وبين ما يحدث فى حفلاتنا ، منبها الى أثر تلك الحفـلات والمعارض فى تنبيه الأذواق ، فيقول « للأوربيين حفـلات فى نواديهـم وملاهيهم ، وبيوتهم ، تكون معارض جمال تظهر فيهـا حركات الرقى فى الذوق ، فترى الناس على علم بما يتجدد من أساليب التجمل وما تكتشف الأذواق من أسرار الجمال ، أما نحن فقلما تسنح فرصة تمكننا من تعرف جهد الجمـال والذوق فى قومنا ... واذا قالوا ان الزمان زمان حرب فما نظن الانسانية مستغنية عن الجمـال فى حرب ولا سلم » (٢) .

فالجمال فى رأيه حاجة من حاجات الطبيعة الانسانية ، وعلى الانسان

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٢٠١ .
(٢) مصطفى عبد الرازق آثار ٣٤٤ .

أن يقـوم باشـباع تلك الحـاجة الطبيعية ، حتى تستكمل طبيعته ، وتكتمل حاجاته ، لذا كانت دعوته للانسان بالتذوق والاستمتاع بصـور الجمال المختلفة ، مبينا أثر ذلك التذوق والاستمتاع وفائدته .

٣ ـ « الفنون الجميلة والفنون التطبيقية » :

لقد كان الشيخ مصطفى متذوقا للجمال بكافة صوره ، ومعبرا خير تعبير عن ذلك الاحساس والتذوق للجمال ، ولقد فرق بين الفنون الجميلة والفنون التطبيقية النفعية ، ففى وصفه لكل من معرض باريس ومعرض لندرة يقول « أما معرض ومبلى فهو فى طرف المدينة لم يراع فيه جمال الموقع ، كما روعى فيه اتساعه وصلاحيته لما أعد له ، وقـد أعد الأجزاء الامبراطورية العظيمة تعـرض فيـه مناظـرها ومواصلاتها وحيواناتها وحاصلاتها وصناعاتها ، مهدت فيه الأسباب للتنقل بين أنحائه وتعـرف كل ما يحتاج الى تعرفه فى يسر وراحة مهما تزاحم الناس وكثر عديدهم ، أظهر ما فى معرض باريس حسن الذوق ومظهر للجمـال ، أما معـرض لندره ففخم يجمع الى مظهر العظمة أغراض اقتصادية مادية » (١) .

وليس معنى هذه التفرقة أنه يفصل بين الفن والحيـاة ، بل انه يرى أن فى الفن دائما شيئا من الحياة ، ولقد سبق القول بايمانه بالصلة بين الفن والحيـاة وليس تطابقا تاما ، ولكن هنـاك وشائج قوية تربط بين الفن والحياة ، ولقد قال بالفن الهادف ، وربط بين الذاتية والموضوعية فى الفن ، ولم يسترسل فى تأملات فلسفية مجردة ، ولم يؤمن بالنزعات الجمالية الاطلاقية أو الايقانيه ، بل آمن بوجود نماذج نفسية جمـالية مختلفة ، والناس يختلفون فى تذوقهم الجمالى ، والمتعة الفنية ليسـت

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٤٣١ وانظر كتاب مشكلة الفن للدكتور زكريا ابراهيم الفصل السابع الفن والحياة وعرضه لراى جون ديوى الذى لا يفصل الفن عن الصناعة وعرضه للرأى الذى يرى أن الفن ليس انفصالا مطلقا عن الحياة وليس ارتباطا مطلقا بها ثم عرضه لنظرية لا لو التى توفق بين جميع الاراء ص ٢٠٦ ـ ٢٢٨ .

واحدة عند جميع الناس ، وليس هنــاك قانون مشترك لهم فى تذوقهم الفنى ، بل الناس مختلفون فى تذوقهم ، ففى مقالة بين باريس ولندرة ، يصف جمال معرض باريس ومعرض لندرة يقول فى ختام مقالة جمــلة تؤكد هذا المعنى ، متمثلا ببيت من الشعر تاركا باب الاختيار مفتوحا كل حسب تذوقه وما يفضله ويؤثره فيقــول « وانى على شغفى بالراحــة الى باريس •

نصــحتك علمــا بالهـــوى والـــذى أرى
مخـــالفتى فاختر لنفســـك ما يحـــلو (١)

فليس يعيب الفنون التطبيقية تحقيق أغراض اقتصـــادية ومادية ، ولا ينقص حظها من الجمال ، وكذلك فليس النافع جميلا بالضرورة •

وبعد ــ فان هذه النظرة الفنية تدلنا على استقامة حياة الشـــيخ مصطفى عبد الرازق من جميع الوجوه ، والتى لم تكن مألوفة لدى مشايخ المسلمين عامة والأزهريين بصفة خاصة ، ولقد وضعت هذه النظرة الضيقة الحواجز بين الدين والفن ، وجعلتهم يصرون على الاعتقاد بأن الاسلام يعارض الفن ، ولقد أوضح الامام محمد عبده خطأ ذلك الاعتقاد النابع من ســـوء الفهم لحقيقتهما ، وتابعـــه فى ذلك الفهم الصحيح تلميـــذه الشيخ مصطفى ، ولقد كان الشيخ مصطفى بروحه الفنية ، وبالرغم من تحفظـــه وتعقله وحكمته الطبيعية ، يتوق دائمـــا الى أن يوسع تجاربه وخبرته فى الحياة ، مزخرفا حبه للجمـــال وتفسيره (٢) •

ومما سبق عرضه من آراء الشيخ مصطفى يتبين مدى ايمانه بالفن ، وأنه جانب من الجوانب الانسانية ودعوته بتكامل تلك الجوانب لـــدى الانسان ، ولم يعوقه عن تلك الدعـــوة الاعتقاد الخاطىء بمعارضة الدين

---

(١) مصطفى عبد الرازق آثار ٤٣١ .

(٢) Osman Amin : Lights contemparary p. 126.

للفن ، ولم يطغى شعوره الدينى على شعوره الانسانى وروحه الفنية ، ولم ير فى الدين معارضة لذلك الجانب الاحساسى والتعبيرى فى الانسان ، بل لقد رأى فى الفن والجمال جانب تطهيرى للنفس الانسانية ، يسمو بها الانسان على مستوى الحس ومشاغله ومبرزا المعانى الروحية للجمال ، والجمال يرقى بالنفس بين درجاته المتفاوته حتى يصل بها الى الكمال ، وتظل النفس تعرج بين مدارج الكمال حتى تبلغ الكمال المطلق ، وهيهات أن تدركه ، لأنه مرتبة يعجز الناس عن تصورها فضـــلا من بلوغها •

لقد كانت دعوته للانســـان بأن يحيـــا حياة كاملة — وأن نتكامل جوانبه الانسانية ، فيشبع حسه مما يحـــدق به ويملأ نفسه من تصـــور ما تقع عليـــه الحواس من صـــور الجمـــال العديدة وأن يكون له روح فنية تتذوق الفن وتعشق الجمـــال وتتعلق به ، وهذه الروح قادرة على ايقاظ النفوس والسمو بها وتربية الذوق والاحساس لديها ، ولسنا فى حاجة الى الدليل لاثبات لزوم الفن والجمـــال للانسانية فى رأيه ، فان هذه الحقيقة هى لحمـــة أفكاره الفنية والجمالية وسداها — ومحور كل آرائه ، بل هى الحقيقة التى تواجهنا من أول وهلة عند النظر الى آرائه ودراســـتها •

خاتمـــة

من خــلال عرضنا للجوانب المتعـددة فى فكر الشــيخ مصطفى ، نستطيع أن نتلمس قيمة هذا الفكر الشامخ وملامحه ، وهــو فكر خالد سيظل عطاؤه متجددا على مر الأيام ، بما يحويه من قيم وما يتضمنه من مثل عليا ، وســوف يبقى هذا الفكر الشامخ ، طالما وجــدت نفوس متعطشة الى الخير والحق والجمال ، فهى بلا شك سوف تجد فى ثنايا هدا الفكر هذه القيم الخالدة •

وأهم مايحويه فكر الشيخ مصطفى ، هو أنه زاخر بالمعانى الانسانية واهتمامه بالانسان ، ففيه نجــد دعوة الى تزكية الوعى وتزكيه الضمير ، وتوضيح سبل الخير وهداية السلوك وارشاده ، واعلاء من شأن القيم الروحيه والمثل العليا ، ومطالبة الانســان أن ينشد تلك القيم والمثل ويحيا من أجلها ، وألا تكون حياته مجــرد تعبير عن ذاته ، بل انكارا لذاته وفى ســبيل الغير ، وأن يحس بالواجب نحو الآخرين ، وأن يحسن اليهم ويضحى من أجلهم ، فهو ليس مجرد موجود وســط مجتمع ، بل ان سعادة الفرد ليست بمنأى عن سعادة المجتمع ، بل نتحقق من خــلاله وبه ومعــه •

لذا فان الوحدة الانسانية لديه تعنى وحدة روحيــة ، فمعنى أن الانسان حيوان اجتماعى ، أنه يرنو الى الوحــدة الروحية مع ســائر أفراد الجنس الانسانى فى نوع من المشــاركة الروحية ، وليس يراعى فيها الجانب المكانى والزمانى ، وانما هى وحدة القلب والشعور وحــدة الأمل والألم ، والانسان يهـدف الى مثل أعلى يتحقق فى هذه الوحــدة الشعورية ، وحدة الضمير ووحدة الوعى ، ويشارك الأفراد بقلبه وذهنه وارادته ، من أجــل هـا يصدع لقوانين وقواعد يسنها هو بنفســه ، بحكم حياته ومحبته للغير وتعاطفه معهم ، وليست هذه القوانين مفروضة عليه من خارج ذاته ، انما هى مفروضة من ذاته ويسنها لذاته ، فالانسان

بذلك المعنى ، يكون كائنا أخلاقيا ، ينبع القانون الأخلاقى من ذاته ولا يأتيه من الخارج ، فيخضع له خضوعا ، أو يلزمه الزاما ، بل هو مفطور فى نفسه ، يطيعه من غير قهر أو خوف ، وبهذا المفهوم يستطيع الانسان أن يميز فى تصرفاته بين ما هو لائق وما هو غير لائق ، بقلبه وشعوره وتصوره للواجب •

أيضا من أهم ملامح هذا الفكر تأكيد حرية الارادة الانسانية ، فالمثل الأعلى فى نظر الشيخ مصطفى هو تأكيد الذات وحريتها ، وعن طريق ايمان الانسان بحريته عليه أن يسعى لتحقيق ذاته عن طريق العمل المتواصل ، والبعد عن التواكل والاسترخاء ، وضرورة ضبط النفس ومغالبة كل العوائق ، وأن يمتلىء بالحماسة والرغبة فى العمل الخلاق ، وأن ينصرف الانسان عن ممارسة الزهد واعتزال الناس ، وأن يأخذ فى تذوق الحياة العاملة ، وذلك لأن الايمان بالحرية يثرى النشاط الانسانى ، وخير دافع للانسان الى العمل وعمارة الكون •

واذا كانت فلسفة الشيخ مصطفى ترمى الى تأكيد الذات وحريتها ، فهى ليست بمعزل عن الآخرين ، بل تحيا فى تعاون مع الذوات الحرة ، تنشد الخير عن طواعيه وخضوع للمثل الأعلى •

والاسلام فى رأيه يناصر الحرية ويدعم العدالة ويوطد المحبة بين البشر ، وليست غاية الدين محصورة فى جعل الفرد فى عزلة عن الناس ، يغرق فى بحور العبادة والتبتل ، بل يعد الفرد لكى يكون مواطنا صالحا ، مشاركا فى خدمة الآخرين ومساهما فى تكوين المجتمع الصالح ، وما أحوج الأمم أن يشيع فى نفوس أبنائها الشعور بالحرية والايمان بها ، وأن يفهموا الدين فهما صحيحا بعيدا عن المغالاة والسطحية ، وأن يدفعهم ذلك لنهضة أممهم واقالة عثرتها ، والمشاركة فى صنع الحضارة الانسانية ، وما أشد حاجتنا اليوم الى مثل هذا الشعور وذلك الفهم ، حتى نستطيع أن نجتاز ما نحن فيه من تخلف وفرقة وانقسام •

والانسان في مفهوم الشيخ مصطفى يأنس الى أخيه الانسان ، ويحيا معه ويتواصل معه ، وليس التواصل ينفي معنى المنافسة والحوار ، ولكن في محبه واتئناس ، ولقد افاض في ذكر الحب ومعناه الحقيقي المبرأ عن الهوى والغرض ، والمنزه عن المنفعة ، مبينا أنه يعني العطاء والبذل والتضحية ، وأوضح ضرورته كأساس لهذا الوجود وأساس لقيام العلاقات الانسانية .

والانسان في رأى الشيخ مصطفى له كرامته وله ما يميزه عن الحيوان ، ويقر تلك الكرامة بلا مواربة ، والتي تبدو في تأكيده أن يكون للانسان في حياته هدف عزيز يسعى الى تحقيقه ، ولابد أن يكون لحياته معنى ، فالانسان ليس مجرد وسيلة وجود على هذه الأرض ، أو كالترس في الآلة ، أو ينظر اليه على أنه قطعة غيار ، بل يرى الشيخ مصطفى أنه لابد أن يكون هناك نوع من الغائية ، بمعنى ألا يوجد الانسان على الأرض دون قصد مرسوم ودون سبب معقول وغاية مشروعة جميلة ، ومعنى هذا أن الانسان قائم في الوجود وأمامه مستقبل حافل بالمعنى ، وكائنية وجوده ومعناه مرتبطان ارتباطا وثيقا .

ومعنى أن يكون للانسان هدف في حياته يحققه ، فلابد أن يرتبط فكره بالعمل ، بحيث لا يكون من المتفيهقين أصحاب النظرات التأملية المجردة لذا فقد دعى الانسان أن يتوجه الى العمل مباشرة ، وأن يؤثره على ذلك النظر المجرد .

ولكي يقوم الانسان بدوره في الحياة ، فلابد من اعداد الفرد وتربيته تربية صالحة ، ولقد قدم لنا الشيخ مصطفى أسلوبا فريدا في التربية يقوم على حسن فهمه للطبيعة البشرية ، وعلى أسس نفسية ، تبتغي ارضاء جوانب النفس البشرية ، وهدايته نحو السلوك الأخلاقي الرفيع .

وجملة القول ، لقد أوضح الشيخ مصطفى بفكره وسلوكه صورة

مثلى للانسان ، وهى تحقق للانسان انسانيته ، وترسم لـه سلوكه ، وتمده بطاقة روحية هائلة ، وتهديه بعقيدة ثابتة ، وتؤكد كرامته وحريته ، وتؤهله للعمل الجـاد المثمر ، وتوضح علاقته بالآخرين من بنى جنسه ، وتكون مجتمع الحب والأخـاء ، وتنمى ملكات الابداع والخلق ، وتتيح له تنمية مواهبه واستعداداته ، وهى صورة صالحة لكل زمان ومكان ، والحديث عنها لا ينقطع ، ولـكن يبقى أن تلقى رسـالته العظيمة من نفوسنا كل محبة وتقدير ، وأن ترسخ فى نفوسنا معانيها السامية ، وأن تلقى استجابة فى سلوكنا وعملنا .

ونستطيع أن تستشف منخلال فكرة رأيه فى الصلة بين الفلسـفة والحياة ، اذ كان صاحب رسالة هى التوفيق بين الفلسفة والحياة ، بحيث يخلص النظرة الفلسـفية من التأملات النظرية المجردة ، ويبعد عنهـا تلك النزعات الايقانية المطلقة ، بل ان الفلسفة فى نظره مواقف من الحياة تؤدى الى تعميق هذه الحياة والكشف عنها لا البعـد عنها ، وبهـذا يتعلق الفيلسوف بالحياة ويقبل عليها محاولا تعميقها واكتشاف ابعادها الغائرة ،ولا يحلق فى سـماء التجـريد ، ويبعد عن الحيـاة ، لذا كانت فلسفته فلسفة عملية تهتم بالحكمة العملية والحكمة النظرية ـ ولا تقتصر على الجزئى أو الآلى ، بل ترتفع الى الكلى العام والى الجانب الواعى اليقظ حيث توجد الحكمة النظرية التى نتأمل عن طريقها حياتنا الجـادة ونتعمقهـا .

كذلك لم يبعده تيار الحياة الجارف عن التأمل الواعى للحيـاة ، فلم يركن الى الحياة الجارية الرتيبة ، وهذا ليس استعلاء على الحيـاة أو ترفع عليها أو عزوف عنها ، بل هو تمكين لفهم الحيـاة والكشف عن أسرارها والغوص الى قرار الانسان المادى والروحى على السـواء ، فالتأمل بهذا ليس خلوة أو ابتعاد عن الحياة ، بل هـو وسيلة للاقتراب منها والغوص فيهـا .

ولقد أكسبته حياة التأمل هذه ســعة الأفق وسعة الصــدر لآراء الآخرين يتقبل آراؤهم وينقدها برحابة صــدر ، بل لقد قــدم لنا فى بعض الأحيــان نقــدا ذاتيا ، ولم يعرف عنه تعصب لرأى أو صد عن فكرة أو رأى ذو قيمة ٠

كان فكر الشيخ مصطفى اجابة شــافية لأهم مشكلات الانســان المعاصر وعلاجــا ناجعا لما يعانيه انســان اليوم ، ذلك لأن من أهــم مشكلات الانسان المعاصر طغيان جانبه المادى واهماله للجانب الباطنى ، مما جعله عاجزا عن ضبط أنانيته وشهواته وتكالبه على المادة ، مما أورثه الحسرة والشقاء ، والخلاص من ذلك كله كما يرى الشيخ مصطفى انما يكون باحداث ثورة داخلية ، تقوم على تغيير ما فى النفس ، فلن يستطيع الانسان أن يبدل حياته وما حوله ما لم يستطع أن يبدل ما فى أعماقه ، وأن يغير ما بى فى نفســه ، وأن يستقيم أمر حيــاته الباطنية ويزكى فى نفسه تلك الروحية ، وبذا يكتمل الجانب المادى والروحى فى الانسان ، وفلسفته تظهرنا على ضرورة ذلك التكامل بين الجانبين ، بل انها قامت أساسا على ذلك التكامل ، فلقد كان الاعتدال هو السمة الغالبة على كل أفكاره ، فنادى بالاعتدال فى كل شىء ، وحذر من المغالاة والتطرف فى أى شىء ، وعن طريق ذلك الاعتدال والبعد عن الاسراف يستقيم أمــر حيــاة الانســان ٠

ولقد أحدث الشيخ مصطفى ثورة فكرية عن طريق نقــده لما هــو كائن وبيان ما ينبغى أن يكون ، وتناول نقده كافة الجوانب الانســانية من اعتقاد ومعرفة وسلوك ، وكان نقده ثورة عميقة تبدو فى ظاهرها رقيقة غاية الرفق ، ويكاد التعبير فيها يكون همسا لاصياحا ولا جلجلة ولا دويا ، ولكنها دوى ووخز فى الداخل ، تنفــذ الى الأعمــاق فى رفق وهوادة ، لذا فهى أبقى أثرا وأشد تأثرا ، ولقــد عبر أستاذنا الدكتور عثمان أمين عن طبيعة ذلك النقد عن الشيخ مصطفى فقال « ان مصطفى عبد الرازق ثائر رغم مظهره الهادىء المتزن ، ولكن ثورته ثورة يمكن ن يقال فيهــا

انها ثورة جوانية ، فيها ما يشبه الهمس والأنس ، فلا تصيح ولا تجلب ولا تدوى ، هذا فى مظهرها ، ولكنه فى أعماقها ثورة قوية فيهـا لذع ، لا ينقطع ، وربما كان هذا السمة التى تجعل هـذا الفكر يهز الانسـان الواعى هزاً عميقا ، وهذا ما يضمن لفكره البقاء ، لأنه يندرج فى سـلك الأبـدى الدائم ويفارق العرض الزائل ، وعبـاراته خالية من الزخرفة والتزيين ولكن فيها موسيقى وجمال ، هو جمال البساطة والحس المرهف والوعى المستنير » (١) .

(١) د . عثمان امين محاضرة غير منشورة ألقيت بكلية الاداب جامعة القاهرة فى العام الدراسى ١٩٧١ — ١٩٧٢ .

قائمـة المراجـع

المراجـع

(ا) مؤلفات الشيخ مصطفى عبد الرازق :

١ ــ البهاء زهير : دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٣٠ طبعة أولى .

٢ ــ الدين والوحى والاسلام : دار احياء الكتب العربية ١٩٤٥ .

٣ ــ اعلام الاسلام الامام الشافعى : دار احياء الكتب العربية ١٩٤٥ .

٤ ــ فيلسوف العرب والمعلم الثانى : دار احياء الكتب العربية .

٥ ــ محمد عبده : دار المعارف للطباعة والنشر ١٩٤٦ .

٦ ــ تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية : النهضة المصرية ــ لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٩٦٦ طبعة ثالثة .

٧ ــ الاسلام والتصوف بالاشتراك مع ماسينون : لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية دار الشعب ١٩٧٩ .

٨ ــ آثار مصطفى عبد الرازق : دار المعارف ١٩٥٧ .

٩ ــ الدرس الاول وخطبتا الجمعة : مجلة الأزهر ١٧٢ ح ــ ٢ ــ

(ب) كتب ترجمها الشيخ مصطفى عبد الرازق :

١ ــ رسالة التوحيد للامام محمد عبده : ترجمهــا الى الفرنسية مــع صديقه برنار ميشيل

٢ ــ طيف ملكى خواطر تاريخية تدريه حسين : ترجمة من الفرنســية الىالعربية المقتطف ١٩٣٠ .

(د) مقـدمات لبعض الكتب :

١ ــ مقدمة كتاب « الاسلام والتجديد فى مصر » تشارلز آدمس ترجمه عباس محمود : دائرة المعارف الاسلامية .

٢ ــ مقدمة كتاب « موسى بن ميمون » حيــاته ومصنفاته ــ اسرائيــل ولفنسون لجنة التأليف والنشر ١٩٣٦ .

٣ ــ مقدمة كتاب « اعتقادات المسلمين والمشركين » للامام فخــر الدين الرازى تحقيق د . عــلى ســامى النشـــــار النهضة المصرية .

(د) مقالات كتبها الشيخ مصطفى عن الامام محمد عبده :

١ ـ الأستاذ الامام : مقال ظهر فى السياسة الاسبوعية بعددى ٢٦ مارس ، ٤ يونية القاهرة ١٩٢٧ .

٢ ـ سيرة محمد عبده : الطبعة الثالثة من مجلة العروة الوثقى القاهرة ١٩٢٨ .

٣ ـ اثر المرأة فى حياة الشيخ محمد عبده : مجلة الشباب ١٧ فبراير ١٩٢٦ .

٤ ـ الشيخ محمد عبده والاحسان : مجلة الراديو المصرى ٢٦ يوليو ١٩٤١ .

(هـ) ما كتب عن الشيخ مصطفى عبد الرازق :

١ ـ احمد امين : مقال فى مجلة الثقافة ١ / ٤ / ١٩٤٧ بعنوان الشيخ مصطفى عبد الرازق .

٢ ـ ابو العلا عفيفى : مقال فى مجلة الثقافة ٤ /٢٠ / ١٩٤٧ بعنوان ماملت من خلف سيرة كسيرته .

٣ ـ عثمان امين : مقال فى مجلة الشرق الحديد يونيه ١٩٤٥ بعنوان استاذى .

٤ ـ عثمان أمين : مقال فى الأهرام ١٥ / ٢ / ١٩٥٣ بعنوان رسالة مصطفى عبد الرازق .

٥ ـ عثمان أمين : دائرة معارف الشعب كتاب الشعب ١١٨ ص ٥٧٥ ـ ٢٨٠ .

٦ ـ عثمان أمين : بحث فى مجلة تراث الانسانية نوفمبر ١٩٦٥ المجلد الثالث .

٧ ـ عثمان أمين :

Lights on Contem parary Moslem philosophy- : The Renaissance Bookshap Cairo.

٨ ـ محمد مصطفى حلمى : مقال فى مجلة الفكر المعاصر العدد الرابع يونيه ١٩٦٥ بعنوان مصطفى عبد الرازق رائد الفلسفة الاسلامية .

٩ ـ جريدة الأهرام : فى ٢٣ / ١٩٥٤ مجموعة الكلمات التى القيت فى الذكرى السابق لوفاة مصطفى عبد الرازق .

١٠ ـ جريدة الاخبار : مقال فى الملحق الفنى لجريدة الاخبار ١٩٧٢/١٠/٦ بقلم حسن عبد الرسول بعنوان « شخصية ـ عن فيلسوف وانسان » .

١١ ــ الأب قنواتى :

Anawati : une figure de proue Mustafa abdel Rasek.

Bulletin de l'institut d' orohec!agie Druntale 1960.

١٢ ــ مجلة الثقافة : السنة التاسعة العدد ١٠٢ مارس ١٩٨١ مجموعة مقالات اشترك فيها عدد من الباحثين .

١٣ ــ الكتاب التذكارى عن الامـــام الأكبر مصطفى عبـد الرازق مفكرا واديبا ومصلحا اشترك فيه نخبــة من اســاتذة الجامعات والمفكرين صـــدر عن المجلس الأعلى للثقافة والفنون ١٩٨٢ .

مراجـــع عامــة

١ ــ احمد أمين وزكى نجيب محمود : قصة الفلســفة الحديثة لجنــة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٧ .

٤ ــ احمد الخشـاب : التفكير الاجتمـــاعى دراســـة تكاملية للنظـرية الأجتماعية ، والمعارف ١٩٧٠ .

٣ ــ احمد الخشـاب : العلاقات الاجتماعية الانجلو المصرية طبعة اولى ١٩٦٧ .

٤ ــ احمد الخشـاب : دراسة ديموجرافية السكان والتخطيط الاجتماعى مكتبة القاهرة الحديثة .

٥ ــ ابى النجيب ضياء الدين السهروردى : آداب المريدين تحقيق فهيم محمد شلتوت دار الوطن العربى القاهرة .

٦ ــ ارســـطو : علم الأخلاق الى نيقوماخوس نقله الى العربية أحمـــد لطفى السيد دار الكتب المصرية ١٩٢٤ .

٧ ــ ارســـطو : الشـــعر تحقيق شـــكرى محمـــد عيـــاد دار الكاتب العربى ١٩٦٧ .

٨ ــ ازفلد كولبه : المدخل الى الفلسفة ترجمة ابو العلا عفيفى الطبعة الخامسة مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٥ .

٩ ــ افلاطـــون : الجمهـــورية ترجمـــه حنا خبـــاز المطبعة العصـــرية طبعة ثالثة .

١٠ ــ افلاطون : محاورات افلاطون ــ ترجمة زكى نجيب محمود لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٩٥٤ م .

١١ ـ الفـارابى : آراء أهل المدينة الفاضلة ـ طبعة أولى ـ مطبعة النيـل بمصر .

١٢ ـ الفـارابى : احصـاء العلوم تحقيق عثمـان أمين طبعة ثالثـة الأنجلو المصرية ١٩٦٨ .

١٣ ـ اخوان الصفا : الحيوان والانسـان وهى خاتمة وزبدة رسـائل اخوان الصفا دار الترقى .

١٤ ـ الغزالى (ابو حامد) : احياء علوم الدين مطبعة الحلبى بمصر .

١٥ ـ اميل بوترو : فلسفة كانط ترجمه عثمـان امين الدار القوميـة للطباعة والنشر .

١٦ ـ ابى بكر الطيب الباقلانى : الانصـاف فيما يجب اعتقـاده تحقيق الكوثرى مؤسسه الخـانجى ١٩٦٣ .

١٧ـ ارنست باركر : النظرية السياسية عند اليونان ترجمـه لويس اسكندر سجل العرب ١٩٦٦ .

١٨ ـ ابو بكر بن الكلاباذى : التعـرف لمذهب اهـل التصـوف تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقى سرور احيـاء الكتب العربية القاهرة ١٩٦٠ .

١٩ ـ ابن تيمية : اقتضـاء الصراط المستقيم ومخالفة اصحاب الجحيم تحقيق حامـد الفقى طبعة ثانيـة ١٩٥٠ مطبعة السـنة المحمدية .

٢٠ ـ ابن تيمية : الجواب البـاهر فى زوار المقـابر تحقيق سـليمان عبد الرحمن طبعة ثانية المطبعة السنية .

٢١ ـ ابن تيمية : مجموعة الرسائل الكبرى (الجزء الثانى) .

٢٢ ـ ابن خلدون : المقدمة ـ طبعة دار الشعب .

٢٣ ـ ابن سينا وابن طفيل والسهروردى حى بن يقظان تحقيق احمـد امين دار المعارف مصر .

٢٤ ـ ابن رشـد : فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال .

٢٥ ـ ابو القاسم القشيرى : الرسـالة القشـيرية (جـزءان) تحقيق عبـد الحـليم محمـود ومحمـود بن الشـريف دار الكتب الحديثة .

٢٦ ـ ابن عطاء الله السكندرى : التنوير فى اسقاط التدبير وبهامشـه تاج العروس الحـاوى تهـذيب النفوس المطبعة الحميدية المصرية ١٣٢١ هـ .

٢٧ — ابن عطاء السكندري : بهجة النفوس تصنيف الأستاذ على حسن العريص المجلس الأعلى للشئون الاسلامية القاهرة .

٢٨ — احمد عبد القادر الجمال : دراسات فى النظم الاجتماعية والسياسية النهضة ١٩٥٦ .

٢٩ — احمد فؤاد الأهوانى : نوابغ الفكر الغربى افلاطون دار المعارف .

٣٠ — احمد فؤاد الأهوانى : فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط دار احياء الكتب العربية ١٩٤٥ .

٣١ — احمد فؤاد الأهوانى : نظرية ابن سينا السياسية — فصل من مجلة كلية الآداب حـ ٢ المجلد السابع عشر ديسمبر ١٩٥٥ مطبعة جامعة القاهرة .

٣٢ — ابن سكويه : هداية الأخلاق مطبعة كردستان العامية مصر ١٣١٩ هـ .

٣٣ — ابراهيم مدكور : فى الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيقه دار المعارف ١٩٦٨ م .

٣٤ — ابراهيم مدكور : بحث عن الفارابى مجلة كلية الآداب مجلد ١٩ العدد ٢ ديسمبر ١٩٥٧ .

٣٥ — احمد محمود صبحى : الفلسفة الأخلاقية فى الفكر الاسلامى العقليون والذوقيون دار المعارف مصر .

٣٦ — احمد محمود صبحى التصوف ايجابياته وسلبياته ، مقال فى مجلة عالم الفكر المجلد السادس العدد الثانى ١٩٥٧ .

٣٧ — الكسيس كاريل : الانسان ذلك المجهول تعريب شفيق أسعد مؤسسة المعارف بيروت .

٣٨ — أرنست كاسيرو : مدخل الى فلسفة الحضارة الانسانية ترجمة احسان عباس بيروت ١٩٦٠ .

٣٩ — اسرائيل ولفنسون : موسى بين ميمون حياته ومصنفاته لجنة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٨ .

٤٠ — برجسون : منبعا الأخلاق والدين ترجمة سامى الدروبى وعبد الله عبد الدايم طبعة أولى ١٩٤٥ نهضة مصر الفجالة .

٤١ — برجسون : سيكولوجية الضحك ترجمه سامى الدروبى وعبد الله عبد الدايم دار الكاتب المصرى .

٤٢ — بيدو كروتشه : المجمل فى فلسفة الفن ترجمه سامى الدروبى دار الفكر العربى .

٤٣ — تشارلز آدمس : الاسلام والتجديد فى مصر ترجمه عباس محمود لجنة ترجمه دائرة المعارف الاسلامية قدم له الشيخ مصطفى عبد الرازق .

٤٤ — توفيق الطويل : الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها دار المعارف الاسكندرية طبعة اولى ١٩٦٠ .

٤٥ — ثروت بدوى : النظم السياسية دار النهضة المصرية ١٩٦٠ .

٤٦ — جورج سانتيانا : الاحساس بالجمال تخطيط لنظرية فى علم الجمال ترجمه مصطفى بدوى الانجلو .

٤٧ — جولد زيهر : الاسلام عقيدة وشريعة ترجمه محمد يوسف موسى وآخرين طبعة ثانية دار الكتب الحديثة بمصر .

٤٨ — جيمس هنرى برستد : انتصار الحضارة تاريخ الشرق القديم ترجمه احمد فخرى الأنجلو المصرية .

٤٩ — جون ولسون : الحضارة المصرية ترجمه احمد فخرى النهضة المصرية .

٥٠ — حبيب الشارونى : بين برجسون وسارتر ازمة الحرية — دار المعارف القاهرة ١٩٦٣ .

٥١ — خالد العسلى : جهم بن صفوان ومكانته فى الفكر الاسلامى المكتبة الاهلية بغداد ١٩٦٥ .

٥٢ — دى بور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ترجمه عبد الهادى ابو ريده لجنة التاليف والترجمة والنشر .

٥٣ — ديكارت : مقال عن المنهج ترجمه محمود محمد الخضيرى المطبعة السلفية القاهرة ١٩٣٠ .

٥٤ — ديكارت : التأملات ترجمه عثمان امين الانجلو طبعة رابعة ١٩٦٩ .

٥٥ — ديكارت : مبادىء الفلسفة ترجمه عثمان امين النهضة المصرية القاهرة ١٩٦٢ .

٥٦ — دنيس هويسمان : علم الجمال — الاستطيقا — ترجمه اميرة حلمى مطر دار احياء الكتب العربية .

٥٧ — رنيان : ابن رشد والرشدية ترجمه عادل زعيتر دار احياء الكتب العربية القاهرة ١٩٥٧ .

٥٨ — زكريا ابراهيم : مشكلة الحرية مكتبة مصر الطبعة الثالثة ١٩٨٢ .

٥٩ — زكريا ابراهيم : مشكلة الحب منشورات دار الآداب بيروت .

٦٠ — زكريا ابراهيم : الفلسفة الوجودية سلسلة اقرأ دار المعارف .

٦١ — زكريا ابراهيم : الفنان والانســـان مكتب غريب الفجالة .

٦٢ — زكريا ابراهيم : مشكلة الفن مكتبة مصر طبعة ثانية ١٩٦٧ .

٦٣ — زهدى حسن جار الله : المعتز له منشورات النادى العربى يافا .

٦٤ — زكى مبارك : التصوف الاســلامى فى الأدب والأخــلاق مطبعة الرســالة ١٩٣٨ الأخــلاق عنــد الغــزالى

٦٦ — سارتر (جان بول) الوجودية فلسفية انسانية ترجمه حنا ديان دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٥٤ .

٦٧ — سيد امير على : روح الاسلام (جزءان) ترجمه أمين محمــود الشريف مكتبة الآداب القاهرة .

٦٨ — سعد عبد العزيز حياتى : مشكلة الحرية فى الفلسفة الوجودية الأنجلو القاهرة ١٩٧٠ .

٦٩ — عثمان امين : رائد الفكر المصرى الامــام محمــد عبده الأنجلو طبعة ثانية ١٩٦٥ .

٧٠ عثمان امين : شيلر نوابغ الفكر الغربى دار المعارف ١٩٥٨ .

٧١ — عثمان أمين : ديكارت الأنجلو طبعة سـ لاسه ١٩٦٩ .

٧٢ — عثمان امين : الجوانية اصول عقيدة وفلسفة ثورة دار القــلم القاهرة ١٩٦٤ .

٧٣ — عثمان امين : رواد المثالية فى الفلسفة الغربية دار المعــارف القاهرة ١٩٦٧ .

٧٤ — عثمان امين : محاولات فلسفية الأنجلو المصرية طبعة ثانية ١٩٦٧

٧٥ — عثمان امين : الرواقية الأنجلو القاهرة ١٩٦٧ .

٧٦ — عثمان امين : شخصيات ومذاهب فلســفية دار احيــاء الكتب العربية ١٩٤٥ .

٧٧ — عثمان امين : نجو جامعات افضل ١٩٦٥ .

٧٨ — عثمان امين : دروس للشباب فى مســيرة الأســتاذ الامام — المجلس الاعلى لشئون الاسلامية القاهرة ١٩٦٤

٧٩ — عبد الكريم الجيلانى : الانسان الكامل فى معرفة الأواعر والأوئل ومهامشه اربعة كتب للغزالى وهى الجام العوام عن علم الكلام والمنقذ من الضلال والمضنون به على غير اهله والمضنون الصغير مطبعة محمد على صبيح القاهرة .

٨٠ — عبد الرحمن بدوى : خلاصــة الفكر الاوربى — نيتشــه — طبعة رابعة دار النهضة المصرية ١٩٦٥ .

٨١ ــ عبد القاهر البغدادى : الفرق بين الفرق تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد مكتبة محمد على صبيح القاهرة .

٨٢ ــ على سامى النشار : نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام النهضة المصرية .

٨٣ ــ عبد العزيز عزت : فى الاجتماع الأخلاقى طبعة ثانية القاهرة الحديثة ١٩٥٩ .

٨٤ ــ على عبد الواحد وافى : المدينة الفاضلة للفارابى دار الكتب القاهرة ١٩٧٣ .

٨٥ ــ على عبد الواحد وافى : الحرية فى الاسلام دار المعارف ١٩٦٨ .

٨٦ ــ على عبد الواحد وافى : المساواة فى الاسلام دار المعارف ١٩٦٥ .

٨٧ ــ عبد الوهاب عزام : محمد اقبال سيرته وفلسفته وشعره الدار العلمية بيروت ١٩٧٢ طبعة ثانية .

٨٨ ــ عمر فروخ : أخوان الصفا دراسة تحليلية بيروت ١٩٤٥ .

٨٩ ــ عمر فروخ : الأسرة فى الشرع الاسلامى بيروت .

٩٠ ــ عبد الغفار مكاوى : البيركامى محاولة لدراسة فكره الفلسفى دار المعارف ١٩٦٤ .

٩١ ــ عبد القادر محمود : الفلسفة الصوفية فى الاسلام مصادرها ونظرياتها ومكانها من الدين والحياة دار الفكر العربى طبعة أولى ١٩٦٧ .

٩٢ ــ عباس محمود العقاد : عبقرية الصديق طبعة ثانية دار المعارف ١٩٦٥ .

٩٣ ــ عباس محمود العقاد : الله كتاب فى نشأة العقيدة الالهية طبعة ثالثة دار المعارف .

٩٤ ــ عباس محمود العقاد : الانسان فى القرآن الكريم دار الهلال .

٩٥ ــ عباس محمود العقاد : الفلسفة القرآنية دار الاسلام بالقاهرة .

٩٦ ــ عباس محمود العقاد مطالعات فى الكتب والحياة دار الكتاب العربى بيروت .

٩٧ ــ عباس محمود العقاد : حقائق الاسلام واباطيل خصومه ــ دار الكتاب العربى بيروت .

٩٨ ــ عباس محمود العقاد : الكلمات الأخيرة للعقاد ــ دار الكتاب العربى بيروت طبعة أولى ١٩٧٠ .

٩٩ ــ عباس محمود العقاد : ابن رشد دار المعارف .

١٠٠ — عباس محمود العقاد : عبقرى الاصلاح والتعليم الامام محمد عبده اعلام العرب وزارة الثقافة والارشاد القومى .

١٠١ — فخر الدين الرازى : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين مراجعة على سالم النشار ا نهضة المصرية ١٩٣٨ وبه بحث عن الصوفية والفرق الاسلامية للشيخ مصطفى عبد الرازق .

١٠٢ — فرح انطون : ابن رشد وفلسفته الاسكندرية ١٩٠٣ .

١٠٣ — فؤاد زكريا : اسبينوزا دار النهضة المصرية القاهرة ١٩٦٢ .

١٠٤ — فؤاد زكريا : نيتشه دار المعارف ١٩٦٨ .

١٠٥ — قاسم امين : المراة الجديدة مطبعة المعارف الفجالة مصر ١٩٠٠ .

١٠٦ — قاسم امين : تحرير المراة .

١٠٧ — قاسم غنى : تاريخ التصوف ترجمه صادق نشات مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٢ .

١٠٨ — كانت : نقد العقل العملى ترجمه احمد الشيبانى دار اليقظة العربية بيروت ١٩٦٦ .

١٠٩ — كانت : تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق ترجمه عبد الغفار مكاوى الدار القومية للطباعة ١٩٦٥ .

١١٠ — كانت : مشروع للسلام الدائم ترجمه عثمان امين الأنجلو المصرية طبعة ثانية ١٩٦٧ .

١١١ — كارل يسبرز : مستقبل الانسانية ترجمه عثمان امين الدار القومية طبعة أولى ١٩٦٣ .

١١٢ — محمد اقبال : تجديد التفكير الدينى فى الاسلام ترجمه عباس محمود لجنة التأليف والترجمة والنشر طبعة ثانية ١٩٦٨ .

١١٣ — مصطفى الخشاب : علم الاجتماع ومدارسه الدار القومية للطباعة والنشر .

١١٤ — محمد البهى : الغزالى فى فلسفته الأخلاقية فصل من مجلة رسالة الاسلام المجلد السابع .

١١٥ — موريس جنزبرج : علم الاجتماع ترجمه فؤاد زكريا دار مسعد مصر .

١١٦ — محمد على : الفكر الخوالد للنبى صلى الله عليه وسلم ترجمه مأمون النجار مكتبة الآداب القاهرة .

١١٧ — محمد عبد الهادى ابو ريده : نصوص فلسفية عربية النهضة المصرية ١٩٥٥ .

١١٨ — محمد عبــده : رسالة التوحيد الطبعة السابعة عشر دار المنار بمصر ١٣٧٦ هـ .

١١٩ — محمد عبــده : تفسير جزء عم — مكتبة ومطبعة محمد على صبيح القــاهرة .

١٢٠ — محمد الابراشى : عظمــة الاســلام (جزءان) الانجلو القاهرة ١٩٦٨ .

١٢١ — محمد عاطف العراقى : تجديد فى المذاهب الفلسفية والكلاميــة طبعة ثالثة دار المعارف .

١٢٢ — محمد عبد الله وراز : دســتور الأخــلاق فى القران ترجمــه عبد الصــبور شــاهين طبعــة أولى مؤسسة الرســالة دار البحوث العلمية .

١٢٣ — محمد عبد الله وراز : كلمات فى مبادىء علم الأخــلاق المطبعة العالمية ضريح سعد ١٩٥٣ .

١٢٤ — محمود قاسم : ابن رشد الفيلســوف المفترى عليــه الانجلو المصرية .

١٢٥ — محمد يوسف موسى : بين الدين والفلســفة فى راى ابن رشــد وفلاسفة العصر الوسيط دار المعارف طبعة ثانية .

١٢٦ — محمد يوسف موسى : فلسفة الأخلاق فى الاسلام طبعة ثالثة مكتبة الخانجى .

١٢٧ — نيكو لسون : فى التصوف الاسلامى وتاريخه ترجمه ابو العــلا عفيفى لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٩٦٩ .

١٢٨ — يحيى هويدى : مقــدمة فى الفلسفة العــامة طبعة سادسة دار النهضة المصرية ١٩٧٠ .

١٢٩ — يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الاوربيــة فى العصر الوســيط دار المعارف مصر ١٩٦٥ .

١٣٠ — يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية طبعة خامسة النهضــة المصرية ١٩٦٦ .

مراجع باللغــة الانجليزية :

1. A. C. Ewing : Ethichs : The English universities Prees-London.

2. G. C. Field : The philosophy of Plato - Sencand editian with an Appendix by R. C. Crass - of ford university Prees, London 1969.

3. K. G. Saidain : I Qbl's Educational philosophy : LAHORE.

4. Osman Amin : Lights an Cantemporary Moslem philosophy, The Renaissance book shop. Cairo.

5. Paul Brunton : The Spiritual Crisis of Man, Rider and Campanv London.

رقم الايداع	٨٧/٨٥٣٤
الترقيم الدولى	٩٧٧ـ٠٢ـ٢٣٢٦ـ٣

٣/٨٧/٢٥

طبع بمطابع دار روتابرينت

